

محمد سعيد الشيخ عايد الحنيزي

# الشعر وكثرة الحياة

كلاسيكيوت

(نقد ودراسة)

المجلد الأول



مؤسسة بيت البلاغ



الشجرة وكثرة في الحياة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

مؤسسة البعث

للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء، ١ - ٢ ط - المستودع : صفيير - جانب فرن الأمراء.  
ص.ب ١١ - ٧٤٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٣١١٤ - ٠٢/٥١٤٩٠٥ - لبنان



# الشَّعْرُ وَكَوْنُهُ فِي الْحَيَاةِ

المَجْمُوعَةُ الْأُولَى

كَلَامِيَّاتٌ

(نقد ودراسة)

محمد سعيد الشَّيخ حَامِي الحَنِينِي





محمد سعيد ، الشيخ عليّ الخنيزيُّ



الإهداء





إلى عشاق الفكر ، إلى الذين أسرجوا شموعهم في

محارب التاريخ

أهديكم هذا الكتاب

" المؤلف "

محمد سعيد الشيخ علي الحنيزي

١٤١٩/١١/٢٥ هـ

١٩٩٩/٠٣/١٣ م





... أودُّ أن أرسمَ حرفاً في كلمةٍ تعبيريةٍ شكراً لِمَنْ راجع الأخطاء الإملائية لهذا الكتاب { الشُّعْرُ ودوره في الحياة } ، فقد راجع الجزء الأوّل الأديب / السيّد زكي الشّاعر ، وسبطي الدُّكتور / حسام سعيد سلمان عبد الهادي ، وراجع الجزء الثاني والثالث ابنُ العم : الأديب الشَّيخ / زكي الشَّيخ عبد الكريم الخنيزي ، كما راجع الجزء الرابع الابنُ / أديب الخنيزي .. فلهم الشكر مني ، كما أسجّلُ تاريخ مجيء السكرتير السيّد / عبدالعزيز محمّد عبدالعزيز أحمد .. في يوم السبت الموافق واحد من شهر شعبان ، عام واحد وعشرين بعد الأربعمائة والألف هجري .. الموافق يوم الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ألفين ميلادي ، فقمْتُ معهُ بمراجعة الأجزاء الثلاثة لوضع اللّمسات الأخيرة عليها ، كما كتبتُ وأملتُ عليه الجزء الرابع .. فأسألُ الله لي ولهُ التّوفيق وحُسن الختام ، ومزيداً من الدّوام والنّشاط في تصدير أمثال هذه الأسفار .. ولهُ شكري .





مدخل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( الحمد لله فاطر السمّوات والأرض ، الذي سخّر لنا كلَّ شيءٍ ، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين من الأوّلين والآخرين ، وآله الطّيبين الطّاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ) .

كانت تجول في خاطري خاطرة منذُ عامين ، تُريدُ أنْ تقفز ، لتعيش تحت ضياء الشّمس ، ولكنها بقيتْ محبوسةً زمنًا غير قصير ، وبرغم حبسها وكنمها تعاود أطياها مخيلتي ، تريد أن تثب وتتجسّد كلمة خضراء ، تثبت على درب الحياة ، ولكنني أخنقها ، ثمّ تعود : الكرة تلو الكرة ، حتّى أذن الله لها أن تولد أطروحة تعبّر في حרבِ يلوّن أفكاراً من حياة شعراء ، ويصوّر دنياً تمُدُّ ظلالها على تاريخ شعراء من عصورٍ مختلفة متباينة الظروف والأهواء والأخيلة ، تتلاقى أكثرها في أفق شعريٍّ ، وإن اختلفت الصُّور والمنبع الذي يستقي منه أُنك الشعراء على صعيدٍ من صور متباينة المضامين والأسلوب ونهـد ف كل الاختلاف ، وتجتمع في حرف واحد ، وهي الرُّوح الشاعريّة ، وحاولت بعد جهدٍ مريب ، وظرف جليـد ، أن أرسمها حرفاً مجسّداً في أطروحة من أطروحات الفكر والأدب ، لتكون تاريخاً يعنى بها المفكّرون .

فالتُّراث هو كنز خلفه لنا آباؤنا وأجدادنا الأدباء ، من حياة ثرة ، ومن مجدٍ شامخ ؛ فالماضي حافل بهذه الكنوز الفكرية والعبريات الفذة ، ومن لا ماضي له لا حاضر له .

ولم تكن هذه الأطروحة لِتَأْتِيَ بجديد ، أو بأفكار مبتكرة لم تكن موجودة في أفق الحياة ، إنما أُعدَّت كأطروحة لصياغة تاريخ يمدُّ عصرنا الجديد بألوان من الماضي ، في طرح وعرض ، بأسلوب متطورٍ مع تطور الشباب الجديد ، حتَّى يَتَذَوَّقَهُ ويشربَ إليه .

فهي تخدمُ الفكرَ والتراثَ وتمرُّ بقنوات العصور الماضية ، لتربطَها كحلقةٍ واحدة ، عصرًا بعد عصر ، وتتساب انسياب النهر في الحقول ، حتَّى تتصلَ قناتها بقنوات القرن العشرين ، لتربط حياتها بحياتنا الحاضرة ، فكأننا نشهد فصولها ، ونفاعل معها كشريط سينمائيٍّ يعرضُ مشاهد لأفكار أدبائها ، من أدب مغمورٍ لم يُدرَسْ ، ولم يُعتنَ به .

فهذه الأطروحة .. أو الدِّراسة للشَّعر ودوره في الحياة في العصور المتسلسلة ، في حلقةٍ منسَّقة من العصر الجاهليِّ إلى عصرِ النُّور ، والعصرِ الأمويِّ ، والعصرِ العباسيِّ ، هي دراسةٌ أو حلقاتٌ تتصلُ بعضها ببعض ، حتَّى تتصلَ قناتها بالقرن العشرين ، وما فيه من تطورٍ فكريٍّ ، وأسلوبٍ شعريٍّ قفَزَ في وثبته وخياله وجنحَ في سماءِ الشَّعرِ الجديد ، ككوكبٍ متألقٍ في عتمةِ الظلام ، في الحياة الأدبيَّة الجديدة المعاصرة ، لنرى هل الشَّعرُ كأسمه في علاجه للحياة الاجتماعيَّة ، وتصوير البيئة التي يعيش الشاعر على صعيدها ، أسلوبًا يؤثر في الحياة ، كأسلحةٍ يُستعاضُ به عنها ، في بعض المعارك ، كلَّما انحصر سلاح الوغى في الحرف ، حيثُ يعجزُ السِّلاح الأبيضُ أو المتطورُ أن يقوم مقام الحرف ، فهنا يتحوَّلُ الشَّعرُ إلى سلاحٍ يخيف الطُّغاة .

وبعبارةٍ أدقَّ ... فالكلمة بركان ، ينفجر لهيبًا يحرق ويدمر كلَّ طاغٍ عنيد ، وإن لم يصل الشَّعرُ في عصرنا كبراكين تتفجَّرُ كلمات ، كالعصور الماضية ، لمكانته الاجتماعيَّة ، وأسلوبه التَّأثيريِّ المثير المتوهِّج لهبًا ، في نفوس الشعوب الماضية ، حيثُ يتذوَّقونه ويفهمون ما وراء

حروفه من رموز وإشارات ؛ وكان يمثل في حياتهم الماضية ما يمثل ، في القرن العشرين ، الإعلام المقروء ، والمسموع ، والمرئي ، في وسط المجتمع ، وفي آفاق النفوس ، لقرب المجتمع ، وفطرته إلى العربية ، حيث لم تلوث تلك الفطرة بالعجمة .

فكان للشعر ، أو الكلمة ، دور خطير ، يقلب وضع المجتمع رأساً على عقب ، لماله من إعلام ؛ فإنه يمثل الصحافة ، والمذيع ، والتلفاز ، وشبكة ( الإنترنت ) ... وبعبارة أدق ، يقوم مقام الإعلام المقروء ، والمنظور ، والمسموع .

وإنَّ حرفَ أطروحتي ، التي أدتُها على مساحة صفحات من المجلد الأول الذي احتوى العصور الأربعة ، أريدُ منها أن تمدَّ ظلالها ، إلى القرن العشرين ، لتضمَّ كوكبةً من نجومه المتألثة ، من القرن المشار إليه ، لتجتمع في ( اليوم ) يضمُّ شتاتها ، وتتفرّد هذه الصور ، من هذه الأطروحة ، ( باليوم ) يحتوي على صورٍ كثيرٍ ، من مفكّري أدباء المملكة العربية السعودية ، وتخصيصُ هذه الأطروحة لهؤلاء المفكرين ، في سلسلة واحدة ، أو أكثر لأهدافٍ وعواملٍ تاريخية ، حيث إنّ التاريخ غنيّ بالدراسات ، وبالنقد ، وبالأبحاث ، لمفكّري وأدباء البلاد العربية .

أمّا أدباء المملكة ومفكروها ، فلم يحصلوا على ما حصل عليه مفكرو وأدباء غير المملكة ، حيثُ حَقَلُ بهم نقّاد من أقطارهم وغيرها ، وجمعت لهم ألوانٌ وشرائح ، من الأفكار والدراسات في كتبٍ متعدّدة تناولتها أقلامٌ وريشةٌ مصوِّرٍ فنّان .

أمّا مفكرو المملكة فقليلٌ من غنيّ بهذا التراث ... وتراثنا حافلٌ بالصّور والمعاني والكنوز ، لا يقلُّ عن شقيقاته " القاهرة ، أو بغداد ، أو



بيروت ، أو دمشق " ولكنّه أدب مغمور ، لم يُنخّ لجوهرِ هذا الأدبِ كَفُ  
منتقد ، فيصحُّ له أن يتمثّلَ بببيتِ الشّاعرِ العملاقِ الَّذي ظلّمةُ التّاريخِ :

أنا الثُّنّار الذي يضنُّ به ..... لو قلبته يمين منتقدي<sup>(١)</sup>

لهذه العوالم ، أدتُ أطروحتي ، وخصّصتُ ورسمتُ  
محتواها ، على أكثرِ معالمِ هذا التّراث ، لعلّي أوفّقُ لخدمةِ هذا الوطنِ الَّذي  
من أفقه سَطَعَتْ شمسُ خاتمِ الأنبياء ، ومن أفقه لَمَعَ ضوءُ القرآنِ  
المبين ، وكفاهُ شرفاً ورفعةً ، أن يكونَ سماءَ هدى ، وعلم ، ومعرفة .  
فأطروحتي الّتي اشتملَ عليها هذا المجلّد الأوّل ، عُنيتُ بالعصورِ  
الأربعة الماضية ، وإن كانت قد تناولته دراساتٌ وأبحاثٌ ، ونقدٌ ، من أدباء  
حفلوا به منذ يومه الأوّل حتّى يومنا هذا ، إلّا أن تراثنا الحاضرَ الَّذي يمثّلُ  
مرآةَ القرن العشرين ، لم يُوفِّ حقّه من الدّراسات والتّحليل .

أنا لا أنكرُ ما صدر من دراساتٍ لبعضِ المفكرين الَّذين عُنُوا  
بالأدبِ السّعوديِّ ، وتعمّقوا في هذا التّراث ، الَّذي سَطَعَ في سماءِ القرنِ  
العشرين ، سواءً كانت هذه الدّراسات ، صادرةً من أفقِ المملكة أو من  
خارجه ... غير أن هذه الدّراسات ، لم ترسم الصّورة المتكاملة الّتي تجسّد  
الهيكل المائل للعيان ، على صعيدِ الواقعِ الملموس ، وتؤطر الصّورة .  
ولهذه العوالم التّاريخيّة الّتي أهملت تراثنا ، أوجّهُ نداءً ضوئيّاً  
لجميعِ المفكرين ، بأن يُعنّوا بهذا التّراث ، ويولوه بعضَ اللّفات ، ليروا أن  
في الزّوايا خبايا ، فالدّعاية الإعلاميّة العاطفيّة المموّهة قد ترفع

<sup>(١)</sup> هو الشّاعر الكبير : الشّريف الرضي .

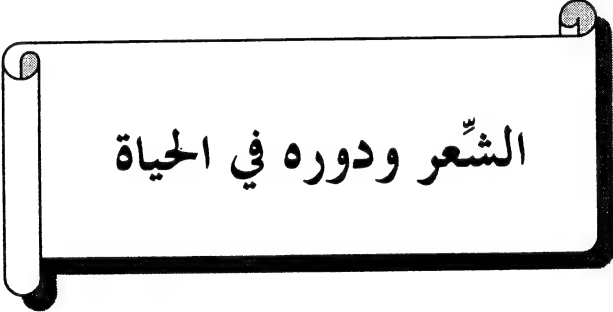
أناساً للقمّة وهم في السّفح ، وتهبطُ بأناس من القمّة إلى  
السّفح ، فتهاض أجنتهم ، فما اسطاعوا أن يسفّوا ، فكيف لهم بالطيران ؟.  
هكذا الحياة ، قد تقسو فلا ترحمُ من هو أهل ، وتشيد بمن ليس هو  
أهلاً !!.

لا أريد أن أُدير هذه الأطروحة ، على سرٍّ من أسرارِ حرفِ مفهوم  
الحياة العميق ، في مختلف مضامينها ، في هذا اللّغز الدّقيق ، فأقصر هذا  
البحث ، على لمحاتٍ تكمش في ظلّ هذه الأطروحة ، كفاتحةٍ ، أو بابٍ  
تعريفيٍّ لمدخلِ كتابي ، المجلّد الأوّل : (( الشعر ودوره في الحياة )) ... وآخر  
دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

١٤١٩/١١/٢٥ هـ

١٩٩٩/٠٣/١٣ م





## الشعر ودوره في الحياة





عنوانٌ يصاغُ في طرحٍ عميقٍ ، يوجّهُ ، في صيغةٍ حرفٍ  
تساؤلٍ ، إلى نقادنا وأدبائنا ، ذوي الفكر من حملةٍ أقلامٍ هذا العصر ...  
وحيثما نتساءلُ عن هذا الطّرح ، ونبحثُ الخلفيّات ، والأساليبَ  
الشّعريّةَ ، وتطورها ، وانفتاحها ، وانغلاقها في الفترة المظلمة ، الّتي سبقت  
النّهضة الفكريّة الجديدة ، لا نريد أن نسرف كلّ الإسراف ، ولا نريد أن  
نقتصد كلّ الاقتصاد ، فنظن بالتّطور الملموس الذي واكب الحياة الأدبية في  
واقعها المتجدّد .

لقد كان للشّعر العربيّ دورٌ في هذه الحياة ، يصوّر  
واقعها ، ويرسم معالمها ، وتجاربَ هذا الإنسان ، ويؤثّر في تيّارات حوادثها  
السياسيّة ، والاجتماعيّة ، ومجرى أفكارها فهو عنصرٌ حيٌّ ، يحرّكُ الحياة في  
سليمها ، وحربها ، ويسجّلُ خَلَجَاتِ البَشَرِ ، وعواطفها في أساليبٍ رائعةٍ ، منذ  
زمنٍ طويلٍ ، ولولا الشّعر ورواته ، لضاع التّاريخُ ، وتحوّل إلى موجةٍ من  
دخان .

لعلّ التّاريخَ لم يسجّلْ لنا كيف بدأ الأسلوبُ  
الشّعريُّ ؟ ، وكيف يُصاغُ في حروفٍ تعبّر عن رغبات عواطفٍ ثائرةٍ  
كالبراكين ، أو هامةٍ كالمقابر ؟؟

والّذي نتحرّاهُ ونظنّه ، ونُدِيرُهُ على مساحةٍ رقعةٍ هذا  
الطرّس ، ونشير له كرايٍ من الآراء ، لعلّه يلمسُ الواقعَ : فمنذُ فجر  
الإنسان الأوّل ، عندما ولد ودرج على هذا الكوكب ، فلِضْرُورَةِ الحاجة  
الفطريّة لمفهوم الحياة ، وما فيها من أهداف ، نعتقد أن هناك لغةً تصاغ في  
حرفٍ تخاطبيٍّ يفصح عن حاجةٍ هذا الإنسان ، ويترجم الرُّموزَ  
النفسيّةَ ، والخلجاتِ القلبيّةَ ، في منطقٍ تعبيريٍّ يترجم رغباته بينه وبين

بني جنسه ، ويقضي به رغباته الروحية ، وخلجاته القلبية ، وهمسات جفونه  
السحرية ، وحاجاته المادية ... كل هذا يشير إليه في حرف ...! إنما  
كيف يُصاغ ذلك الحرف ؟ وما هي اللغة الشعرية ، أو اللغة التخاطبية  
التي تنعكس حروفها على مرآة الحياة التخاطبية ، في ذلك العصر ؟ وهل  
تولدت من ضوء سمائها اللغة العبرية ، أو اللغة الكنعانية ، أو السريانية ؟  
ولعل مفهوم اللغة السامية تتطوي في حرفه أو معناه اللغات التي أشرنا  
إليها ، ومتى وجدت وولدت في لغة التخاطب .؟

لعل التاريخ لم يكشف لنا ، ما وراء هذا الضباب الزمني  
المتراكم ، الذي لفه الزمن في أحشائه .

إن هذه الأحرف التخاطبية ، أو الشعرية قد لفها الزمن البعيد في  
موجات العدم ، وطواها الأبد في تلافيف الماضي الذي لم يأتنا من أنبائه إلا  
طرف أخبار على ندرة وقلة ..! فمن هنا نعرف أن للشعر دوراً مؤثراً ، في  
هذه الحياة وتطورها ، ويصورها ، ويعكسها كما تعكس المرآة الظلال  
المتحركة ، في ألوانها البهيجة ، أو في أطيافها الحزينة ، فالشعر يشبه في  
العصر الجاهلي ، الصحف الثقافية والسياسية السيارة ، ففي عصرنا  
اليوم ، فهو يسير كما تسير الصحف في الأقطار .

ولنبداً هذه الحياة الفكرية ، ونفتحها ببعض صفحات ، من صفحات  
العصر الجاهلي ، ونقرأ هذه الحياة بما فيها من مر ، وخطو ، وعنف ، وهوادة  
من شعرها ، وإن كان الطابع العام الذي يصبغ هذه الحياة العنف ، والقسوة  
حيث يستمثنونها من طبيعة الصحراء القاسية ، فنقل لنا التاريخ وفرة من صور  
متحركة تدور في هذه الحياة كدورة الأرض حول الشمس .

فكان الشعر في هذا العصر أداة تعبيرية ، ومرآة تنطبع عليها هذه  
الحياة ، بكل ما فيها من معنى الحياة ، فالشاعر هو الصحيفة السيارة ، التي  
تعكس ما يدور في هذه البيئة ، التي يعيش على صعيدها ، وتنقل أنباء

التفاخر ، والكرم ، والبخل ، والشجاعة ، والجبن ، والحرب ، والسلم ، وما يدور من معارك صحراوية ، تُهزّز فيها الدماء ، وتُخرّب من جرائها الديار ، في سبيل شاة ، أو ناقة تُقتل فتثور حمية الجاهلية ، على أشلاء تلك الناقة ، فتذوب إثر طلب ثأرها أجساد ، وتتقطع أشلاء ، كما صورها لنا التاريخ ، وجسدها وجهاً مرعفاً ، ومما نزيهاً ، استمرّ قرابة أربعين عاماً " حرب البسوس " .

فالشعر كان له دورٌ وسجّالٌ في هذا الميدان وفي هذه المناظر الدامية ، يروي أنباءها ، ويسجّل أخبارها ، فالقبيلة التي لا شاعر لها ، لا مجد لها ، وإذا ولد فجرٌ شاعر في قبيلة ارتفع رصيدها ، ودوى صيتها ، ولمع اسمها كالوسام في قمم المجد ، وخلّت في بطون التاريخ ، وتاهت على الآفاق تتوسّد النجوم .

ولا ننسى دور الشعر ، في تصوير المرأة ، والتشبيب بها شهوة جامحة ، لأن دور المرأة في هذا العصر ، مستهان به ولم يرتفع رصيدها المرأة ، ويكن لها الدور في المجتمع ، والمكانة المرموقة ، وترتفع عن الشهوة الجامحة ، إلى كونها إنسانة لها ما للرجل من حقوق ، إلا في عصر الإسلام ، أما قبل الإسلام فالمرأة تُورث ولا تَرِث وتُؤاد لأنها في موازينهم لا تستحق الحياة ويجهلون السرّ الذي خلقها فاطر السماوات والأرض ، من أجل أن تكون الشريكة للرجل ، ونصفه ، والرئة التي يتنفّس منها المجتمع .

فالشعر - كما قلنا - الأداة التعبيرية التي تعبّر ، وترجم عن رغبات حياة بيئية ، وما في زواياها ، من ألوان ودروب أهواء ، يعكسها صوراً تتجسّد في قصائده ، يذيعها رواة يكونون منه كالظّل ، كما يوزع البريد الصُحف ، أو البائع لها ، فالشعر في الأمس ، يشبه اليوم - في

عصرنا - أجهزة الإعلام ، كالتلفاز ، والمذياع ، والتلفزة  
المنظورة ، والمسموعة ، وشبكة " الإنترنت " .  
فكان للشعر دور مؤثر ، ومرتبطة ارتباطاً بالروح بالجسد ، في تلك  
الحقبة الزمنية :

## لكل زمان مضى آية

وآية هذا الزمان الصحف<sup>(١)</sup>

لا ، يا أيها الشاعر - لو امتدّ بك الأجل ، لأضفت إلى الصحف  
الأجهزة المتطورة التي جسدت حقيقة واقعية ، تنقل لك الإنسان شكلاً  
وعقلاً ، وتريك المرئي ، وتسمعك المسموع ، بدون حجاب ؛ فهو يعيش  
معك في بيتك ، وغرفة نومك ، وعلى سريرك : كالمذياع والتلفاز .  
وبعد هذه المقدمة التي أعطينا فيها ، صورة مقتضبة عن دور  
الشعر العربي ، وموقعه الاجتماعي في النفوس ، وتأثيره في المجتمعات  
الإنسانية ، كإعطائه دفعات من وهيج الحماس ، في المعارك  
الحربية ، وتجسيده الحب ، والنشوة ، ووصفه للطبيعة ، والمرأة ، في مفاتها  
الخلابة ، وجمالها الحسي ، وعيونها السحرية الحلال ، وروحها  
الجوهرية ... كل هذا صورّه الشعر ، في صور متحركة ، حتّى كأنك ، إذا  
قرأت بعض القصائد ، يَصوّر لك أنّك تشاهد منظرًا متحرّكًا ، مجسّدًا أمام  
عينيك ، وإن فصل بينك وبينه ، ضباب السنين المتراكم بعضه فوق  
بعض ، لبعد الزمن السحيق في طبقات قرون .

(١) الشاعر الكبير : أحمد شوقي .

فلنبدأ بالعصر الجاهليّ ، ونختار منه بعض السّيمفونيّات ، ونقف  
عند كلّ سيمفونيّة ، ونعرض مناظرها ، كما يعرض الممثّل على خشبة  
المسرح ، أدواره الفنيّة ليشاهدها النّظار .



# العصر الجاهلي





الشاعر المهلهل<sup>(١)</sup>  
عديُّ بن ربيعة التَّغْلبيُّ  
( ٠٠٠ ) - ٥٣١م



كان يعيش في الترف واللهو ؛ لذلك لقب بالزير ، لكثرة مجالسته للنساء ، وكان له أخ اسمه وائل ، ولقبه ( كليب ) ، وكان يرأس جيش بكر وتغلب ، وكان طاغية ، مهيب الجانب ، حتى قيل : " أعز من كليب وائل " .

قتل ناقة البسوس ( خالة جساس ) ، الذي انتصر لها ( جساس ) فقتل كليباً غدرًا ، فنشبت حرب بسبب ذلك بين بكر وتغلب ، دامت أربعين سنة ، وبقي المهلهل يحارب ، ليأخذ بثأر أخيه ، إلى أن تمكن من قتل جساس ، ومات مهلهل مأسوراً نحو : ٥٣١ م .

أَهَاجَ قِذَاةَ عَيْنِي الْأَذْكَارُ  
هَدُوءًا ، فَالْدُمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ  
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا  
كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ !  
وَبِتُّ أَرَأَيْتُ الْجُوزَاءَ ، حَتَّى  
تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْحِدَارُ ؛  
أَصْرَفْتُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمِ  
تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا  
وَأَبْكَى ، وَالْجُجُومُ مُطْلَعَاتُ ،  
كَأَنَّ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي الْيَحَارُ ،  
عَلَى مَنْ ، لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا  
لَقَادَ الْخَيْلَ يَحْجُبُهَا الْقُبَارُ !

دَعَوْتُكَ ، يَا كَلِيبُ ، فَلَمْ تُجِئْنِي ؛  
 وَكَيْفَ يُجِئْنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ ؟  
 أَجِئْنِي ، يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ دَمٌ ،  
 ضَيَّعَتِ النُّفُوسُ لَهَا مَزَارُ  
 أَجِئْنِي ، يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ دَمٌ ،  
 لَقَدْ فَجَعَتْ بِفَارِسَهَا نِزَارُ  
 مَقَاكَ الْغَيْثُ ، إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا  
 وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ  
 أَبْتَ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تُكْفَى  
 كَأَنَّ غَضَا الْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ  
 وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رَجَالٍ  
 وَتَغْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ ،  
 وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانُ  
 مَخَافَةٍ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ !  
 وَكُنْتُ أَعْدُ قُرْبِي مِنْكَ رِبْحًا  
 إِذَا مَا عَدَّتِ الرَّبْعَ التَّجَارُ ،



لَوْ وَقَفَ الْمُصَوِّرُ لَحِظَةً أَمَامَ هَذِهِ الْمَنَاطِرِ ، أَوْ الْعَوَاطِفِ الْمَتَسَلِّسَةِ  
 فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَطَوَى الْقُرُونِ : الْقَهْقَرَى ، لِيَعِيشَ عَلَى قِمَّةِ عَصْرِ مَفْتُونٍ  
 بِالتَّفَاخُرِ ، وَبِالْحَرْبِ ، وَبِالسَّلْبِ ، وَالنَّهْبِ هُوَ دِينُ ذَلِكَ الْعَصْرِ  
 وَطَبِيعُهُ ، نَبَتَتْ عَلَيْهِ حَيَاتُهُمْ ، فَأَثْمَرَتِ الشُّوكُ ، وَالْقَتَادُ ، وَالْقِسْوَةُ ، وَالرَّقَّةُ فِي

وقتٍ واحدٍ ! كما لها طابع الكرم والفخر ، وبعضُ الأخلاق الحميدة ، ولو عدت أدراجك القهقري لذلك العصر ، أو قرأت معي قصيدة مهلهل ، وما يماثلها من عواطف لشاهدت عاطفة جيّاشة ، تتدفّق حناناً وأخوةً في هذه الأبيات ، وهي من قصيدة تربو على الثلاثين بيتاً .

كن معي أيُّها القارئ لنستمع للشاعر حين يفتح قصيدته ، فيسكب عاطفته في حروفه ، من عينٍ حاجها القذى أو الهدوء ، وأيُّ هدوءٍ ، أهو الهدوء الذي يتولّد من الحزن فيميت لون الحياة في العين والجسم ؟ أم الهدوء الذي يسبق العاصفة لتثيره فيثأر لأخيه ؟ .

غير أن الشاعر لا يترك للصورة تسير في دنيا من الأوهام ، فيوضح مراميها ، فيصورها عاصفة حزن ، تجتاح النفوس ، لتسكب الأرواح على حدّ الحسام وفي لمعان الرُمح ، فتعصر العمر دماءً ساخنة فوّارة ، فتنتهي تلك الحياة الجسدية في شمم وعزٍّ ، والتي لا بدّ أن تنتهي ، إن طالّت وإن قصرت ، ولكن من الخير أن تنتهي مصروعةً على صعيد الكرامة .

ويوغل الشاعر في تصوير عاطفته الطموح الحزينة ، فيرى الليل كأنه فصلٌ من حزن اشتمل عليه ، كما يشتمل البردُ على الجسم ، لا يكاد يأتي بعده نهارٌ ، كأنه ليلٌ سرمد .

وهذه الصورة الإبداعية نتذوّقها ، حتّى في عصرنا الجديد ، فكيف بمن فاجأته في ذلك العصر الذي ولدت فيه ؟ .

ويستمرُّ الشاعرُ في وصفه ، ليؤطر صورته الوصفية المحزونة ؛ فنجم الجوزاء لا يغيبُ عنه ، وليس له غروب ، وإنَّ النجوم الطوالع لا يحجبها عن عينه البكاء ، فهي ساهرةً معه كأن لم تحتوها

البحار ، ولعلَّه أراد بالبحار الدُموع الغزيرات ، والأنثى الحزينة  
النَّثرات ، ثمَّ يصوِّر أخاه البطل ماثلاً أمام عينيه ، أو هو قريب منه ، فيهتف به  
في نخوة ، منادياً أخاه ... ويجيب عنه بالجواب الواقعيّ ، إنَّه هامدٌ لا  
حراك به ، فهو كصحراء خالية لا سَمير فيها ولا أنيس ، وهل الصَّحراء  
الصَّامتة تردُّ للجواب ؟! إنَّما هي ضياعٌ لأصداً أصوات تدفنُ في  
رمالها ، وتتلاشى في فضاءها ، مع شفق غروبٍ دلم ، والتي توحى ظلالها  
بغروب كلِّ حيٍّ كما غرب الماضون ، فلا يردون جواباً ، أو تعكس  
منظراً غروبياً ، يصوِّر للحزين خاتمة الحياة ، وللعاشرين أحلام  
فاتحة العمر ، أمَّا نِداؤه لأخيه ، وتمثيله بالصَّحراء الصَّامتة ، فامتداد من  
حياته ، وصورة تعكس ألوان البيئة التي يعيش عليها .

ويختتمُ هذه السُّمفونية بموسيقى ، كلُّ ألحانها تفجُّعٌ وأناءٌ ، يؤبِّن  
فيها أخاه كليباً ، ويفترض في نفسه : لو كان هو المقتول ، لجرَّ كليبٌ جيشاً  
يضيق به قلب الصَّحراء ، حرباً تُصبِغُ رمالها بالدمِّ المطلول ، وتجرُّ الويلات  
والمصائب في الدُّهور .

ونسأل مهلهلاً : ألم يسعها حرباً عشواء ؟ ، تأكل الأخضر  
واليابس ، وتزهق فيها نفوسٌ ، وتهدرُ فيها حياةٌ لا أولَ لها ولا  
آخر ، طيلة أربعين عاماً ..؟ فماذا يقصد بعد هذا الدُّمار ؟ فيطلب دماراً  
وعنفاً يربو على سَعير حرب استمرَّت أربعين عاماً ..؟

ونختتمُ هذه السُّمفونية بجملة تترجم ما وراء هذه الجروف ، إنَّها  
العاطفة للجامحة الجاهليَّة الهوجاء ، التي لا تتقيَّد بقيد ، وتدخل إلى شاعرٍ آخر .

الشَّنْفَرى

(( ثابت بن أوس الأزدي ))

روي عنه من القصص الخيالية ، والمغامرات البطولية ... فهو فارس مغامر في صحراء البادية ، وتضاربت روايات التاريخ حوله ، فبعضها صورته شاعرا حكيمًا ، وأنا شيطانًا قطاعًا للطُّرق ، وروي أنه ذات يوم قال لابنة سيده ( اغسلي رأسي يا أختي ) فطمته فتحوّلت هذه اللأطمة إلى عقدٍ نفسيّة عرفته موقع حياته بينهم .

وهذه القصيدة التي استوحاها من سماء الصحراء ، وعرفت بـ : « لامية العرب » ، تصور الحكم الإنسانية ، والحياة المثالية :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ  
فإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لِأَمِيلُ  
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ  
وَشَدَّتْ لَطِيطَاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ  
وَفِي الْأَرْضِ مَنَآئِلُ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَدَى  
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَزِّلُ  
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى أَمْرِي  
سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ  
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدَ عَمَلَسْ  
وَأَرْقُطُ دُهْلُونَ وَعَرْقَاءُ جَيْأَلُ



هُمُ الرَّهْطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعُ  
 لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ  
 وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٍ غَيْرَ أُنِّي  
 إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أُنْسَلُ  
 وَإِنْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ  
 بَعَجْلِهِمْ إِذَا جَشَعُ الْقَوْمِ أَغْجَلُ  
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةً عَنْ تَفْضُلِ  
 عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ  
 وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا  
 بِحَسَنِي وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلُ



وقفةً معي أيها القارئ العزيز ، لنشاهد كيف يصور هذا الشاعر  
 أدباً رفيعاً وتعاليم أخلاقية متسلسلة كجدول رقراق يسقي القلوب ، فترتوي  
 منه الأرواح ، ويصور حرية الكرامة ، التي لا تغفو على دنيا  
 الضمير ، وهوان الذل .

تأمل إلى مطلع هذه القصيدة الحكيمية ، وما فيها من صور  
 أخاذة ، حيث وجه خطابه إلى بني أمه ، وهم أولى بهذه الإفاضة  
 التعليمية ، والخطارة البيانية ، وفيه أسلوب تعنيف ورقة ، حيث طلب منهم  
 أن يستعنوا بإقامة المطي إلى الرحيل ، لطلب ما يراه كرامة أو خيراً ، وإلا  
 فحبّه سيتحوّل عن أهله إلى سواهم ، ولم يرسل هذه الأحرف صحراوية في  
 أسلوب جاف ، إنما تلك الإشارة تفصح عن إرادة معنوية ، غلّفها في أحرف

متأدبة ترمزُ إلى ذلك ، ويرى رغباته محمولةً في أفق ليلٍ مقمرٍ ، وإنَّ المطايا أجنحةً مهيأةً للسَّير ، والجو يغمره ضوء القمر ، تتلألُ أضواؤه الفضِّيَّة على رمالِ الصَّحراءِ الذَّهبيَّة ، الَّتِي تعكسُ مخائلَ الشَّاعر ، وما فيها من جنوح ، ولهفة .

تصوِّرُ معي هذا المعنى الوصفي ، حيث أسند إلى حاجاته فعلاً من الأفعال الَّتِي تتذر بالفناء ؛ وهو فعل " حُمْتُ " فأبدع في هذا الوصف وأجاد .

وهذه الرِّحلة التَّجوالية .. إنَّها رحلةٌ ، لحرِّ كريمٍ يفرُّ من الضَّيِّمِ إلى مأوى كريم ، أولَّيسَ في أرضِ اللهِ مستقرٌّ ومأوى يتقيأ مِنْ جَنَّاته ، ويظلُّ عباد الله ، وفيها الكلأ والعشب لدوابِّهم أداة مواصلاتهم ؟!

فالحريَّة لا يساوم عليها ، فالشَّاعر في هذه القصيدة يسلسل حكميَّاته في حرفٍ متحرِّكٍ ، ويفرش درب رحلته بالريحان ، والورود ، لا بالأشواك والقنَّاد ، فيؤكدُ رحلة هذه الطَّريق المريحة بقسم : أنَّ الأرض لا تضيق رقعتهَا على امرئٍ ، سار راغباً أو راهباً ، ففي الأرض مُتَّسعٌ لزرع رغباته ، ما دام دليلاً عقله ، الَّذِي يُخطِّطُ له ويبرمج .

ويعود الشَّاعر فيرسل إشارةً بعيدة المرمى فيها إنذار لأهله ، إذا لم يرقِّدوه بِرفدِ الكرامة والعزِّ ، فَسَيَسْتَبْدِلُ الأهلَ بِأهلٍ ، وإنَّ الأهلَ الجُدَّ سيكونون موضعَ سرِّه ، وأمانتِه .. لا يفشون أسرارَه ، ولا يخلونَه يوم الكريهة ، فيرجع يسئلُ عَنِّه مِنْ مَقَالَتِهِ العنيفة ، فيضعُ المَرَاهِمَ على الجروح ، فيصفهم بالبسالة ، والشَّجاعة ، وَيَخُصُّ ذلَّةً ، وَيَشِيذُ بصفاته ، فهو يوم الطَّرَادِ .. هو أبسلُ من كلِّ باسلٍ ، ويبدع للشَّاعر ويرتفع عن عالمه الجاهليِّ إلى جوٍّ صافي الأخلاق ، حضاريِّ الفكر والآداب ، غير مُضَبَّبٍ ، وَيَلْبِسُ النَّفْسَ أسمى إطار اجتماعيٍّ ، ويعيدها من حياتها البدائيَّة إلى حياة حضاريَّة فضلى متوجِّةً بالخلق .

وإن مُدَّتْ الأيدي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ  
بَأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

تصور معي أيها القارئ هذه الحكمة ، التي تُعَايِشُنَا ما عاش  
الإنسان على رقعة هذه الحياة ، فالأدب الخُلُقِيُّ الأصيل هو فيضٌ من الخالق  
على عباده ، وينبوعٌ مُتَدَفِّقٌ فيه الاستقامة ، وللتَّهْذِيبِ ، وهذا البيت يعطينا  
صورةً في حرفٍ مُتَحَرِّكٍ ، يرسم لنا آدَبَ المَأْدُبَةِ ، حينَ تَمُدُّ أطباقَها  
للأكل ، وتجتمع عليها شريحةٌ من النَّاسِ ، فالشَّاعِرُ يرسم مبدأً تعليميًّا لفاتحة  
الأكل ، ففيها حكمة خُلُقِيَّةٌ ومثاليَّةٌ معنويَّةٌ ، ويُوغِلُ الشَّاعِرُ في الحياة الخُلُقِيَّةَ  
والتَّعليميَّةَ ، فيشرح هذه الحياة ، إنَّها بسطةٌ من إنسانٍ مُتَفَضِّلٍ ، والبادئ  
بالفضل أفضل من الواهب قبل السُّؤال ، وهو خُلُقٌ رفيعٌ من الأخلاق التي  
ندب لها الإسلام .

والقصيدة تربو على سبعة وستين بيتاً ، وكلُّها تتسلسل حكمةً  
وأخلاقاً ، فضلاً ومعاني ومثلاً ، حتَّى سُمِّيَتْ بـ : " لامية العرب " ، لما  
تحمله من مضامين رفيعة ، وأخلاق ندب لها الإسلام ، وحثُّ عليها ، فأنت  
تقرأ هذه القصيدة ، ولا تكاد تُصَدِّقُ ، أنَّها نَدَّتْ مِنْ شَفَتَيْ شَاعِرٍ  
جاهليٍّ ، نُسِجَتْ حوله أساطيرُ المغامراتِ ، وبُنِيتْ حَوْلَهُ ألوانُ  
الرواياتِ ، وَلَكِنَّهَا الحقيقةُ التي جَمَعَتْهَا هذه القصيدةُ ، في صُورِهَا  
المتحرِّكة ، وفي إشاراتِها الضَّوْثِيَّةِ التي ترمز مِنْ وراءِ أغلفةِ  
كلماتِها ، إلى هذا الأسلوب الشعريِّ البليغ .



عنزة العبي

٢٢ ق . هـ = ٦٠٠ م



ولد في نجد عام ( ٥٢٥ م ) وقد كان فارساً مغواراً يُضربُ بشجاعته الأمثال .. فإذا شَجَع الرجلُ قالوا تَعَنَّتَرَ ، وخطبَ عنتريةَ لا مصداقَ لواقع الأقوال ، وعنتريةُ هو من الشعراءِ المميزين ، الذين صَوَّروا عصرهم في روايات فصولاً من الفنِّ ، في حرفٍ ينطقُ ببيانِ السحر .

أما بطولته وشجاعته فقد نسجَ حولها التاريخُ ألواناً من الخرافاتِ الأسطورية ، وغرقت فيها ريشةُ الخيالِ ، فزَوَّقتَ منها ألواناً من اللوحات ، ما حلا لها وشاعت ، فصار في هالةٍ تُوطِّرها تلك الخيالاتُ والخرافاتُ ، ومن قصائده مُعلَّقة - التي اختيرت مع أخواتها المعلقةات - التي كان لها دورٌ في الأدب العربيِّ ، وأخذت حيزاً من الأفكارِ والزمن ، فشرحها الشارحون ، وولَّع بها أربابُ الأدب والفكر منذُ ذلك التاريخ حتى القرن العشرين : برغم التطور والتجديد في أسلوب الكلمة ، وانفتاح آفاق لَوْنَتِ الشعرَ بالحدائث والجدة : -

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُرَدِّمٍ  
أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ  
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي  
وَعِمِّي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ واسْمِ  
فَرَقَفْتُ فِيهَا نَاقِي وَكَأَنَّهَُا  
فَدَنٌ لَأَقْضِيَ حَاجَةَ التَّلَوِّمِ  
وَتَحُلْ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا  
بِالْحَزَنِ فَالْصُّمَّانِ فَالْتَتَلُّمِ

حَيَّتْ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدُهُ  
 أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْئِمْ  
 حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِبِينَ فَأَصْبَحَتْ  
 عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمِ  
 غَلَقْتُهَا عَرْضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا  
 زَعَمًا لَعَمْرُ أَيْكَ لَيْسَ بِمَزْعَمِ  
 وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَظْنِي غَيْرَهُ  
 مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمَكْرَمِ  
 كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا  
 بَعْنِيزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِمْ  
 إِنْ كُنْتُ أَرْمَعْتُ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا  
 زُمْتُ رِكَابُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ



ويفتحُ مُعْلَقَتَهُ باستفهامٍ تساوُلِيٍّ مُوجَّهٍ لِذَوِي الْفِكْرِ ، أَوْ  
 لِلشُّعْرَاءِ ، فِيهِ فِكْرَةٌ لِكَشْفِ مَا يَرَاهُ ، حَيْثُ يَقُولُ : إِنَّ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَتْرَكُوا مَعْنَى  
 إِلَّا وَصَوَّرُوهُ فِي أَسَالِيبِهِمُ الشُّعْرِيَّةَ لِأَنَّ الرَّدْمَ لُغَةً هُوَ سَدُّ الْفُرَجِ  
 وَالْفَتَحَاتِ ، أَوْ يَبْيَسُ الْغُصْنَ بَعْدَ اخْضِرَارِهِ ، فَالشُّعْرَاءُ لَمْ يَتْرَكُوا  
 لَزِمَاتِهِمْ صُورَةً مِنَ الصُّورِ أَوْ كُوَّةً مِنَ الْكُؤَى تَشْرِقُ مِنْهَا شَمْسُ فِكْرٍ  
 تُنِيرُ الطَّرِيقَ لِلشُّعْرَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ حَتَّى يَقْبِسُوا مِنْ أَشْعَتِهَا ، وَيَنْسِجُوا  
 خِيُوطَهَا أَطْيَافًا مُلَوَّنَةً مِنْ أَطْيَافِهَا ، فَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ فِي رَأْيِ عُنْتَرَةٍ أَنَّهُ مُعَارٌ أَوْ  
 مُقْتَبَسٌ مُعَادٌ .



والرؤية الواضحة المشاهدة في سماء الفكر : أن الفكر لا يموت  
ولا يبلى ، ويتجدد صوراً جديدة ، في كل إشراقة ضوء : إشراقة معنى جديد  
يتطور مع تطور الحياة في سيرها المجد ، فالواقع الملموس يشير إلى أن  
الشعراء القدامى تركوا في أفق الفكر ثروة من الألوان الفكرية ، ومن  
المعاني آفاً وآفاً من الكنوز لم تحتو عليها آفاق أشعارهم ولم تلونها  
ريشة فنهم لأن الفكر يتطور ويتجدد مع ضوء الفجر ، ومع إشراقة  
القمر ، ومع إطلالة كل ضوء وسرى المجرات الشمسية .

ففي كل إشراقة ضوء لرفعة وردة : إشراقة معنى  
جديد ، وولادة فكر لم يأت به الأولون ، ولو صدقت  
رؤية عنصرة لمات الفكر ، والشعر ، والأدب ، وكفناه شلواً بارداً  
ضاع في طيات التاريخ ، ولا ترى له أثراً ، ولا حساً ؛ غير أن المشاهدة  
الحية تشعرك بنبضات الحياة تتجدد في كل إطلالة  
صباح ، وإغماضة جفن شفق ، وهدوء ليل ، وسكون  
بحر .. فما أكثر الجديد تحت ضوء الشمس !! فالحياة في سيرها  
تتطور وتتجدد كتجدد أيامها فيولد من سائها كل يوم فكر  
جديد يقبس منه المفكرون ، ويرسمونه نيزاساً يضيء في عتمة  
الليل ويرشد الأجيال .

لو نفضت أيها الشاعر عنك غبار الزمن ، وأشرفت من كوى  
الماضي لرأيت ما يبهز عقلك من جدة المعاني ، وتطورها ، ولما قلت ما قلت :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ

أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

فَعَنَتْرَةُ فِيْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ الْمُعْلَقَةِ يَتَغَزَّلُ ، وَيَشَبُّبُ بِنَبْتِ عَمِّهِ عِبْلَةَ  
الَّتِي كَلَّمَا تَحَبَّبَ إِلَيْهَا وَلِلَّهِ حُبُّهَا أَزْدَادَتْ مِنْهُ نَفُورًا وَبُعْدًا ، وَلَا نَعْلَمُ هَلْ  
هَذِهِ الظَّاهِرَةُ النَّفْسِيَّةُ هِيَ مِنَ الدَّلِّ ، أَمْ هِيَ مِنَ الْفَرَكِ ؟! فَهُوَ يَمْضِي فِي  
تَصَوُّرِ عَوَاطِفِهِ لِلْحَيَاشَةِ ، وَفِي حُبِّهِ الْعَارِمِ ، وَإِنَّ هَذَا التَّصَوُّيرَ يُصَوِّرُهُ  
الشَّاعِرُ فِي حَرْفِهِ بِدُونِ أَنْ يُعْطِيَنَا أَيَّ إِشَارَةٍ رَمَازِيَّةٍ لِنَتْلِكَ  
الظَّاهِرَةَ النَّفْسِيَّةَ ... فَيَفَاجِئُنَا الشَّاعِرُ بِتَحْيِيَّةِ الْعَاشِقِ  
لِحَبِيبَتِهِ ، بِعَوَاطِفِ رَقِيْقَةٍ يَسْكُبُ قَلْبَهُ فِي تِلْكَ الْحُرُوفِ فِي صِبْغَةٍ  
أَسْلُوبٍ عَلَى مَنَهْجِيَّةِ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ ، وَيَصْبِغُهَا بِصِبْغَةِ بَيْئَتِهِ الَّتِي يَعِيشُ  
عَلَى أَرْضِهَا : -

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي

وَعِمِّي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَاسْلَمِي

فَالْتَأَمَّلُ الدَّقِيقُ لِهَذَا الْبَيْتِ يُعْطِيكَ صُورَةً فِيهَا لَهْفَةٌ شَوْقٍ عَارِمٍ لِلْقَاءِ  
حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ فَهُوَ يَخَاطِبُ الدَّارَ الَّتِي أَغْرَقَهَا الْجَوَى ، وَيَطْلُبُ مِنْهَا الرَّدَّ ثُمَّ  
يُلْقِي إِلَيْهَا التَّحِيَّةَ وَيَدْعُو لَهَا بِالْحَيَاةِ .

وهذه الحروف لا تشير إلى الدَّارِ إنما ترمز لمن يعيش في هذه  
الدَّارِ وفيها عذوبة ، ورقَّة من شاعرٍ جاهليٍّ ، كما يصفُ مظاهرَ حَيَاتِهِ فِي  
تِلْكَ الْعَصْرِ : النَّاقَةَ ، وَالْكَأَلَ ، وَالصَّحْرَاءَ وَالرَّمَالَ السَّمَرَاءَ الصَّادِيَّةَ ، كَقَلْبِ  
الْعَاشِقِ الْمَتَعَطِّشِ إِلَى رَشْفَةِ مَعِينٍ مِنْ ثَغْرِ حَبِيبَتِهِ .. فَهِيَ صُورَةٌ تَتَحَرَّكُ  
وَتَتَمَلَّسُ فِيْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي تَرْبُو عَلَى أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ  
فِيهَا رَمَازًا رَائِعًا يَرْسُمُ عَصْرَهُ حَيْثُ أَنَّ الشَّعْرَ يَقَاسُ بِالزَّمَنِ الَّذِي وَلَدَ  
فِيهِ ، وَالْأَرْضِيَّةُ الَّتِي نَمَتْ مِنْهَا تِلْكَ الْبُيُوتُ ، وَقَدْ تَنَبَّأَتْ مِنْهُ وَثَبَاتٌ مِنْ وَثَبَاتِ

العبقريّة ؛ فعنترةُ يصوّرُ ثغرَ حبيبتهِ في أسلوبٍ سحريٍّ عذبٍ كعذوبةِ  
لمى ثغرِ حبيبتهِ : -

إِذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ

عَذْبٍ مُقْبِلُهُ لَذِيذِ الْمَطْعَمِ

إنّ هذا الوصفَ لا يزالُ يحتفظُ بجِدَّتِهِ بِرَغَمِ هُوّةِ الْفَارِقِ  
الزَّمَنِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِقُرُونٍ وَقُرُونٍ ، وَلَكِنَّا لَا نَزَالُ نَسْتَعْنِبُهُ وَيَسْتَهْوِينَا فِي  
صُورَتِهِ .

وعنترةُ من شعراءِ العصرِ الجاهليّ الَّذِي بَنَى لَهُ هَرَمًا مِنْ  
الْبَطُولَةِ وَالنَّخْوَةِ ، وَمَجْدًا ضَخْمًا مِنَ الشَّعْرِ حَتَّى أُوصِلَهُ إِلَى قِمَّةِ تَالُقَيْيَةِ  
جَلَسَ عَلَيْهَا يَسَامِرُ الْكَوَاكِبَ ، وَيَرْنُو مِنْ عَلٍ إِلَى الْحَيَاةِ .

وَيَمْضِي عَنْتَرَةُ فِي هَذِهِ الْمَعْلَقَةِ فَيَصُورُ حَبِيبَتَهُ رَوْضَةً مِنَ الرِّيَاضِ  
تَمَلُّ الْأَفُقَ بَعْطَرِهَا بِرَغَمِ حَيَاتِهِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الَّتِي هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ  
الصَّحْرَاءِ الْقَاسِيَةِ ، لَا رَوْضَ فِيهَا وَلَا جَدُولَ وَلَا بَلْبِلَ : -

أَوْ رَوْضَةً أَنْفًا تَضُمُّنَ نَبْتَهَا

غَيْثٌ قَلِيلُ الدَّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ

وعنترةُ رَسَمَ حَوْلَهُ التَّارِيخُ قِصَصًا بَطُولِيَّةً عِنْدَمَا غَرَّرَ بِهِ عَمُّهُ  
لِحَرَمَةِ مِنْ زَوَاجٍ عِبْلَةٍ بِنْتِ عَمِّهِ ، حَيْثُ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ شُرُوطًا تَعْجِيزِيَّةً لَا  
طَاقَةَ لَهُ بِهَا كَأَلْفِ نَاقَةٍ مَعْصُفَرَةٍ ... إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الطَّلَبَاتِ الْخَيَالِيَّةِ ، كَمَا  
يُرْوِيهَا التَّارِيخُ حَتَّى تَخْلُوَ الْبِلَادُ مِنْ شَخْصِهِ ، فَيَغَادِرُ دِيَارَ حَبِيبَتِهِ عِبْلَةَ ؛ فَإِذَا  
بِهَا تُزَفُّ إِلَى ثَانٍ فَيَعُودُ بِالْمَعْجَزَةِ ، فَإِذَا الْحَبِيبَةُ فَرِيسَةُ اصْنَطَادِهَا الصَّيَّادُ فَوَقَعَ

الخبرُ عليه وقوعَ الزَّلَازِلِ والصَّوَاعِقِ ، فاحتَرَقَ شِلْوَا هَامِدًا ، وأُسْدِلَ  
السُّتَارُ على حياةِ شاعرٍ وبطلٍ من أبطالِ العصرِ الجاهليِّ .  
ونختمُ هذا العرضَ التحليليَّ بهذه القِصَّةِ التَّاريخيَّةِ ، لنسيرَ  
لشاعرٍ آخر .

الْمَنْخَلُ الْيَشْكُرِي

٢٠ ق . هـ = ٦٠٣ م



اسمهُ المنخلُ بن مسعود بن عامر ، من بني يَشْكُر ، روى عنه  
التَّاريخُ ألواناً من الرواياتِ ، وأَغْرَقَ فِي وَصْفِهِ بِالْفَتْنَةِ ، وَحُسْنِ الْجَمَالِ  
حَتَّى شَغَفَ بِهِ النِّسَاءَ حُبًّا ، وَكَانَ يَنَامُ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَحَدَ مُلُوكِ الْحِيرَةِ .

وهنا الرواياتُ التَّاريخيَّةُ تَخْتَلِفُ فِي قَتْلِهِ فَقِيلَ : إِنَّهُ مَضَى ضَحِيَّةً  
لِحُبِّهِ هِنْدَ بِنْتَ عَمْرِ بْنِ هِنْدٍ ؛ حَيْثُ شَبَّ بِهَا ، وَذَكَرَ اسْمَهَا  
فِي رَأْيَيْتِهِ ، وَحِينَ طَارَ هَذَا الشَّعْرُ كَالصَّحِيفَةِ  
السَّيَّارَةِ ، وَقَرَأَهَا أَبُوهَا - وَالْعَصْرُ الْجَاهِلِيُّ يَأْبَى التَّغْزَلَ فِي  
بَنَاتِهِمْ ، وَيُفَسِّرُونَهَا عَلَى أَنْوَاعٍ مِنْ ضُرُوبِ التَّفَاسِيرِ - فَقَتَلَهُ .

وقيل إنَّ هذه القصيدة هيَ في هِنْدَ زَوْجَةِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَقَدْ  
شَغَفَهَا الْمُنْخَلُ حُبًّا ، وَفِي أَمَمِيَّةٍ مِنَ الْأَمَمِيَّاتِ خَرَجَ الْمُنْخَلُ لِلصَّيِّدِ  
فَخَرَجَتْ هِنْدُ زَوْجَةُ النُّعْمَانِ وَالتَّقَتْ بِهِ ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَقْيِّدَ الْحَبِيبِينَ  
وَالْحَبَّ مَعًا فِي إِطَارٍ وَاحِدٍ ، كَأَنَّهَا تَرِيدُ دَلِيلًا عَلَى ارْتِبَاطِ الْقَلْبَيْنِ  
فَأَتَتْ بِقَيْدٍ ، وَقَيَّدَتْ رِجْلَهَا بِحَلْقَةٍ مِنْهُ ، وَالْحَلْقَةُ الْأُخْرَى قَيَّدَتْ بِهَا  
رَجُلَ الْمُنْخَلِ ، فَجَاءَ زَوْجُهَا لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكَ ، فَشَاهَدَ  
هَذَا الْمَنْظَرَ لِلْعَاشِقِينَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْمُنْخَلِ ، فَقَتَلَ .

وَقَدْ سَعَى الْمُنْخَلُ عِنْدَ النُّعْمَانِ بِالشَّاعِرِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ فِي أَمْرِ  
الْمُتَجَرِّدَةِ - زَوْجَةِ النُّعْمَانِ - وَكَانَ لِلنَّابِغَةِ قَصِيدَةٌ فِي الْمُتَجَرِّدَةِ ، مِنْهَا بَيِّنَاتٌ  
يُمَثِّلُ شَرِيطًا سِينِمَائِيًّا ، فِي حَيَاةٍ مُتَحَرِّكَةٍ ، كَأَنَّهَا مِنْ صُورٍ  
تُمَثِّلُ رَوَايَاتِ هَذَا الْعَصْرِ ، وَمُسَبِّقِي هَذَا التَّصْوِيرِ مَا بَقِيَ مِنَ الْحَيَاةِ : -

سَقَطَ الرَّدَاءُ ، وَلَمْ تَرِدْ إِسْقَاطُهُ

وَنَاولَتْهُ ، وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

إنَّهُ لمشهد متحرك في صور متحركة آخذة باللب ، ولم تكن  
هذه الجمل تفي بتصوير واقع هذا المشهد ، حتَّى أجسّد  
مفهومة ، في هذا المنظر الغريب العجيب ، لأنَّهُ ليس من بحثي .

وهكذا البشر الذي يسعى بأخيه في شرك ينصبُّه له  
قد يصطاد به ... وإليكم هذه القصيدة الرائيّة التي طوّقت في  
سماء الأزمان والعصور .

إن كنت عاذلتني ، فسيّري  
نحو العراق ولا تحواري  
لا تسألني عن جُل ما لي  
وانظري حسبي ، وخيري  
وإذا الريّاح تكمّشت  
بجوانب البيت الكبير  
ألفيتني هَشّ التّدى  
بشريج قدحني أو شجيري  
وفوارس كأوار حرّ  
الّثار أخلاص الدُّكور  
شدّوا دوابر بيضهم  
في كلّ مُحكّمة القير  
واستلّاموا وتلبّبوا  
إنّ التلبّب للمغير  
وعلى الجياد المضمرات  
فوارس مثل الصقور



يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ  
يَجِفْنَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ  
أَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلِيكَ  
وَالْفَوَائِحِ بِالْعِيْرِ  
يَرْفُلْنَ فِي الْمِسْكِ الدَّكِيَّ  
وَصَائِلِكَ كَدَمِ النَّحِيرِ  
يَغْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ الْ—  
تُثُومِ ، لَمْ تُغْكُفْ لِزُورِ  
وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْقَتَا  
ةِ الْخِذْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ  
الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ  
فُلُ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ  
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَفَعَتِ  
مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ  
وَلَكَمْ تُهَافِتِنَا فَسَتِ  
كَتَفُ الطَّبْنِيِّ الْبَهِيرِ  
فَدَنَنْتِ وَقَالَتِ يَا مَنْ—  
خَلُّ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ  
مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُ—  
بُكَ فَاهْدَأْنِي عَنِّي وَسِيرِي  
وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي  
وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

يَا رَبُّ يَوْمٍ لِلْمُنَى

خَلَّ قَدْ هَا فِيهِ قَصِيرِ

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنِّي

رَبُّ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّيْرِ

وَإِذَا صَحَرْتُ فَإِنِّي

رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَا

مَةِ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ

يَاهِنْدُ مَنْ لِمَتِي

يَاهِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ



هَذِهِ لَوْحَةٌ مِنْ لَوْحَاتِ الْفَنِّ بَرغمِ الْقُرُونِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ عَصْرِنَا  
وَعَصْرِهَا ، وَهَكَذَا الْفَنُّ وَالْإِبْدَاعُ ، يَبْقَى فَنَّا عَلَى مَمَرِّ الْعُصُورِ وَالذُّهُورِ .

افْتَتَحَ الشَّاعِرُ لَوْحَتَهُ الْفَنِّيَّةَ بَعْتَابِ عَاشِقٍ قَيَّاضٍ مِنْ قَلْبِ  
وَلَهَانَ ، فِي أَسْلُوبِ رَفِيقٍ يَسْرِي كَالنِّسَائِمِ الْعَلِيلَةِ فِي الْفَجْرِ النَّدِيِّ ، عِنْدَمَا  
يُدَاعِبُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ ، هُوَ كَالضَّوءِ يَنْفُذُ بِدُونِ جِهَازٍ إِلَى قَلْبِ حَبِيبَتِهِ .

وَكَانَ حَبِيبَتَهُ تَتَاجِبُهُ مَنَاجَاةَ الرُّوحِ لِلرُّوحِ : أَيُّهَا الْحَبِيبُ الْوَلَهَانُ لَا  
تُغْلَفْ عَنَّاكَ بِوَهَجِ الْعِشْقِ ؛ فَإِنَّ فَوَادِي هُوَ كَالطَّيْرِ يَرِفُ وَيَحُومُ حَوْلَكَ ، كَمَا  
يَحُومُ عَلَى ضِفَّةِ الْجَدُولِ ، حِينَمَا يَرْتَشِفُ الْمَاءَ الْعَذْبَ ، فَهُوَ يَعِيشُ مَعَكَ  
عَلَى رَفْرِفِ الْخُبِّ وَالْغَرَامِ ، وَيَصُورُ الْحُبَّ حُبًّا رُوحِيًّا ، لَا حُبًّا مَادِّيًّا ؛ حَيْثُ  
يَفْنَى الْحُبُّ الْمَادِّيُّ ، وَيَبْقَى حُبُّ الرُّوحِ .. لِأَنَّ الْحُبَّ الْمَادِّيَّ لَا تَمْتَدُّ ظِلَالُهُ

على وَهَجِ نارِ العِشْقِ ، فتأكله ويزوب شلواً هامداً ويتحوّل رماداً فينكمش بانكماش غاياته .

ويطلع الشاعر من أفق حُبّه ، كفارس يفخر بحسبه ، وذاته الخيرة ، ويكمل الشاعر تأطير الصورة ، فيصور شجاعة قومه : فوارس مغامرين ، كما يصور تكمّش الرّيح ، عندما تتعالى مدوياً بأصواتها ، فتنكمش في البيت الكبير ! وهل هذا الانكماش والتقلّص هُدوءٌ ؟ بحيث تضيع الأصوات وراء جدران القصر التي لا تصل إليه الأصوات من الرّياح أو البشر ، أو هل انكماشها سرعتها ؟ وهنا يحلو للمنخل النّخب على نوي زَمَجَرَةِ الرّيح في ليالي الشّتاء للقارة المتلبّدة بالغيوم ، والمنهملة بالأمطار ... فعندها يحلو للسّمَرُ ، والسّهَرُ على مائدة الغرام ، وكأس المذام ، حيث يعيش في أفق حضارة ، بعد أن دفن بدائوته في الرّمال السّمراء الصّادية المتموجة ، تحت أشعة الشّمس الذهبية ، وأضواء القمر الفضية ، واستبدل عن الصّحراء - الطّبيعة القاسية - بقصور النعمان بن المنذر . وقد ورد في مجامع اللّغة ( تكمّش الرّجل : إذا أسرع ؛ والتكمّش بمعنى : التقلّص ) .

ويعود الشاعر إلى وصف مكارم الأخلاق ، وصفات قومه الحميدة ، ولا نريد أن نقف على هذه المناظر ، ونعرضها كما يعرض السينمائي على شاشته مشاهد بما فيها من حسن وقبح .

وبصح لنا - ونحن نتابع هذه الصّور - أن نقول إنّ هذه القصيدة فيها العناصر الأولى للقصّة في الشعر العربي ، وإن لم تكتمل بحلقاتها وفصولها ، ففيها مبدأ الحوار ، والتّخاطب بلغة الحبّ ، لغة القلوب والعيون . فالشاعر يصور قصّة من أبداع القصص الغرامية يتجلّى فيها الفنّ ، والبلاغة ، والسّهل الممتع ...! أنظر معي هذه الصّورة المتحرّكة ، في

شريط متحرك ، فكانَ الشاعرَ يعيش على قِمَّةِ القرن العشرين ، ويتحاورُ مع  
أبنائه في أساليبهم ولغتهم ، ويقرأ صفحات حياتهم ، ويعيش عيشتهم : -

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا

ةِ الْخِذْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

الكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ

فُلٌ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ

والشاعر رسم مبدأ حياة قصته يوم لقائه بحبيبته ، فأوغل في إيداعه  
ورتب الحياة فصولاً بعد فصول .. " اليوم مطير " والمطرُ يفتحُ صُوراً  
للشُعراءِ والعاشقين ويزيد هذا المنظرَ سحرًا اللقاء في يومٍ مطير ، " والكاعب  
الحسناء " تتجلى في أجمل حلّة من خلّها فتزيدها جمالاً على جمال ، وكان  
للشاعر وثبة من وثبات الخيال ساعة اللقاء .  
تصوّرُ معي هذا المنظرَ : -

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ

مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْغَدِيرِ

إنَّه الشُّوقُ ، الشُّوقُ الْمَشْبُوبُ الَّذِي لَا يَطْفِئُ وَهَجَهُ الْمَتَوَقِّدُ إِلَّا  
لِقَاءُ الْحَبِيبَيْنِ ... كَالْقَطَاةِ الصَّدْيَا لَا يَطْفِئُ لَهَبَهَا إِلَّا جُرْعَةٌ مِنْ نَمِيرِ  
مَاءِ الْغَدِيرِ ، تصويرٌ من أبدع التصوير .

ثُمَّ يَصُورُ التَّقَاءَ الثَّغَرِ بِالثَّغَرِ ، وَكَيْفَ كَانَ يَعْقِبُ هَذِهِ  
الرَّشْفَةَ ، التَّنَفُّسُ ، وَلَكِنْ : تَتَنَفَّسُ الظُّبْيُ الْبَهِيرُ أَيُّ الْجَمِيلِ ، إِلَى آخِرِ  
السُّلْسَلِ مِنْ هَذِهِ الْمَنَاطِرِ :

وَلَكُمُهَا فَتَنَفَّسْتَ

كَتَنَفَّسِ الظُّبْيِ الْبَهِيرِ

فَدَنَّتْ وَقَالَتْ يَا مَنْ

خَلَّ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ

مَا تَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُرٍّ

بُؤْسِكَ فَاهْدِنِي عَنِّي وَسِيرِي

وَأَجِبْهَا وَتُجِبْنِي

وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

يَا رَبُّ يَوْمِ اللَّيْلِ

خَلَّ قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرِ

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَأَنْسِي

رَبُّ الْخَوَرِ نَقِ وَالسَّيْرِ

وَإِذَا صَحَوْتُ فَلِأَنِّي

رَبُّ الشُّوْهِةِ وَالْبَعِيرِ

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ

بِالْقَلِيلِ وَبِالْكَثِيرِ

يَا هِنْدُ مَنْ لِمَتِي

يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ



وقفةٌ معي أيتها القارئ لتشاهد هذا الشريط السينمائي الذي يجسّد  
اللّهفة ، والولة يوم لقاء الحبيبين وما تكلم به الحب ، وتفاهم القلبان  
والعينان ، بلغة لا يدرك أسرارها ، ومعانيها إلا الذين ذابوا في مجامر  
الحب ، واكتووا بوهجه .

ولست في حاجة إلى أن أصوّر لك هذه المناظر العاطفية ، لما  
فيها من جمالٍ ساحر تلتهمه القلوب والعيون ، فهي صورة متحركة تصوّر  
نفسها بنفسها ... ولكن الحب عندما طغى كطغيان اليم الهادر ، وثار ثورة  
البراكين المتفجرة ، ولمع كأضواء الشمس في لغة روحية سرت  
أسرارها في قلوب الحيوانات - أداة المواصلات - ويجسّد هذا الحب  
الشاعر المنخل تجسيذاً محسوساً مصوراً من واقع حياته ... يحسّ

هذا الحب ، وهذا الهيام : البعير الذي يمتطيه ؛ فالبعير يحب ناقة محبوبته  
كما يحب هو حبيبته .

وهذا التصوير من أروع التصوير في الحب والهيام ، وهذه  
الترجمة الروحية في أسمى لغة ، وأبدع تعبير .

وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي

وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

ويتصور - وهو في نشوته - أنه لم يكن ذلك الصَّحَّارَاوِيَّ الَّذِي  
يعيش تحت لَهَبِ الشَّمْسِ وهجيرِ الصَّخْرَاءِ ، وفقدانه لواقعه  
الصَّحَّارَاوِيَّ ، فيخيلُ له أنه رَبُّ الْقُصُورِ ..! وعندما يصحو ، يعود إلى  
واقعه فإنه رَبُّ الشُّوْبَةِ والبعير .

ويختتم هذه اللوحة الفنية بنداء فيه تذلل ، وخضوع  
ولهفة ، وشوق :

يَا هِنْدُ مَنِ لِمَتَيْمِ

يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ

... ونسير من أفق للشاعر المنخل ، إلى أفق شاعر آخر .





طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ

( ٥٣٨هـ - ٥٦٤م )



الشاعر طرفة العبدى شاعرٌ ، من شعراء القطيف .. ولد في البحرين ؛ وتخصيصي ونسبتي له كونه من القطيف ، حيث إن البحرين تُطلق على القطيف ، وأوال ، والأصاء ، ولم تُشير المصادر التاريخية ، إلى المفهوم الخاص لهذه الأقطار من الجزيرة العربية ، كأوال ، والقطيف والأصاء .

وبعض القصص التاريخية ، والأحداث السياسية التي وقعت في عصره تخصص نشأته في القطيف ! ولأن أباه وأمه من قبيلتي بكر ، ووائل ، بكر ، ووائل قبيلتان عربيتان أصيلتان تسكنان القطيف ، وتتجولان بين تَلَعَاتِ نجد ، وضياف الخليج حتى أطلق على القطيف : بنت بكر ، ووائل ، وتغلب .

ولست أريد هنا أن أدرس العوامل التاريخية التي تحقق وتثبت نشأة طرفة - في ولعها الذي لا يتطرق له الشك - على أي أرضية نبتت عليها من أراضي الجزيرة ..؟ القطيف أم أوال - المعروفة بالبحرين اليوم - ... ولكنني أقرب - حسب العوامل الزمنية التي أشرت لها في صدر هذا الحرف - أنه قطيفي .. والله أعلم بالحقيقة .

فهذا الشاعر الشاب للتياهُ الذي أغرق عمره في اللهو واللعب .. وبرغم هذا العمر القصير الذي يشبه الورد ، أو أفياء من أفياء أمسية أصيل ، اخترم في ميعه شباب ، أثمر وأورق ذلك العمر : أوراداً تفتحت عن حكيم ، وتجارب لا يصل لها الشيخ المعمر الذي فني عمره في تجارب أحداث الزمان ، وأحواله ، وألوان الدهر ، وغيره في صروفه المتلاحقة .

فطرفة ترك من الشعر ثروة أثرى بها الحرف ، فلا يزال حرفه  
مُخَضَّوْضِرًا يسقي الأرواح ، ويمدُّ الحياةَ بطاقات تتفجّر معاني ، وتدور مع  
الفلك الدائر في معلقته الدالية التي هي إحدى المعلقات اللاتية ملأن سمع  
الزّمان نويًا وهتافًا ولا تزال تُعدُّ حولها الدّراسات ، برغم الفجوة الزّمنيّة  
التي تفصلنا قرونًا وقرونًا ، بين عصرنا وعصره .

ولنأخذ من هذا الكنز قصيدته المعلقة الدالية التي كانت من عيون  
المعلقات ، وتزخر بالتّجارب ، والحكم ، وتعكس شبابه اللاهبي الانتهازي  
الذي ينهب الذات ، ولا يحفل إلا بكأس الصّهباء ؛ فينفق السّاعات في اللّهُو  
والندد .

ولنأخذ من هذه الملحمة المعلقة - التي تربو على مائة وثلاثة  
أبيات - بعض مقاطع من مقاطعها لنقف على ما فيها من صورٍ ومناظر ، ثمّ  
نعود لما فيها من حكم ، وتجارب ، فنحلّل بعض المقاطع ، التي صورَ فيها  
الشّاعر انتهازيّته فهي ( ألبوم ) يحتوي على شتى صورٍ متباينة ، جمعها إطار  
كما يجمع الألبوم للصّور المختلفة .

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرُقَّةٍ تَهْمَدِ

تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ

يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجْلَدِ

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غَذْوَةٌ

خَالِيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

عَدُولِيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِينَ

يَجُورُ بِهَا الْمَلَأُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومَهَا بِهَا  
كَمَا قَسَمَ الثَّرْبُ الْمَفَايِلُ بِالْيَدِ  
وَفِي الْحَيِّ أَخْوَى يَنْفِضُ الْمُرْدَ شَادِنُ  
مُظَاهِرُ سِمَطِي لَوْلُو وَزَبَرْجَدِ  
خَذُولِ تَرَاعِي رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ  
تَاوُلِ أَطْرَافِ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي  
وَتَبْسِمُ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مُنُورًا  
تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِغْصَ لَهُ نَدِ  
سَقْتُهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِقَاتِهِ  
أَسِيفٌ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ يَأْمِدِ  
وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رَدَائِعَهَا  
عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ



افتتح الشاعر قصيدته بتصوير وصف حياة في عصره ، وجسد ما  
فيها من روتين عادات ، ووضع اجتماعي درج عليه المجتمع النسائي ، في  
ذلك العصر ، حيث يستعملون التجميل ، كما تستعمل الفتيات  
العصريّة - اليوم - ( المكياج ) والأصباغ التي تستعمل في يومنا الحديث .  
ففي العصر القديم من أنوات التجميل : " الوشم " ؛ فهو من زينة  
الفتيات التي كانت له الروعة والجمال في ذلك العصر ، حتى أخذ الشعراء  
يتشبهون به ، ويصفونه صوراً من الفن في أشعارهم .

وللوشم أساليبٌ تستعمله فتاةٌ ذلك العصر عن طريق إبرة الخياطة ، أو ما يماثلها ، في أساليبٍ تصوّر في دائرات ، على هيئة نقط خضراء ، على أسلوب نجوم ، أو قمر ، أو كصورة ظبي ، أو في هيئة سلسلة لونٍ أخضر على ظاهر كفّ اليدين ، أو بين الحاجبين ، أو على ظهر الفكّ الأسفل ، أو في الذراعين ، فيكون له روعة تزيد جمالاً في الجسم الأبيض ، وبقيت هذه العادة إلى عهدٍ قريب .

فالشاعر حينما صورّ الأطلال بمحل برقّة ، تلوح حجارتها للّماعة ، تحت ضياء الشمس ، كباقي الوشم في ظاهر كفّ الفتاة ، حينما تلوح بكفّها ، فكان التشبيه رائعاً ، وهل تعرف الوشم يا قارئ الجدي ؟

إنّ الوشم هو دقّات تصوّر المرأة على ظهر يدها ، من نقاط خضريّ في أسلوب رائع ، وفي صور تتفنّن فيها ، فأحياناً تكون الصورة مستديرة تشبه كتل النجوم ، وصورة أخرى تكون على شكل غزال ، كما تكون في زراعيها الداخليّ ، وفي فكّها الأسفل ، أو بين حاجبيها ، فتظهر الرّوعة على روعة جمالها ، ولا سيّما في البيض .

وقد استمرت هذه العادة الجاهليّة ، في هذه الجزيرة ولعلّها توجد في بعض النّساء القديّمات ، ولم تقلع الفتيات عن هذه العادة إلا من قرابة أربعين عامّاً ، أو أقل .. عندما فُتحت المدارس ، وتعلّمت الفتاة وتنقّفت ؛ فهذه حياة عاشها الشّاعر ، وشهداها فصورّها من واقع حياته ، في افتتاح معلقته .

ويُثني افتتاحيّته يطلب من صاحبه وقوف المطايا موقفاً لا يوقفهم على الأسى والحزن والهلاك ، ويتطلّب أناة من الصّبر والتّجلّد ، ويثبّ الشاعر في الوصف فيصف النّياق ، وهي تشقّ رمال الصّحراء ، كأنّها سفن تشقّ عباب البحر ، فالنّياق كانت أقوى جهاز مواصلات في شطرنّ الحياة - الحياة الصّخراويّة - التي لا تتحمّل السّير في

صَلَابَتِهَا ، وَجُشُوبَتِهَا ، سَوَى تِلْكَ النَّيَاقِ الَّتِي تَظْمَأُ ، فَتَصْبِرُ عَلَى الظَّمَا فِتْرَةَ  
زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ ، فَلَا تَرْدُ الْمَاءَ وَهِيَ تَقْطَعُ الْفِيَّافِي ، وَتَشْقُ الرَّمَالَ ، وَتَنْثُرُ  
الْحَصِيَّاتِ أَمَامَهَا وَوَرَاءَهَا ، كَمَا تَشْقُ السُّفُنُ بِصَدْرِهَا مَوْجَ الْبَحْرِ ، وَتَصَارِعُ  
الْمَوْجَ فِي عَسْفِهِ ، وَهَدِيرِهِ .

وَيُؤْطَرُّ صُورَةٌ وَصْفُهُ فِتْرَاهَا تَرْوَحُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، كَمَا يَسِيرُ الْمَلَّاحُ  
فِي الْبَحْرِ بِسُفِينَتِهِ يَدْفَعُهَا الْمَوْجُ ، عَلَى ضَوْءِ الْمَنَارِ الَّذِي يَرشِدُ السُّفُنَ ، فَهُوَ  
يَسِيرُ عَلَى مَنَهْجِيَّةٍ انْتَهَجَهَا شُعْرَاءُ ذَلِكَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ ، فِي أُسْلُوبِ عَدَمِ  
تَوْحِيدِ مَوْضُوعِ الْقَصِيدَةِ - فَيَفْرَغُ فِي أُسْلُوبِ مَنْ عَصَرَهُ الَّذِي لَا يَحْفَلُ  
بِوَحْدَةِ الْقَصِيدَةِ ، بَلْ يَسْكَبُ فِيهَا أَضْوَاءَ مُخْتَلِفَةِ التَّلَوِينِ وَالْهَدَفِ ، فِي صُورِ  
مُخْتَلِفَةِ ذَاتِ أَغْرَاضٍ فِي دُرُوبٍ مُتَعَرِّجَةٍ الْغَايَةِ وَالْأَمَالِ ، فَلَيْسَ مَعْيَبًا فِي  
عَصْرِ طَرَفَةٍ عَدَمِ وَحْدَةِ الْقَصِيدَةِ وَتَتَوَيَّعُ الصُّوَرِ ، وَهَذِهِ الصُّوَرُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي  
لَوْنُهَا الشَّاعِرُ بَرِيضَةُ الْفَنِّ لَوْحَةً مِنْ أَلْوَانِ عَصَرِهِ - لَا نَقْدَ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ ، وَهَذَا  
التَّنَوُّعُ مِنْ فُصُولِ الْمَشَاهِدِ الَّتِي تَرْمِزُ حُرُوفُهَا لِأَهْدَافٍ  
شَتَّى ، تَعُدُّ مِنَ الْفَصَاحَةِ ، وَالْبَلَاغَةِ .

وَلَنَسِيرَ إِلَى بَعْضِ مَقَاطِعِ هَذِهِ الْمَعْلَقَةِ ، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ الشَّاعِرِ مِنْ  
وَرَاءِ الْقُرُونِ ، وَنَخَاطِبُهُ فِي نَجْوَى هِمَسَاتٍ رُوحِيَّةٍ :

حَدَّثْنَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ ، عِنْدَمَا تَحَوَّلْتَ فِي أَبْيَاتِكَ ، إِلَى ( بَيْقُورِي )  
يَنْهَبُ اللَّذَاتِ ، وَلَا يَحْفَلُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهَا ، لِأَنَّ الْخُلُودَ لَا يَقْدَرُ عَلَى إِخْلَادِهِ  
أَحَدٌ ، فَلَيْسَ لِعَاذِلٍ - عِنْدَ طَرَفَةٍ - عَاتِبٌ يَمْنَعُهُ مِنْ حُضُورِ اللَّذَاتِ ، وَأَنْ  
يَنْفَقَ فِي شَهَوَاتِهِ كُلِّ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ :

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَ نِسِي

وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمُمَدِّدِ

أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِي أَخْضِرِ الْوَعْغَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي ؟!

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّ

فَدَعْنِي أَبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي !

فيعلن الشاعر ( بيقوريته ) الصَّارِخَةُ الصَّائِنَةُ إِلَى لَذَاتِهِ ، فيرسمها صورةً متحرِّكةً ، ويعلن أئمن ما عنده في الحياة .. هِيَ أَمْنِيَّتُهُ فِي لَذَّةِ كَأْسٍ وَهِيَ كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ ، فيصوِّرُهَا فِي أَبْيَاتِهِ الثَّلَاثَةِ ، كَأْسًا مِنْ شُرْبَةِ كُمَيْتِيَّةِ اللَّوْنِ ، تنسيه همومه ، وتبعده عن عالم العقل فيغيب حسُّه ، وتتعطَّلُ حركاته .

ولولا هذه اللَّذَاتِ الثَّلَاثُ الَّتِي هِيَ غَايَتُهُ فِي حَيَاتِهِ ، لما حفل بحياته ولا فرق - عنده - لولا هذه اللَّذَاتِ البيقوريَّةُ ، متى زاره عَوَّادُهُ ، أو هجره ، عند سقمه ، وهي تقَرَّبُ رجليه من قَبْرِ مَنِيَّتِهِ .

ويضرب الشاعر لإحدى اللَّذَاتِ الثَّلَاثِ صورةً رائعةً ، من أروع صور الحياة ، عندما يخلو بحبيبته الفتاة الجميلة ، في خباءٍ على كبد الصَّحَرَاءِ مطنَّبًا بالأعمدة في يومٍ داكنٍ ملبَّدٍ بالضَّبَابِ ، فَهِيَ اللَّذَّةُ الثَّلَاثَةُ ، والفرصة الَّتِي يبادرها من الحياة ، وينهبها من العمر نهبًا ، فهو يَحْيَا لِلْغَرَامِ وَالكَأْسِ ، ويموت على مذبح اللُّهُو ، نَسِيَ عَقْلَهُ ، وغرق في لذاته .

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى

وَجَدَّكَ ، لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي



فَمِنْهُمْ سَبَقِي الْعَادِلَاتِ بِشَرْبَةِ

كُمَيْتٍ ، مَتَى مَا تُغَلِّ ، بِالْأَسَاءِ تُزِيدِ

وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحِبًّا

كَسِيدِ الْغَضَا - نَبْهَتُهُ - الْمُتَوَرِّدِ

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدُّجْنِ وَالْأُجْنِ مُعْجِزٌ

بَنَهَكَنَّةٍ تَحْتَ الْحَبَاءِ الْمُعْمَدِ

هذه المعلقة تحفل كما قلنا بصور ملونة ، متباينة الأهداف حينما يصورُ الشاعر فكرته في هذا المقطع ، فتراه يجاهرُ في هذه الصُّورة بفكرته المنحرفة الخاطئة ، فيرى قبر للكريم كقبر البخيل ، والكريم هو الذي متَّع حياته ، والبخيل هو الذي حرم نفسه للذَّات البيقوريَّة الإباحيَّة ، فيصدر الشاعر حكمه في أيُّهما الخاسرُ الصديُّ غداً ؟!

ولعشه للذَّات حتَّى الجنون ، يرى فيما بعد الموت : لا ميزة لقبر غويٍّ مفسدٍ في البطالة ، وبين قبر غيره الذي لم يَجْرِ في حُبَّتِهِ ، وهذه مغالطةٌ نفسيَّةٌ من الشاعر ؛ لأنَّ هناك عالماً برزخياً بين الدُّنيا والبعث ، يثابُ المحسنُ على إحسانه ، ويجازى للمسيءِ على إساءته .

فالشاعر (( طرفه )) لا ينفذ إلى ما وراء الحقيقة ، بل يصوِّر ما يراه ، من كومة تراب ظاهرة لعينيه ، وتخفى عليه الحقيقة ، فيساوي قبر من نهب اللذَّات ، بقبر الذي قبض نفسه عن اللذَّات البيقوريَّة ... هما في مظهرهما الترابيَّ لا فرق ! بخلاف ما وراء هذين القبرين من حقائق ، لو كُشف لطرفة الغطاء لَنَدِمَ كُلُّ النَّدَمِ ! ولاتَ حينَ حيلة ندم .

والحقيقة أن وراء القبر في البرزخ : للعذاب للمسيء ، والنعيم  
للمحسن ، حتى يبعثهما الله في اليوم الآخر .

كَأَنَّ الْبُرَيْنَ وَالنَّمَالِجَ عُلِّقَتْ

عَلَى عَشْرِ ، أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَصَّدِ

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ

سَتَعْلَمُ إِن مَثْنَا غَدًا أَتَيْنَا الصَّادِي

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ

كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ

تَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ ثَرَابٍ ، عَلَيْهِمَا

صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدِ

ثم يفوق الشاعِر من سكرته البيقورية ، فيتحول إلى حياة  
واقعية ، فيضرب لنا أمثالاََ حكيمةً ، برغم معارضتنا ونقدنا لخطأ النظرة  
لجاهلية التي كررها الشعراء الجاهليون ، حيث إن الموت يخترم أعمار  
الكرماء ، ويصطفي أعمار البخلاء ، وهذه فكرة خاطئة ؛ فكل  
أجل كتاب ! أمّا تصوير العيش بأنه كالكنز فينفذ كما تنفذ الأيام  
معه ؛ فهذه حكمة وعظة من العظات الواقعية الملموسة في حياتنا .

وجسد الحقيقة التي لا مفر منها عندما يعلق الموت بامرئ ، فلا  
منفذ له ، ولا بد أن هذه الحياة ستطوى ، فهي كنز ينقصه كره الجديتين .

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي

عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ

وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ يَنْفَدُ

لَعَمْرُكَ ، إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى

لَكَالِطَوَلِ الْمُرْخَى ، وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ

فَمَالِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكًا

مَتَى أَذُنُ مِنْهُ يَنَأُ عَنِّي وَيَبْعُدُ

وهنا الشاعر يصوِّر للواقع الملموس ؛ في أسلوب سهل ممتنع فيه سحرٌ ، وبلاغة !

إنَّ ظلم نوي القربى أشدُّ ألماً على النفس من تقطيع السُّيوف ، ثمَّ يثبُّ الشاعر إلى وثبة فكرة واقعية يؤمن بالحقيقة ، فيطلب من بنت معبد - أي بنت أخيه - أن تتعاه حين موته ، بما هو فيه من واقعٍ ولا تفرِّغ على نعيها الصُّور الخيالية ، ولا تمثِّل في رثائها له فصلاً من حياته للدَّاعرة ، ولا تصوِّره في مشاهدته المعرَّبة وكفى بصاحب النقص نقصاً : أن لا يرضى بنسبتها له حتَّى بعد الموت !!

وهنا يجسِّد الشاعر في أبياته : الحقيقة الملموسة التي لا مفرَّ منها ؛ إنَّ البشر مهَيَّؤون للموت ، فما أقرب رحيل اليوم من الغد ...؟! ويسكب لونا حزينا على تلك الصُّورة المتحرِّكة .

إنَّ الحياةَ معارةٌ ، فالرَّجلُ العاقلُ هو الَّذي يزدادُ فيها من كرائمِ المعروف ، وينفقُ عمره في سبيلِ الخير ، ويرسمُ صورةً لتأثيرِ الحياةِ البيئيَّةِ وارتباطها بالمجتمع ، حينما تقتَرنُ بالصدَّاقةِ والأخوَّةِ ، وانطباعها في القرينِ ، والمقارنةِ ، والمصاحبةِ ؛ فتعطيكِ حكمةً مجلَّوةً كمرآةٍ تعكسُ لك معرفةَ القرينِ بقرينه ، وهذه من الحقائقِ الَّتِي تعايشُ البشرُ مُنْذُ وُجِدَ على هذا الكوكبِ حتَّى اليومِ .

وفي خاتمةِ المعلَّقةِ ختامٌ زخَمٌ من الحكمةِ ، حيثُ يطلبُ من المرءِ التَّريُّثَ حتَّى يَهتَكِ المستقبلَ الحجبَ ؛ فالأيَّامُ مرآةٌ تعكسُ المستقبلَ ، وصحيفةٌ تتقلُّ أنباءُ الحياةِ الآتيةِ ، وإن لم يَكُنْ بينك وبين أحداثِ الأيَّامِ موعدٌ مؤقتٌ ، لمعرفةِك بهذه الحياةِ المستقبليةِ ، ستتكشفُ صورةُ سينمائيَّةٍ ماثلةٍ أمامَ عينيكِ وسمعك ، فترقبُ انطواءَ فصولِ الأيَّامِ المستقبليةِ ، وهذا من البلاغةِ والإبداعِ البيانيِّ :

وظَلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً  
عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ  
فَدَرَنِي وَخَلَقَنِي ، إِنِّي لَكَ شَاكِرٌ  
وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِيًا عِنْدَ ضَرْغَدِ  
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدِ  
وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرُو بْنَ مَرْثَدِ  
فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ ، وَزَارَنِي  
بَنُونَ كِرَامٍ سَادَةٌ لِمُسَاوِدِ  
أَنَا الرَّجُلُ الصُّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ  
خَشَّاشُ كِرَاسِ الْحَيَّةِ الْمَتَوَقَّدِ

فَإِنْ مُتْ فَأَنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ  
وَشَقِيَّ عَلَيَّ الْجَنْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدٍ  
وَلَا تَجْعَلِينِي كَأَمْرِئِ لَيْسَ هَمُّهُ  
كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي  
أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النَّفُوسِ ، وَلَا أَرَى  
بَعِيدًا غَدًا : مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ  
لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مَعَارَةٌ  
فَمَا اسْطَعْتُ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ  
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ  
فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي  
سَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا  
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ  
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِغْ لَهُ  
بَنَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ



هذا ما اخترته من نماذج بعض شعراء العصر الجاهلي ، وكيف  
كان الشعر يعالج الحياة ، ويرسم أهدافها في حرفٍ يشير في لمحات ضوئية  
إلى واقع ذلك العصر ، وتأثير الشعر في شريان حياته ، ومجريات  
عاداته ؛ وفي تصرفها وأفراحها وأحزانها ، وقد صور لنا الشعر ما في ذلك  
العصر من ألوان ، وكيف كان دور الشعر وتأثيره في تلك الحياة ، من  
ضروب عيش في حياتهم الاجتماعية والسياسية والحرب ، والسلام ؛ ووصف

ألوان تلك البيئة التي درج على صعيدها أهل ذلك العصر ؛ فهو مرآة عاكسة لواقع ملموس لذلك العصر ، ويصحُّ لنا - إذا لم نرد المبالغة - : لولا الشعر ، لضاعت أكثر فصول ذلك العصر ، لأنَّهم لم يحفلوا بسجلِّ تاريخيٍّ ، واعتمدوا في وقائعهم على الشعر العربيِّ ، فكان سجلاً تاريخياً توارثته العصور عصرًا بعد عصر ، ونشرته لنا فضلاً بعد فصل ، فصولاً تاريخيةً ، حلَّ النقَّاد والأدباء بشعر العصر الجاهليِّ ، ولا سيَّما معلقاته الممتِّ ، أو المبتَّع ، أو العشر على اختلاف ضروب الروايات ، حتَّى كثرت عنه للدراسات ؛ فمنذ فجره ، غنَّى المؤرِّخون ، وخطُّوا تاريخه ، وحتَّى يومنا هذا - القرن العشرين - برغم الهوة الزمَّنيَّة الفاصلة ، واختلاف الحياة وتطوُّرها في الأسلوب ، وفي الشعر ، وفي تطوُّر أداة مواصلات النِّقل تطوُّراً هائلاً ، فيصحُّ أن نقول : إنَّ الشَّعرَ مرآة الحياة والعامل المؤثِّرُ فيها ، والباعثُ على طموحاتها ، والمُشيدُ بِأمجادها وتاريخها .

ومن قِمة العصر الجاهليِّ نسير إلى عصر النُّور ، عصر منقذِ الإنسانية ، وباعث شمس الحرِّيَّة - شمس الفكر - عصر الإسلام الذي جاء فيه رسولُ الإنسانية بالسَّعادتَيْن - سعادة الدنيا والأخرى - والقرآن الكريم المعجزة الكبرى التي لا تمحوها الدُّهور ، ولا تصلُّ لها المعجزات .

# عصر النور





بَعْدَ أَنْ طُوِيَتْ الْأَحْرَفُ الَّتِي أُدْرِتْهَا عَلَى مَلَامَحِ صُورَةٍ مِنَ الْعَصْرِ  
الْجَاهِلِيِّ ، وَشَرِيحَةٍ مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ ، أُسِيرَ إِلَى عَصْرِ النُّورِ ، عَصْرِ حُرِّيَّةِ  
الْإِنْسَانِ وَتَحْرِيرِهِ مِنَ الْعَبُودِيَّةِ الَّتِي لَنَغَمَسَ فِيهَا الْبَشَرُ فِي عِبَادَةِ  
الْأَصْنَامِ ، عَصْرٍ تَحَرَّرَ فِيهَا الْفِكْرُ وَذَاتُ الْإِنْسَانِ ، عَصْرٍ انْفَتَحَ الْفِكْرُ بِأَشْعَةِ  
الْقُرْآنِ ، وَانْقَشَاعِ السُّحُبِ الْمَتْرَاكِمَةِ فِي ذَلِكَ الْجَوْ الْمَلْبَّدِ بِأَسَاطِيرِ  
الْخُرَافَاتِ ، وَالْمَسْخَرِ لِأَفْرَادٍ لَمْ تَتَفَتَحْ عَقُولُهُمْ لِنُورِ الْعِلْمِ ، حَتَّى أُشْرِقَتْ  
عَلَيْهِمْ شَمْسُ الْإِسْلَامِ ، فَمِنْ شَرَبِ كَأْمِنَا مِنْ شَعَاعِهَا الشَّفَافِ الرُّوحِيِّ ، كَانَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَازَ السَّعَادَتَيْنِ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، وَمِنْ عَشَائِهِ ضَوْؤُهَا ، وَلَمْ  
يَتَفَتَحْ قَلْبُهُ لِرَشْفَةٍ مِنْ كُؤُوسِ ضِيَاءِ عِرْقَانِهَا ، أَصَابَهُ الرَّمْدُ وَالْكُمَةُ ، وَعَمَاءُ  
الْبَصِيرَةِ ؛ يَتَخَبَّطُ فِي ظَلَامٍ دَلَمَسٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ، فَضَلَّ عَنْ  
الصِّرَاطِ ، وَكَأَنَّهُ يَهْوِي مِنْ عَلٍ ، تَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ إِلَى أَسْفَلِ الْجَحِيمِ ، وَخَسِرَ  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .. ذَلِكَ الْخَسِرَانُ الْمَبِينُ .

وَلَا بُدَّ مِنْ إِشَارَةٍ ضَوْئِيَّةٍ تَصَوِّرُ مَعْنَى مَفْهُومِ الْإِعْجَازِ  
النَّبَوِيِّ ، فَلكلِّ نَبِيٍّ مَرْسَلٍ إِعْجَازٌ يَقَارَنُ الدَّعْوَةَ أَوِ التَّحْدِيَّ لَهُ مِنَ  
الْبَشَرِ ؛ وَلِحِكْمَةِ اللَّهِ الْحَكِيمِ تَكُونُ مَعْجَزَةُ ذَلِكَ النَّبِيِّ رَحْمَةً بِالْبَشَرِ .. يَكُونُ  
الْمَعْجَزُ عَلَى قَدْرِ طَاقَاتِ عَقْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ الَّذِي أُرْسِلَ فِيهِ النَّبِيُّ حَتَّى تَكُونَ  
الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بَيِّنَةً ، وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ .

فخذ - مثلاً - عصر الكليم موسى - على نبيِّنا وآله ، وعليه  
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - كَانَتْ آيَةُ الْإِعْجَازِ فِيهِ وَسِرُّ الشُّوْطِ  
التَّأَلُّفِيِّ : السَّحَرُ ، حَيْثُ بَلَغَ فِيهِ هَذَا الْفَنُّ إِلَى شُوطٍ مِنَ الْفِكْرِ ؛ وَإِلَى أَلْوَانِ

من دروب الإعجاب والتفاخر ، فكانت آية الكليم يده البيضاء والعصا التي  
تلقف ما يأفكون .

أمّا عصرُ المسيح : عيسى بن مريم - عليه وعلى نبيّنا  
 وآله ، أفضلُ الصلوة والسلام - فكانت الإشراقة الفكرية " الطب " ، حيث كان  
 له دورٌ في ذلك العصر في شفاء المرضى ، ولكنه لا يحيي الموتى ، ولا  
 يشفي الأكمه ، أو الأبرص ، أو الأعمى ، فتحدّاهم النبيّ : عيسى ، في  
 طبّهم ، فكان النبيّ : عيسى يحيي الموتى بإذن الله ويشفي الأكمه  
 والأبرص والأعمى بإذن الله .

أمّا عصرُ نبيّنا محمّد بن عبد الله - سيّد الرّسل صلّى الله عليه  
 وآله - فكان ذلك العصر طابعة الكلمة التي تترجم أسرار النفوس ، وتصور  
 خلجات الأرواح ، لأنّ الكلمة هي أثن شيء أهدتها لنا السماء ، لنعيش بها  
 ونخط أفكارنا بالقلم الكريم ونترجم مفهوم حياتنا وأسرارها في لغة التّخاطب  
 والرّغبات الذي لولا حروفه التي تترجم الرّسالات السّماوية وحروف  
 البشريّة ، فما وعينا تلك المثل ، فكان لتلك الكلمة في أفق البلاغة الشّوطُ  
 التّألّقي ، في قمة لم يصل الحرف في عصرٍ كذلك العصر ، في ضوئه  
 وبلاغته الفكرية ؛ فجاء سيّد الرّسل : محمّد بن عبد الله - صلّى الله عليه  
 وآله - بالقرآن يتحدّى الفصحاء والبلغاء ، ليعيد البشريّة إلى إنسانيّتها الفطريّة  
 التي جبلها الله عليها وفطرها ، وقد كشف لنا القرآن هذا الأفق الغائم ، في  
 تعبيرٍ بليغ ومفهوم يجسّد الحقيقة ويلمسها كلّ ذي فكرٍ واعٍ ؛ حيث صورها في  
 آية الكرسيّ ، في قوله - جلّ وعلا - في مقطعٍ من مقاطعها : (( والذين  
 كفروا أولياؤهم الطّاغوت ، يخرجونهم من الثّور إلى الظّلمات )) .

وَالنُّورُ الَّذِي أَشَارَتْ لَهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هُوَ نُورُ الْإِسْلَامِ ، نُورُ الْفِطْرَةِ  
الَّتِي يُولَدُ عَلَيْهَا كُلُّ فَرْدٍ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ ؛ وَكَمَا جَاءَ الْحَدِيثُ  
النَّبَوِيُّ يُوَضِّحُ لَوْنُ هَذَا الْمَعْنَى : (( كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ  
يَهُودَانِهِ ، أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ مَجَسَّانِهِ )) . فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ يَسْتَقْيَانِ  
مِنْ مَنبَعٍ وَاحِدٍ ، هُوَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالْخَالِقُ الَّذِي هُوَ  
أَعْلَمُ وَأَعْرِفُ بِأَسْرَارِ خَلْقِهِ ، قَبْلَ خَلْقِهِمْ ، وَحِينَ خَلَقَهُمْ فَلَهُ الْمَلَكُ يَحْيَى وَيُمَيِّتُ  
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فَعَصْرُ النُّورِ فَجَرَ أَشْرَقَ عَلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، وَهِيَ تَغْطِي فِي ظُلُمَاتٍ  
فَبَدَّدَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَتَبَخَّرَتْ كَمَا يَتَبَخَّرُ لِلضَّبَابِ بَيْنَ يَدَيِ الْعَاصِفَةِ ، وَزَرَعَ  
الْهِدَايَةَ فِي الْقُلُوبِ بِحَرْفٍ أَخْضَرَ ، فَنبَتَ فِي رُبِّ الْإِنْسَانِيَّةِ زَنَابِقُ  
وَوُرُودٌ ، وَفَتَحَ ضَوْءَ الْقُرْآنِ ، وَحَدِيثَ السُّنَّةِ الْعُقُولَ الْمُتَحَجِّرَةَ كَالْأَحْجَارِ ، بَلْ  
هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنْهَا ، فِي نَفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ ، فَنبَتَ كَمَا يَنْمُو الْغَصْنُ الْوَرِيْقُ ، فِي  
الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ ، فَكَانَ لِلشَّعْرِ حَظٌّ وَدَوْرٌ مِنْ قِبَسَاتِ هَذِهِ الْأَضْوَاءِ الَّتِي شَعَّتْ  
عَلَى آفَاقِ الْأَفْكَارِ ، فَطَوَّرَتْ الْحَيَاةَ لِلْفِكْرِيَّةِ ، وَأَمَدَّتْهَا بِأَلْوَانٍ مِنَ الصُّوَرِ  
الْمُتَحَرِّكَةِ ، فَأَخَذَتْ الشُّعْرَاءُ تَمَتُّرُ مِنْ هَذِهِ الْمَائِدَةِ السَّمْحَةِ الْعَطَاءِ ، الْغَنِيَّةِ  
بِالْتَّقَافَةِ الثَّرَاةِ بِالْعِلْمِ ، فَكَانَ لِلشَّعْرِ أَلْوَانٌ مِنَ التَّطَوُّرِ ، فَانْبَثَقَتِ الْكَلِمَةُ تَهْزُ قَلْبَ  
الْحَيَاةِ ، حَيْثُ فَتَحَ الْقُرْآنُ ، وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ ، وَنَهَجَ الْبَلَاغَةُ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ  
الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، صَوْرًا مِنَ الْمَعَانِي ، وَأَلْوَانًا مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَمِنْ  
الْبَلَاغَةِ وَمِنْ الْبَيَانِ مَا يَبْهَرُ عُقُولَ الْفَصَحَاءِ الَّذِينَ يَقِيمُونَ أَسْرَارَ الْبَلَاغَةِ  
وَيَحْسُونَهَا إِحْسَانًا فِكْرِيًّا ، يَشْبَهُ تَلَمُّسَنَا وَمَشَاهِدَتَنَا لِلْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ  
الظَّاهِرَةِ ، وَتَهْزُ الْكَلِمَةُ أَرْوَاحَهُمْ هَذَا ، عِنْدَمَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ ، أَوْ يَمْرُونَ بِتِلَاوَةِ تَفْيِضِ مِنْهَا أَنْوَارٍ قَدْسِيَّةٍ ، حَتَّى تَشَاهِدَ مِنْ رَانَ

على قلبه الضلال ، وبطن سماء حياته وقلبه العمى ، وجره غروره الغبي  
إلى مجارة القرآن !!

تجد ذلك الفصيح البليغ يتحداه القرآن بحرف واحد ، فإذا هو ينكفي  
وينكمش حتى يعود كطفل أبله ، أو ثرثار مهدار ، أو شيخ خرف ، لا يكاد  
يفصح بحروفه بل تتلعثم وتموت على شفثيه ، فيعود خاسئاً مجروح القلب  
والبصر ، إنه السر الكامن في إعجاز القرآن الذي لا يصل له الإنسان ولو  
كان بعضهم لبعض ظهيراً .

لقد هزت آيات القرآن الكريم المتكبر : الوليد " أبا خالد "  
وأخذته الرعدة ، والقشعريرة ، وبلغت منه البلاغة إلى أبعد  
حدودها ، فوصفه بوصف واقعي حقيقي ، لكنه نكت وعاد في نيهه وغروره  
يبيطنه عماء الضلال ، وأسف على قولته التي تصور بلاغة القرآن فردد نغمة  
العاجزين الضالين الذين لم يتذوقوا حرية الفكر ، فقال : هو سحر .

وظل سر هذا الإعجاز يواكب الانفتاح ، وهذا العطاء الخير الذي  
يحمل للبشرية كل ما تحتاجه في حياتها ، وفي مماتها إعجازاً يدور مع  
الشمس ، ومع الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ونحن نعيش على  
أواخر قمة القرن العشرين ، قرن الحاسوب الآلي وشبكة ( الإنترنت ) التي  
هي في تطورها فتح فكري من الفتوحات الضخمة ، قرن  
اختراعات المعجزات ، كالكهرباء وما يشبهها من  
الاختراعات الجديدة التي تعطينا أدلة على ازديادنا بمعرفة  
الله ، والإيمان بتوحيده ، ورسله ، وملائكه ، وكتبه ، واليوم الآخر .. وهذه  
كلها قد اقتبست من القرآن الكريم ؛ لأنه يمدنا بطاقات من تلك العلوم  
الكونية ، ألوان حياة ثرية .

ولكنهُ يؤسفنا كلَّ الأسف إهمال هذا الكنز من أصحابه المسلمين ، وقد احتفى بدراسته الغربيون ، والاهتمام بمعانيه ، وتطبيق ما فيه من علوم حيث أهملنا هذه الطاقات العلميَّة العقليَّة حتَّى أخذها واحتفى بها الغربيُّون ، وعاشوا على مائدة حضارة القرآن ، وطبقوا منه الحياة العلميَّة والفكريَّة في حياتهم دون الجهة العباديَّة اللَّتي هي الصَّلَّة بين العبد والمعبود الواحد الأحد .

فالقرآن لو طبَّقه المسلمون وعملوا بما بين دفتيه ، لكانوا اليوم السَّادة ، ولم يتحكَّم فيهم الغرب أو الشرق .

أسأل الله من قلبي : أن يعود المسلمون فيعملوا بكتاب الله نصًّا وروحًا ، لا تلاوةً جوفاء ! لو يجعلوه كالتَّعاويذ في صدور النِّساء والأطفال ، لا جوهر فيها ، ولا بُدَّ من إشارة حول إعجاز القرآن ، هل كان إعجازه من باب الصَّرْفَةِ من خالقنا ؟ أم هو إعجاز في ذاته تقصر عنه العقول وتخطُّ عنه فصاحة البلغاء ؟

والقرآن جاء في نروة شوط عصر البلاغة لذلك صحَّ له التَّحدِّي ، وكان المعجزة الخالدة اللَّتي لا تشبهها معجزة .

فالَّذي أراه أن الإعجاز هو مددٌ من خالقنا المكوِّن كلَّ شيء ، ويكمن إعجازه في ظاهرة من الظواهر البلاغيَّة متَّصفاً بذاته وأسلوبه الرَّائع الَّذي لم يسبقه أسلوب في هذا الكوكب ، منذ دورانه حول الشَّمس كأسلوبه الإبداعيِّ الَّذي مهما أُراد البلغاء ، والفصحاء أن يأتوا بحرفٍ من مثله ، لا يستطيعون ، لكونه معجزاً في ذاته لا بمحضٍ من باب الصدفة أو الصَّرْفَةِ .

وقد جاء القرآن في عصر الفصاحة والبلاغة في أوج تألق  
ذروتها ، وبرغم التحدي لهم لم يستطيعوا أن يأتوا بحرف من مثله ، بل تراهم  
يسفون في هدر كهر المجانين ، والصبيّة الذين يتغنّون ولا يفصحون في  
نطقهم ..! وهنا يكمن سرُّ الإعجاز الدائمي ، وبهذه التوطئة عن عصر  
النور ، عصر الإسلام نسير إلى شعرائه فنختار بعض النماذج من تلك  
الشريحة .

خُفَاف بن نَضْلَة





شاعرٌ مخضرمٌ تشرفَ بالمثول والوفادة على سيّد الخلق  
 الرسول : محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله - وأنشده  
 شعراً ... ويضيف التاريخ : أن النبي - صلى الله عليه وآله -  
 وسلّم - استحسن شعره وقال كلمته للبليغة التي لم يسبقه قبلها  
 الأولون ، ولا يلحقه الآخرون : إن من البيان لسحراً ، ، وإن من الشعر  
 لحكمة .

إنها كلمة تُضيء للفصحاء والبغاة طريق الحياة جيلاً بعد  
 جيل ، وقرناً بعد قرن ، ولم تُف على تاريخ ميلاده ، ولا غروب حياته  
 فلنستمع لقصيدته :

إن بالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ مَلْعِ  
 لَقَتِيلاً دُمُهُ مَا يُطْلُ  
 خَلَفَ الْعِبَاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى  
 أَنَا بِالْعِبَاءِ بَعْدَهُ مُسْتَقِيلُ  
 وَوَرَاءَ الثَّأْرِ مِنِّي ابْنُ أَخْتِ  
 مَصِيعٌ ، عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ  
 مُطَرِّقٌ يَرِثُحُ مَوْتَا كَمَا أَطْرَقَ  
 أَفْعَى يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُ  
 خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُضْمَمِلُ  
 جَلُّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ

بَزْنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غُثُومًا  
بَأَبِي جَارُهُ مَا يُدَلُّ  
شَامِسٌ فِي الْقُرَى ، حَتَّى إِذَا مَا  
ذَكَتِ الشُّعْرَى ، فَبَرْدٌ وَظِلُّ  
يَابِسُ الْجَنَبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ  
وَنَدِي الْكَفَيْنِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ



الشاعر افتتح قصيدته التي افتتحنا بها عصر النور ، بفخر  
وبطولة ، كما درج عليها شعراء العصر الجاهلي ؛ حيث إن الشعراء  
المخضرمين لم يشربوا من كأس ضوء شمس الإسلام ، ولم ينفثوا على  
معارفه لأنهم على عتبتة ، فساروا ردحا من الزمن على طريقة الفخر  
والمدح والهجاء ، لأن التراث من العصر الجاهلي لا يزال يجري في  
شرايينهم .. لم يتخلصوا منه .

فالشاعر : " خفاف " صور مشاهد من التراث ، فاسمعه - وهو  
يتحدث في مطلع هذه القصيدة - فأصغ معي إليه ، وهو ينشد هذه القصيدة  
التي يفخر فيها بشجاعته ، وشجاعة ابن أخته الذي يتقطر منونا ، وينفث كما  
تنفث الحية سمومها ، وإن أي قتيل هم ولاه دمه ، أو ينتمي لقبيلتهم  
فدمه لا يطل ، لا يسكب على الرمال الصادية فيضيغ هـدرا ، بل  
تروى هذه الرمال السمراء ، ويؤخذ القود من قتلته .

ويمضي الشاعر : خفاف ، في معزوفته الفخرية فيصف ابن  
أخته : أنه على جذب من المال ، ولكنه معطاء تفيض كفه بالكرم ، وإن

جاره لا يهان ولا يذلُّ ... إلى آخر المقطع الذي يشيّد فيه الشّاعر  
بالأوصاف العربيّة ، والحياة الاجتماعيّة .  
ونكتفي بهذه اللّقطّة التحليليّة المقتضبة ، لهذا المقطع من  
القصيدة ، ونسير لشاعر آخر .



حسّان بن ثابت

٥٤هـ - ٦٧٤م

حسّان بن ثابت بن منذر الخزرجي الأنصاري : الصحابي ، شاعر  
النبي " ص " وقد وجدتُ في كتاب الغدير ، المجلد الثاني ، ص ٧ - طباعة  
مطبعة مروي ، الطبعة الرابعة ، جمادى الأولى - ١٤١٠هـ - الموافق  
١٣٦٨م - ما نصّه : (( قد دعا له الرسول الأعظم بقوله : ( لا تزال يا حسّان  
مؤيداً بروح القدس ، ما نصرتنا بلسانك ) وكان - صلى الله عليه وآله - يضع  
لحسّان منبراً في مسجده الشريف )) .

وهو أحد المخضرمين الذين أدرکوا الجاهليّة والإسلام ، عاش  
سنتين سنة في الجاهليّة ، ومثلها في الإسلام ، وكان من سكّان  
المدينة ، واشتهرت مدائحه في الغسانيين ، وملوك الحيرة قبل  
الإسلام ، وعمي قبل وفاته ، وتوفي في المدينة .

إنّ التاريخ لم يسجل للشاعر حسّان تاريخ ميلاد محدّد بالشهر ، أو  
بالعام ، إلّا أنّ الرواية أعطت تاريخاً مبهماً ؛ حيث تقول إنّّه عاش سنتين عامّاً  
في العصر الجاهليّ ، وستين عامّاً في عصر الإسلام : عصر النور ، ولعلنا  
على ضوء هذه الرواية لو لخصنا المدة الزمنيّة ، ورجعنا القهقري ، لربّما  
نستخلص منها التاريخ الميلاديّ ، ونحدّده في أيّ عام ؛ ولكن .. هكذا الرواية  
التي قرأناها في بطون الكتب ، ورويناها حرفياً .

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ

إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلَهَا خَلَاءُ

يُبَارِينُ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتِ

عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَمَلُ الظَّمَاءُ

تَظَلُّ حَيَاذُنَا مُتَمَطَّرَاتٍ  
تَلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ  
فَلِمَا تُعْرِضُونَا عَنَّا اعْتَمَرْنَا  
وَكَانَ الْفَتْحُ ، وَالْكَشَفَ الْغِطَاءُ  
وَالْأَ ، فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ  
يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مِنْ يَشَاءُ  
وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِيْنَا  
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ  
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا  
يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ  
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوهُ  
فَقُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ  
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا  
هُمُ الْأَنْصَارُ غُرَضَتْهَا اللَّقَاءُ  
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ  
مِيبَابٌ ، أَوْ قِتَالٌ ، أَوْ هَجَاءُ  
فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا  
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ  
أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي  
فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَجِبٌ هَوَاءُ  
بِأَنْ يُؤْفَنَا تَرَكَّكَ عَبْدًا  
وَعَبْدَ الدَّارِ مَادَتْهَا الْإِمَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ  
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ  
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍ  
فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمَْا الْفِدَاءُ  
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا ، حَنِيفًا  
أَمِينَ اللَّهَ ، شِيَمَتُهُ الْوَفَاءُ  
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ  
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي  
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
فِيمَا تُثَقِّفَنَ بَنُو لُؤَيٍّ  
جُدَيْمَةَ إِنَّ قَتْلَهُمْ شِفَاءُ  
أُولَئِكَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا عَلَيْنَا  
فَفِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ  
وَحِلْفُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ  
وَحِلْفُ قُرَيْظَةَ مِنْ بَرَاءِ  
لِسَانِي صَارَ لَا غَيْبَ فِيهِ  
وَبَخْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ



وقفه معي أيها القارئ ، لنرى كيف كان الشعر وتأثيره في  
الحياة ، في فاتحة الإسلام ، فهذا حسان بن ثابت : شاعر النبي - صَلَّى  
الله عليه وآله وسلم - يدخل المعركة ، ولكن .. لا بالسنان ! إنما



بِاللِّسَانِ ، فصارمه لسانه ، فهو ينافح به في حرفٍ يُؤدِّي مآ يؤدِّيه  
السَّيْفِ ، في ظرفٍ قد يكون أبلغ من السَّيْفِ ، وموقعه أنجع من  
السُّيُوفِ البِيضِ ، والرِّمَاحِ والسَّيَّانِ .

تحدَّثَ الشَّاعرُ حَسَّانَ ، عَنَ النَّسِيبِ ، وما فيه من تشبيبٍ ، على  
الطَّرِيقَةِ الَّتِي درج عليها الشُّعراءُ القِدَامِيُّ الَّذِينَ سبقوه في العصر  
الجاهليِّ ، وخلص إلى مدح سيِّد البشر : رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله  
وسلَّم - فأعطانا صورة مشاهدة متحركة ، وهجا المشركين ، وعلى  
رأسهم : قائدهم أبا سفيان ، وكان يودُّ أن يفدي سيِّد الخلق : رسول  
الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم - بجميع أهله ، وأن يكون أبو سفيان  
فداءً ، لأنَّه كلُّه شرٌّ ، لا خير فيه ، والرَّسولُ كلُّه خير ، خلق من الخير  
فنفح الخيرات .

إنَّما هو عطاءٌ من خالق السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ، وفيض نعمة ورحمة  
منه على البشريَّةِ ، فكان الشَّاعرُ حَسَّانُ بلغ في تعبيره إلى حقيقة  
صادقة ، وجلَّاهُ في هالة حرف نورٍ ، وهذا أصدق حقيقة واقعيَّة  
ملموسة ، وطلب جزاءه من ربِّه ، وإنَّ لسانه هو الصَّارمُ الَّذِي يحارب به في  
هذه المعركة الحربيَّةِ ؛ فلحروف صولات وجولات تدور في ميادين الحرب  
بإزاء صفائح البِيضِ الَّتِي تجلو الشُّكَّ والرَّيبَ .

وقد أثبتنا نموذجًا من هذه القصيدة ، فهي بين يدي القارئ ، عندما  
يريد أن يقرأها ، ويرى ما فيها من دورٍ للشُّعر وتأثيره ، وكيف كانت الرِّسالة  
في فجرها الأوَّل تعتنى بالحرف لأنَّها قلب العلم ، والثَّقافة ، ترسل  
أضواءها ، إلى جميع أفكار البشريَّة بدون تفريق ، فقد كان حَسَّانُ له أدوار  
سارت مع موكب النور إلى جانب السَّيْفِ .

ويحسن بنا أن نتمثِّل بمقطع لأحد شعراء القرن العشرين : العلامة  
السَّيِّد / محمد سعيد الحبوبي النجفي :

رُبَّ أَقْلَامٍ تَضَاهِي الْأَسْلَه

فِي شَبَاهَا وَحُدُودِ الْمَشْرِفِ

هِيَ أَحْرَى لِلْفَتَى مَعْتَقَلَه

حَيْث لَا زَحْفَ لَغَيْرِ الْأَحْرِفِ

والتَّارِيخُ يُسَجِّلُ لِلشَّاعِرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الشُّجَاعَةِ  
اللِّسَانِيَّةَ ؛ وَيُسَجِّلُ لَهُ الْجَبْنَ الْمِيدَانِيَّ ، حَيْثُ يَنْزَوِي وَيَنْكَمِشُ فِي  
الْخِيَمَاتِ ، مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ... حَتَّى سَجَّلَ التَّارِيخُ عَنْهُ قِصَّةً غَرِيبَةً  
فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ : حَيْثُ وَجَدَ يَهُودِيًّا يَطُوفُ حَوْلَ الْخِيَامِ ، مِنْ خَارِجِهَا  
فَنَادَتْهُ إِحْدَى عُمَّاتِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَنْ يَخْرُجَ  
لِلْيَهُودِيِّ ، فَيَقْتُلَهُ ، فَأَبَى وَاصْفَرَّ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ ؛ وَخَرَجَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ  
الشُّجَاعَةُ بِعَمُودٍ وَضَرَبَتْ الْيَهُودِيَّ فَصَرَعَتْهُ وَعَادَتْ لِلْخِيَامِ .

الخنساء

تماضر بنت عمرو بن الشَّريف السُّلمية

( ٢٤هـ - ٦٤٥م )



ولدت في بيت ذي جاهٍ وثروة ، ثم تزوّجت مرتّين : الأولى بعبد العزّي ، وولدت له ولداً سُمّيَ عمراً ، وعرف بأبي شجرة ، واقتربت للمرّة الثّانية بمرداس السّلميّ ، فولدت له أولاداً عدّة اشتَهروا جميعهم بالفروسيّة ، وقول السّعر ، كما خطبها دريد بن الصّمة : فارس هوزان ، وسيّد بني جُشم ، فرنته ، لكبر سنّه ، فهجاها ، فلم تُردّ عليه ، فسئلت في ذلك ، فأجابت : لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه .

وتسميتها بالخنساء ، لسحر عينيها اللّتين شبّهتا بعين البقرة الوحشيّة ، في جمالها ، والخنساء دخلت التّاريخ من أوسع آفاقه ، وتقنّن الرواة في حياتها ، وأكثر للكاتبون والنقاد عن شعرها ، وديوانها أوتار باكية وأناة يبطنها الألم ، فشعرها كلّهُ تفجّع ، على أخويها : معاوية وصخر ، وجلّة دمة حزينة تنسكب على أخيها : صخر .

كما روى التّاريخ : أنّها فقدت عينيها السّاحرتين ، وهي أجمل وأفتن ما فيها لكثرة البكاء على أخويها .

وقد اخترنا من هذا اللّيون أشهر قصائدها التي حفل بها الأبناء وحوتها بطون الأسفار ، والقصيدة تروبو على خمسة وثلاثين بيتاً ، اخترنا منها عشرين بيتاً ، لنتناولها بالدرس والتحليل :

قَدَى بَعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ

أَمْ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ

فَيَنْضُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِذْرَارُ

تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلَّهَتْ  
وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ الثَّرْبِ أَسْتَارُ  
تَبْكِي خُنَاسُ فَمَا تَنفَكُ مَا عَمَرَتْ  
لَهَا عَلَيْهِ رَيْنٌ ، وَهِيَ مِفْتَارُ  
تَبْكِي خُنَاسُ عَلَى صَخْرٍ ، وَحَقُّ لَهَا  
إِذْ رَابَهَا الدَّهْرُ ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ  
لَابُدُّ مِنْ مَيَّةٍ فِي صَرْفَهَا عِبْرُ  
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ  
قَدْ كَانَ فِيكُمْ أَبُو عَمْرٍو يَسُودُكُمْ  
نِعْمَ الْمَعْمَمُ لِلدَّاعِيَنِ نَصَّارُ  
صَلْبُ النَّحِيْزَةِ وَهَابٌ إِذَا مَنَعُوا  
وَفِي الْحُرُوبِ جَرِيءُ الصَّدْرِ مَهْصَارُ  
يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَادَرَهُ  
أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ  
مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضِلَةٍ  
لَهُ سَلَا حَانَ : أَنْيَابٌ وَأَظْفَارُ  
وَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ طَيْفٍ بِهِ  
لَهَا حَيْنَانٍ : إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ  
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ ، حَتَّى إِذَا اذْكَرَتْ  
فِي أَمَّا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ  
لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رَتَعَتْ  
فِي أَمَّا هِيَ تَخْنَانٌ وَتَسْجَارُ

يَوْمًا بَأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي  
صَخْرٌ وَلِلدَّهْنِ إِخْلَاءٌ وَإِمْرَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدَنَا  
وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا لَمِقْدَامَ إِذَا رَكِبُوا  
وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لَعَقَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاهُ بِهِ  
كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ  
جَلَدٌ جَمِيلُ الْحَيَا كَامِلٌ وَرَعُ  
وَلِلْخُرُوبِ غَدَاةُ الرُّوْعِ مِسْعَارُ  
حَمَالُ الْوَيْةِ هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ  
شَهَادُ أَنْدِيَةِ لِلْجَيْشِ جَرَّارُ  
نَحَارُ رَاغِيَةٍ مِلْجَاءُ طَاغِيَةٍ  
فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ لِلْعَظْمِ جَبَّارُ



افتتحت الخنساء قصيدتها للمأساوية بلحنٍ باكٍ ، وخطاب تجريدي  
كأنها تجرّد شخصًا من نفسها ، في تساؤلٍ حزينٍ باكٍ ، والتّجريد : هو نوع  
من ضروب الفصاحة والبلاغة ، ومستساغٌ نوقًا وفكرًا حتّى يومنا هذا ، لأنّه  
يصوّر من نفسه شخصًا آخر ، ليسكب عواطفه في خطاب يفرغ فيه  
عطاءه ، في حروف فيها خلجات نفسيّة في أساليب ألوان متنوّعات  
الأهداف ، فتفتتح حرفها بزفرة الآمها ، في تصوّر تساؤل استفهام

تقريرى : أفي عينيك آلام وأوجاعٌ ذرفتها قطرات من الدُموع ، حين أبصرت الدَّار تشبه البدياء .. فهي تعيش فراغاً من ظلِّ الحبيب الذي يملؤها بالكرم والغبطة والسُرور ، وترسم صورةً للذكرى كلما خطرت أطراف هذه الذكرى ، في سماء بيتها وأهاجتها ، فترسل الدُموع سخيةً مدرارةً .

ويتابع رسم الصورة الحزينة ، إنها تبكي من أجل صخر ، ولكن صخرًا لا يسمع صوت هذا الوله ؛ لأنه غاب خلف أتربة وحجارة صماء .

وتواصل نشيدها الحزين فتصف الدهر : أنه ذو نكبات وأضرار ، وإن الموت فيه عبرٌ ، لمن اعتبر ، وإنها لا ترى أخاها يأخذ حيزًا يتحرك أمام عينيها ، في تلك الحياة المحفوفة بذاك الخلق على وصفها .

وتستمر في نوحها الطويل الذي أفقدها بصرها في شكواها المرة ، من فقد أخيهما فتوغل في الوصف فتعطي أخاها ألوانًا من النعوت ، وهذه النعوت : الكرم ، الفخر ، الشجاعة ، إلى أمثال هذه الصفات في أسلوب مبتذل - في ذلك العصر - بكثرة حتى التخمّة ؛ فلم تأتِ الخنساء بشيء جديد ، كما إن وحدة موضوع القصيدة قلّ ما يوجد في شعر العصر الجاهليّ ، أو المخضرم ، إلا على نادرة ، ومن النُدرة هذه القصيدة المأساوية ؛ حيث حفلت صورها بوحدة الموضوع .

فقصيدتها عين باكية ، وقلبٌ كلیم ، فإن دلّ على شيء ، فیدلّ على وفائها لأخويها اللذين عايشتهما ، فلم تفارقها ظلال ذكراهما التي انطبعت في عينيها ورسمت صورتها في قلبها .

وكانت العرب تولي الأخت ميزة تعطيها خصوصيةً تتفرد بها دون الزوجات والأمهات ، وهي صفة معنوية تربطهم ربطاً روحياً وجسدياً بالأخت وتشدهم إليها شداً عنيفاً ... يهتفون بحياتها ويقسمون بقدرها ، في نواديهم ومجتمعاتهم وحربهم وسلمهم كما تبادلهم الأخت الصفة ذاتها .



وقد تجسّدت هذه الظّاهرة في أحرف شعر الخنساء ، وصوّرتها  
شعراً في لونٍ حزينٍ من ألوان حياة ذلك العصر ، وحتّى في المعارك  
الحربيّة ... فتراهم يتغنّون بذكرها ، ويهتفون باسمها ، ومن هذه الظّاهرة  
التعلّقيّة تولّد شعر الخنساء ، وأشرق من هذا الأفق النّفسيّ ( سيمفونيّة )  
حزينة مأساويّة باكية .



كعب بن زهير بن أبي سلمى

نحو ٢٦هـ - ٦٤٥م

شاعر عالي الطبقة من أهل نجد ، اشتهر في الجاهلية ، ولمّا ظهر الإسلام هجا للنبيّ " ص " فهدر دمه ، ولكنّ أخلاق الرسول " ص " النّمتة العطاء ، والبارّة بالإنسانيّة التي لا تقابل المسيئين إلّا بالإحسان والعفو المطلق ، بلا حدود ، فتكرّم فمنّ عليه بعفو كريم ، وطمأنينة هنيئة في عيش رغيد ، في ظلّ الرّسالة المحمّديّة ، عندما جاءه كعب مستسلماً مستأمنًا ، وغمره الرسول " ص " بكرم فياض فمَنَحَه بُردتَه ؛ فهيّ وسامٌ مجدٍ في الدنيا ، وبركة ، وحاجزٍ عن لهيب النّار في الآخرة ، إذا سار على منهج الرّسالة ، فأنشده لاميّته المشهورة التي مطلعها :

### الأميّة الأولى البرم منبول

وهو من أعرق النّاس في الشّعْر ، فأبوه زهير بن أبي سُلمى من طبقة الشعراء القدماء الجاهليّين وأعلامها ، وله المعلّقة المشهورة كما إنّهُ تولّد من أفق فكر وشعر ... فأخواه : الحَكَمُ وبُجَيْرٌ ، وأبناؤه : عقبة والعوَّام وكلّهم شعراء ، فهو من سلسلة فكر متألّق .

وقد أخذت لاميّته حيّزًا من الحياة الفكريّة ؛ ودورًا في الأدب العربيّ ، منذ أنشأها الشّاعر حتّى يوم النّاس هذا ، حيث أخذ الشعراء يجارونها ويشطّرونها ويخمسونها للتّبَرُّك بمن قيلت فيه ، لأنّها قيلت في أشرف مخلوق ، وسيّد الإنسانيّة من الأوّلين والآخريّن ، ويزيد هذه القصيدة شرفًا الجائزة العظيمة التي مَنَحَها رسول الإنسانيّة " ص " بردته لشاعرها ، فأخذ الشعراء يتبّارون في مجاراتها :

بَأْتِ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ  
 مُتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولُ  
 وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا  
 إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ  
 تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتَ  
 كَأَنَّهُ مِنْهُلٌّ بِالرَّاحِ مَغْلُولُ  
 شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَخِيئَةٍ  
 صَافٍ بِأَنْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ  
 تَجَلَّوْا الرِّيَّاحُ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ  
 مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ يَبِضُّ يَغَالِيلُ  
 يَا وَيْحَهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ  
 مَوْغُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ التُّنُجَّحَ مَقْبُولُ



افتتح الشاعر : كعب بن زهير بن أبي سلمى قصيدته التي مدح بها  
 المصطفى " ص " بالتشبيب جرياً منه في مجرى حلبة الشعراء الذين سبقوه  
 من العصر الجاهلي ، ولم يفصله عنهم زمن بعيد .. فهو أحد أبطال ذلك  
 العصر ، فهو مخضرم ؛ فدرج على أسلوبه الذي لم يشرب - بعد - من كأس  
 معارف شمس الإسلام فتحولته إلى حياة جديدة ، حيث لم يشهد الإسلام ، فبدأ  
 قصيدته بأسلوبه الغزلي ، وجاء للرَسُول " ص " ليشهد الإسلام  
 ويستتير بنوره ، ويشرب من المعارف المحمديّة ، فبدأ قصيدته  
 بالتشبيب ؛ وكانت الحبيبة فيها : سعاد ، وفي مقاطعها تصوير للفراق

واللوعة من جرّاء هجر الحبيب ، فيرى نفسه مكبلاً ، أي : مقيداً ، وإن قلبه وعقله ذهب بهما الحب ، والسقام .

ويعود فيصف محبوبته بفتنة الجمال ، والسحر الحلال على منهج الشعراء القدامى ، والطريقة السابقة التي تصف المرأة جسدياً ، ولا تصفها روحياً ، كما أحب أن أبدي رأياً أدبياً ، ولعلّي أنفرد به أو لا يؤيدني ذوو الفكر والأدباء فيه ، وهذا الرأي يدور حول فاتحة القصيدة التشبيبية .

فرايبي أن هذه القصيدة ما دامت مدحاً في سيّد الخلق ، فالأدب يقتضي عدم افتتاحها بالغزل والتشبيب ، وإنما يستساغ ذلك تنوقاً ، لو كان الممدوح غير سيّد الخلق ، فكان الأحرى به أن يبدأ بمدح الممدوح من أول فاتحتها حتى خاتمتها : لأنها في منقذ الإنسانية ، والمجال والصور آفاق واسعة ثرة ، لا يستطيع الرسّام الماهر أو البليغ الحائق أن يصوّراً هذه الشخصية ، أو يرسمها في إطار حيّز ينكمش في هذه الحياة ، مهما أوتيا من طاقات وقدرات عبقرية ماهر أوتي أسرار البيان والبلاغة ، لا تستطيع تجسيد هذه الشخصية فهي - إن توصف - إنما تشير إلى بعض صفات ظاهريّة ؛ ولا تصل إلى ما وراء الصفات .

غير أن تعلّقي على الافتتاح بالغزل ... لا قيمة لهذا الرأي بعد أن مرّت هذه القصيدة على الرّسول الأعظم " ص " بسمع ومرأى ؛ ولم يرو لنا التاريخ أن نبيّ الرّحمة اعترض على الشاعر بنقد هذا الأسلوب ! فإذا الصمّت لولى ، لأن هذا اللون من الشعر تقبّله الرّسول الأعظم نو الصّدركبير الرّحّب ، والأخلاق العظيمة ، الذي مدحه فاطر السّموات والأرض في كتابه الكريم ؛ فقد قبل الرّسول الأعظم هذه القصيدة كما هي ، كما شمله الرّسول بالعمو والعطف فإنّه بعث رحمة للعالمين !

وبعد أن انتهى للشاعر : كعب ، من مقطع غزله ، دخل إلى فاتحة مدح سيّد البشر ، فكان له الفوز بمدح منقذ الإنسانية وسيّدها من أول ما

خلق الله البشر حتى آخره ، سيّد الأنبياء وأشرف الخلق ، فكان في افتتاحه في مدح سيّد البشر براعة وزخم .

وقفة أيّها القارئ العزيز ، لتعرف كيف تخلّص الشاعر بمفاجأة تلفت السّامعين ، وتسمّر الأفكار ؛ حيث بدأ بوصفه لمنقذ الإنسانية .. إنه رسولٌ ، وسيفٌ يُمتضاء به ويستصبح به في عتمة الحياة ، ولكنه ليس من سيوف البشر ، إنه مهنّدٌ من سيوف الله التي تملأ الأرض أنواراً ، وقسطاً ، وعدلاً .

ويستمرّ في هذا الوصف ، لأنّه في مجال إنسانيّ متعدّد الجوانب الإنسانية ، والفضيلة التي لا توجد مثلها في البشريّة . ثمّ يُنتهي على صاحب الرّسول الذين آمنوا ، برغم الضّغط الصّئمّي على المسلمين وملاحقتهم ، والتضييق عليهم ولكنهم لا يرهبون بما لاقوه ؛ حيث إنهم ذوو عقيدة صلبة ، والعقيدة لا تُقلّ بالنّار ولا الحديد ، بل تتغلّب على كلّ قوّة سلاح ونار ، وليسوا بطلاب مال أو أطماع .

فصاحب العقيدة يلبس قلبه بدل السّلاح ، ويموت ضحية في نصر عقيدته ، وكان هؤلاء - كما وصفهم الشّاعر : كعب بن زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي كانت له فاتحة خير في حياته - فهي من القصائد التي تعاش الحياة ، حيث شرفت باسم منقذ الإنسانية فارثع رصيدها :

إِنَّ الرُّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ

مُهَنَّدٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ مَسْنُولُ

فِي غَضَبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ

بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا اسْتَلَمُوا : زُؤُلُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ

عِنْدَ الْلِقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِلُ

ثُمَّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ، لَبُوسُهُمْ

مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَايِلُ

بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقُ

كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَغْصِمُهُمْ

ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ

قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا

لَا يُوقِعُ الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ

مَا إِنَّ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ





# العصر الأموي



إنَّ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ لَمْ يَتَغَيَّرْ أَطْرُوحَتُهُ فِي مَفْهُومِهِ وَإِطَارِهِ الْعَامِّ  
الْمُتَلَوَّنَ بِالْحَرْفِ فِي تَأْثِيرِهِ فِي الْحَيَاةِ ، وَإِنْ تَبَايَنَتْ أَهْدَافُهُ وَتَلَوَّنَتْ فِي اللَّبَنَاتِ  
الَّتِي تَصَوَّرَ مَجْتَمَعَهُ الْحَاضِرَ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ إِلَى عَصْرِ النُّورِ ، وَحَتَّى  
العصر الأموي ، حيثُ فَتَحَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمَ ، وَالْمُسْنَدُ النَّبَوِيُّ ، وَنَهَجَ الْبَلَاغَةُ  
أَلْوَانًا مِنْ آفَاقِ الثَّقَافَةِ الرَّقِيعَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَفَتَحَا مِنْ كُنُوزِ الْمَعَانِي لَمْ يَعْمَلْ  
البشرُ ، وَلَمْ تَذَرْ خَلَجَاتٌ مِنْهَا بَآفَاقَ الْمَفْكُرِينَ ، فَفَتَحَتْ آفَاقًا مِنَ الْحَسِّ ، فَلَوَّنَتْ  
الشَّعْرَ بِأَلْوَانٍ حَسِّيَّةٍ ، وَصُورَ مُتَحَرِّكَةٍ ، وَتَرْكِيبَاتٍ لَمْ تَسْتَعْمَلْ مِنْ ذِي قَبْلِ .

وَأَمْضِي إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَوَاطِئِ هَذَا الْبَحْثِ التَّحْلِيلِيِّ  
الدِّرَاسِيِّ ... إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ فَتَحَتْ كَوَّةَ لَوْنٍ مُبْدَأً لِلْعُنَاصِرِ الْأَوَّلِيَّةِ  
لِلْقِصَّةِ الشَّعْرِيَّةِ وَحَوَارًا يَدُورُ فِي الْقِصِيدَةِ بِأُسْلُوبٍ رَفِيعٍ شَيْقٍ مَغْرِبٍ .

وَلَعَلَّ أَوَّلَ شَاعِرٍ وَضَعَ أُسْلُوبَ الْقِصَّةِ ، أَوْ نَوَاهِ الْقِصَّةِ فِي الشَّعْرِ  
الْعَرَبِيِّ ... عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَفِي أُسْلُوبِهِ الشَّعْرِيِّ تَحَاوُرٌ ، وَنَوَاهِ الْقِصَّةِ  
الْعَرَبِيَّةِ سَنَدَلٌ عَلَى هَذِهِ النُّظَرَةِ الْأَدْبِيَّةِ فِي قِصِيدَتِهِ الرَّائِيَةِ الشَّاهِرَةِ ، حِينَمَا  
نُورِدُ لَهُ شَرِيحَةٌ مِنْ شَعْرِهِ .

وَلَا نُنْكِرُ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ مَا جَنَّدُوا مِنَ التَّنَطُّورِ فِي الْقِصَّةِ  
وَالْأُسْلُوبِ ، وَإِنْ كَانَ الْفَضْلُ لِلْقِنَاءِ فِي وَضْعِ النَّوَاهِ ، وَلَا نُنْكِرُ أَنَّ الْقِنَاءَ  
عِنْدَمَا عَالَجُوا الْقِصَّةَ سَوَاءً كَانُوا قَاصِدِينَ هَذَا اللَّوْنِ الشَّعْرِيِّ أَوْ غَيْرِ  
قَاصِدِينَ ، لَمْ تَكْتَمَلْ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ مِنْ قِصَائِدِهِمُ الْعُنَاصِرِ الْفَنِّيَّةِ  
لِلْقِصَّةِ : كَالْقِصَّةِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي كَانَ لَهَا فِي الشَّعْرِ وَالنَّثَرِ دَوْرٌ وَلَوْنٌ مِنَ أَلْوَانِ  
أَدْبَانِ الْحَدِيثِ ، لِمَوَاكِبَتِهَا التَّجْدِيدَ وَالتَّنَطُّورَ فِي الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ ، وَأَخَذَتْ حَيْزًا  
مِنَ الْفِكْرِ ، يَغْطِي رَقْعَةً مِنْ هَذَا الْحَرْفِ الْأَخْضَرِ ، وَنَبْدَأُ بِنَمُودَجٍ مِنْ بَعْضِ  
شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ .



عُمَرُ بن أبي ربيعة

٢٣هـ - ٩٣هـ / ٦٤٤م - ٧١١م



ولد عمر في المدينة المنورة ، ونشأ في بني مخزوم وهي أمة  
بيوت قريش ، وأعظمها جاهاً وثروة في الجاهلية ، والإسلام .  
وشبَّ عمر على الترف والفرار ، يتقلَّ من بلد إلى بلد آخر ، بعيداً  
عن السياسة ومشاكلها ، منصرفاً في نعيم اللُّهو والعبث ولا سيمًا في مواسم  
الحج .

كان عمر يحبُّ الجمال في ذاته ، وفي غيره ، فتأنَّق ، وكان  
ذَرِبَ اللِّسان .. حلو المعاشرة ، لا يرى في الحياة سروراً إلاَّ  
جَدَّ في طلبه ، والحصول عليه من أيسر السُّبل .

وجعل عمر بن أبي ربيعة للمرأة دوراً ، وحيزاً ضخماً ، وغطَّت  
رقعة من شعره ، وصبغت أحرفه ألواناً من وصف المرأة وجمالها ، وحياتها .  
فهو شاعرٌ غَزَل ، فتح في شعره ألواناً أثرى به الشعر العربيَّ يمدُّه  
بصُورٍ من سحر المرأة ، وكان مجتهداً ، حيث لم يتأثر بطريقة الشعر  
التقليدي ، بل تميَّز بفنٍّ من فنون الشعر ، وغرس غرسة نواة القصيدة وإن  
سبقه الشعراء الجاهليُّ لمرؤ القيس - ولكنه لم يضع لمسات الفنِّ في  
نواتها الأولى ، كابن أبي ربيعة فهو شاعر الحبِّ ، شاعر الغزل ، وسنتحدث  
عن قصيدته التي دارت في الحياة مع الزَّمن حتى يومنا هذا :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

غَدَاةَ غَدٍ ، أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرُ ؟

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا

فَتُبْلِغْ عُذْرًا وَالْمَقَالَهَ تُعْذِرُ

افتتح عمر بن أبي ربيعة رائعته التي هي في روعتها روعة  
الشمس في الغروب ، عندما تسكب ألواناً من خيوطها الذهبية على قمم  
عراس النخيل ، والأشجار ، يتساعل عن رحلته الغرامية التي هي كأطراف  
الفجر في الصباح الباكر ، أو كوهج الشمس عند الهجير ، يحدث الخطى ظامئ  
القلب كظلم قلب الصّحراء في قائضة الصيف .

وهذا الرّحيل ليس هو ضرباً من العبث .. إنما باعثه سرُّ نفسٍ لا  
يكاد يبين منها حرفاً إلاّ على خطوط الوجه ، فالعذر في هذه الرّحلة مقبول  
لأنه ينطوي على رسالة قلب يريد الشاعر أن يوصل هذه الرّسالة الشّوقية  
إلى فم حبيبته ، وإن كلّفته المشاقّ والجهد والأخطار كما صورها الشاعر  
صوُراً متحرّكة في هذه القصيدة :

الْكُنِّي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ ، فَإِنَّهُ

يُشْهِرُ الْمَايَ بِهَا وَيُنْكَرُ

بِأَيَّةٍ مَا قَالَتْ غَدَاةً لَقِيَتْهَا

بِمَذْفَعِ أَكْنَانٍ : أَهَذَا الْمُشْهِرُ ؟

أَشَارَتْ بِمِذْرَاهَا وَقَالَتْ لِأُخِيهَا

أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ ؟

أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ

وَعَيْشِكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أَقْبَرُ



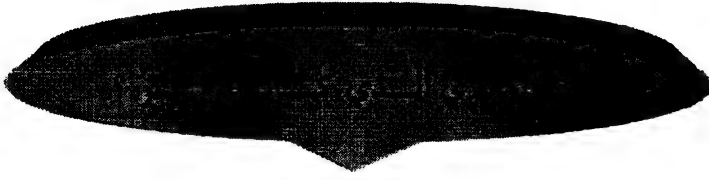
فَقَالَتْ : نَعَمْ ، لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنَهُ  
مُرَى اللَّيْلِ يُخَيِّي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ  
لَيْنَ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا  
عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ



الشَّاعِر : عمر بن أبي ربيعة ، بعد أن يستمرّ في هذه  
الرَّائِعَةِ ، يضع نواة القِصَّة فيبدؤها بحروف غرامية تتطوي على قلبه  
المُلهوف ، فيها رمز أسرار ويطلب من يحملها ولكنه لا يثق أن يسلمها إلا  
لكفٍّ أُمِينَةٍ ، لتبلغها لحبيبته ، كما يحمل البريد اليوم رسائلنا .. لأنّه لا يلتقي  
بها إلا كطيفٍ تحت جناح اللّيل ، لو في جوٍّ تتكرّر يتضبّب فيه الشَّاعر .  
وعندما سمح الزَّمان بلقيا الحبيبين ، كما يلتقي قطرات الطَّل ، بثغر  
الزَّهر ، أو كما يفتح البرعم ضوء الفجر لقاء عاشقين متلهفين إلى هذا  
اللقاء ، بمحلٍّ يسمّى مدفع لُكنانٍ ، فكان للحبيبة دور فتنة وسحر ، في  
إشارات غرامية أبلغ من النطق - حيث تلوح بإصبعيها البضئتين  
الناعميتين ، وبينهما مدرهما - وهو المشط - أحد أدوات الزينة التي  
تسرّح به الفتاة شعرها ، تشير الحبيبة بإحدى أدوات الزينة لتكتمل للفتنة  
في تساؤل فيه لهفة وشوق :

أهذا المشهّر ؟ وكانت هذه الإشارة فاتحة رمز للود والحبّ تتعكس  
على ضوء ما تلوح به من إشارات أناملية ناعمة بضّة ، بين إصبعيها أداة من  
أدوات الزينة : المشط الذي يسرّح به الشعر فيزيد الفتنة فتنة وهي تشير به  
إلى حبيبها في حديث كهمس النسيم في أذن الورد إلى أختها كأنها تسكب على

مشطها قلبها موجة لهيب من حب يسري إلى الشاعر ، فتضرم في قلبه الشوق  
واللهفة :



فالحول يتمحور بين الأختين ، والشاعر آذان تصيح ، ولهفة قلب  
صاد ، إنها صورة من صور البيان الرائعة .

فالحديث التَّحَاوَرِي بين الأختين تديرانه على مشهد من التَّغْيِير  
في صورة الشاعر لما لبسته من جهد شوط ، وإدلاج شاق ، وأتعاب سفر  
خذت وجهه من الغير الزمنية التي مشت على خطوط وجه  
الشاعر ، فغيّرت صورتَهُ وخذنتها بعجلاتها ، فكان التَّحَاوَر بين  
الأختين يثير الشوق والحنان ، في منظر مجسّد من الفتنة .

تصور أيها القارئ لو كنت أحد نظار هذا المشهد مع الشاعر : ابن  
أبي ربيعة تشاهد هذا المنظر الغرامي للفاتن ... وحديث الحب بين  
فتاتين : واحدة تشير بأناملها الذهبية ، بينهما مشطها ، إلى قلب اكتوى بلوعة  
الحب .. فكأنهم يعيشون في عصر حضاري ، وشاهدت هذه الإشارة الغرامية  
للتي تلوح بها على طيات ذلك المشط ، لأخذتك هزّة الغرام ، وذبت كما تنوب  
الشمعة لتضيء لمشاهديها :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ  
فَيُضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصَرُ  
أَخَا مَقَرِّ جَوَابِ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ  
بِهِ فَلَوَاتٌ فَهَوَ أَشَعَتْ أَغْبَرُ

قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ  
 مَيَّوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمَحْبَرُ  
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ  
 وَرَيَّانٌ مُلْتَفٌّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ  
 وَوَالِ كَفَافَا كُلِّ شَيْءٍ يَهْمُهَا  
 فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

واستمر الشاعر في رسمته للزيتية ، فرسم على لسان حبيبته  
 صورة له كما يحلو له ، في موجة حزنٍ تكرر الاستعطاف عليه من غرام  
 حبيبته ، وهو على ظهر أداة موصلاته في شوطه الملهوف إلى  
 الوصول إلى بيت حبيبته ، وكيف يتعرض إلى فرصات موجات  
 البرد ، ويلفحه نار الهجير ، فهو كظل ضئيل سوى ما نفى عنه الرِّدَاء المحبّر .  
 ويثب الشاعر في وصفه للبديع ، فيؤطر صورة من حرفه بالونين  
 من أطراف الشمس ، ويرسمها كما ترسم المفاجآت في نقلة لفتة خيالية كما  
 ينتقل الظل خفيفاً من الزوال إلى العصر ، في رسم صورة لبيت حبيبته كأنك  
 تشاهده وتعيش معه ، في قصر تطله الأشجار ، وتسمع فيه خرير  
 الجدول ، وزقزقة العصافير .. ويدورنا ، سنوضح ونفسر حرفية هذه  
 للرسم لما تحمله من خطوط رمزية لتسكب على خطوط هذه للرسم .

فالشاعر رسم لحبيبته من دنيا عيشها ظل غرفة نقيها وهج  
 الحياة ، وحولها ريّان ملتف الحدائق مخضوضر اخضيضار الحياة والتفاف  
 الشجر الريّان ، لا ينبت إلا من ينبوع الماء ، والعصافير والطيور تعشق  
 الشجر الأخضر وخرير الماء ، فالصورة أطرناها بتفسير يوضح ما رمز له  
 الشاعر بإشارات ضوئية رمزية من خطوط رسمها ، كما رسم لحبيبته عيشاً

نعيماً هائناً ، لا تسهر الحبيبة من أجله آخر الليل من أجل ضائقة اقتصادية  
فهي في نعيم :

وَلَيْلَةَ ذِي دَوْزَانَ جَشَمَنِي السُّرَى  
وَقَدْ يَجَشَمُ الْهَوْلُ الْمُحِبَّ الْمُغَرَّرُ  
فَبِتُّ رَقِيماً لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا  
أَحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ وَأَنْظُرُ  
إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمَكِنُ النَّوْمُ مِنْهُمْ  
وَلِي مَجْلِسٌ لَوْلَا اللَّبَاءَةُ أَوْعَرُ  
وَبَاتَتْ قُلُوبُ صِي بِالْعِرَاءِ وَرَخَّلَهَا  
لِطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِمَنْ جَاءَ مُغَوَّرُ  
وَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسِ أَيْنَ خَبَاؤُهَا ؟  
وَكَيْفَ لِمَا آتَى مِنَ الْأَمْرِ مَضَرُ  
فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ رِيّاً عَرَفَتْهَا  
لَهَا وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ  
فَلَمَّا فَقَلْتُ الصَّوْتِ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ  
مَصَابِيحُ شُبْتُ فِي الْعِشَاءِ وَالْوُرُ  
وَعَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ  
وَرَوْحَ رُغْيَانٍ وَنَوْمَ سُمُرُ  
وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِثْلَهُ  
الْحُبَابِ وَرُكْنِي خَشْيَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ



ويبدأ الشاعر في تمحور قصته ، بعد أن طاف بجو حوار بين  
أختين ، يبدأ هنا قصته بليلة ذي دوران ، عندما جشمه السرى ، والمحـب  
المغرر يتجشم الأخطار والأهوال .

وليلة ذي دوران لم يكن بها قصور .. إنما كانت مظنة بأطناب  
الخيام التي تخفق عليها قلوب العاشقين ، ويتيه في دروبها المحبـون لصعوبة  
الاهتداء لخيمة الحبيبة ، لعدم تميز العلامة للفرقة .

فالشاعر يصور هذه اللقيا قصة محفوفة بالأخطار ، حيث كظم  
أنفاسه ، وظل يرقى ذلك الحي حتى يداعب أصابع النوم أجفانهم ، وهو في  
مجس أو عر عاشه من أجل لبانته ، وعندما روح الرعاة وهذا السامر ، وغاب  
القمر الفضى ، كان يرجو غيابه ، وهذا البيت فيه من النغم  
الموسيقي ، والتصوير البياني السحري ما يعجز الحرف عن تصويره .

وكما أشرنا : أن للخيمات لا علامة تميزها إلا أن الشاعر لم تفته  
هذه اللفتة العبقريّة ، فوثب الخيال فأعطانا صورة مشرقة الضوء تصور  
إحساساً مرهفاً لا يصل لجوّه إلا للمعذبون بنار الحب والغرام — فكان لهذا  
الإحساس الذي دلّ قلبه لخيمتها هو سر من أسرار الروح التي تمتزج بالعشق  
وتكتوي بنيرانه ، وسر الهوى الذي يجري في الروح كالتيار الكهربائي ، وهو  
يجهل هذا التيار الجاري في نمه ، وهناك سر طيب ينبعث من روحها  
له ، تحمله نسمات الحب من خيمتها .. فكان هذا الاتصال الروحي رمز من  
رموز الحب النفسي أنوار كاشفة له إلى طريق خيمتها ، تميزها عن بقية  
الخيام ، وقد أطفئت كل المصابيح ، وساد الصمت ، والظلام ، فالتكلم لها  
قلبه ، وهوى النفس ، وريّاها .

فَحَيِّنْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَوَلَّهَتْ

وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ

وَقَالَتْ وَعَصْتُ بِالْبَنَانِ فَضَحْتَنِي  
وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَيْسُورٌ أَمْرِكَ أَغْسَرُ  
أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ ، أَلَمْ تَخَفْ  
وُقِيْتَ وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضْرُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةً  
سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْدَرُ  
فَقُلْتُ لَهَا بَلْ قَادَنِي الشُّوقُ وَالْهَوَى  
إِلَيْكَ وَمَا عَيْنٌ مِنَ النَّاسِ تَنْظُرُ  
فَقَالَتْ وَقَدْ لَأَنْتَ وَأَفْرَخَ رَوْعَهَا  
كَأَنَّكَ بِحِفْظِ رَبِّكَ الْمُتَكَبِّرُ  
فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّابِ غَيْرَ مُدَافِعٍ  
عَلَيَّ أَمِيرٌ مَا مَكُنْتَ مُؤَمَّرُ  
فَبِتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ أَعْطِيتُ حَاجَتِي  
أَقْبَلُ فَاهَا فِي الْخَلَاءِ فَأَكْثِرُ  
فِيَاكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ  
وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ  
وَيَاكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ  
لَنَا لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ  
يَمُجُّ ذِكْرِي الْمِسْكَ مِنْهَا مُفْلَجُ  
رَقِيقُ الْحَوَاشِي دُو غُرُوبِ مُؤَشِّرُ  
تَرَاهُ إِذَا تَفَتَّرُ عَنْهُ كَأَنَّهُ  
حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَقْحَوَانٍ مُنَوَّرُ

وَتَرْتُو بِعَيْنَيْهَا إِلَيَّ كَمَا رَنَا  
إِلَى رَبِّ رَبِّ وَسَطِ الْخَمِيلَةِ جُودُ  
فَلَمَّا تَقَطَّيَ اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ  
وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَقَوَّرُ  
أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ  
هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُكَ عَزُورُ  
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ تَرَحَّلُوا  
وَقَدْ لَاحَ مَفْتُوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْقَرُ  
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ نَبَّأَ مِنْهُمْ  
وَأَيَّاهُمْ قَالَتْ أَشِرُّ كَيْفَ تَأْمُرُ  
فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ فِيمَا أَفْوَتْهُمْ  
وَمَا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَنَارُ  
فَقَالَتْ أَتَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحُ  
عَلَيْنَا وَتَصْدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤْتِرُ ؟  
فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَقِيرُهُ  
مِنْ الْأَمْرِ أَذْنَى لِلْخَفَاءِ وَاسْتَرُ  
أَقْصُ عَلَى اخْتِيَّ بَدَاءَ حَدِيثِنَا  
وَمَالِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَ مَا مَتَاخَرُ  
لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا  
وَأَنْ تَرْحُبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَخْصَرُ  
فَقَامَتْ كَيِّبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ  
مِنْ الْحُزْنِ تُدْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ

فَقَامَتْ إِلَيْهِمَا خُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا  
كِسَاءَانِ مِنْ خَزٍّ : دِمَقْسٌ وَأَخْضَرُ  
فَقَالَتْ لِأَخِيهَا أَعِينَا عَلَى فِتْيِ  
أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ  
فَأَقْبَلْنَا فَارْتَاعَتَانِ قَالَتَا  
أَقْلِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ  
فَقَالَتْ لَهَا الصَّغْرَى سَأُعْطِيهِ مُطَرَفِي  
وَدِرْعِي وَهَذَا الْبُرْدُ إِنْ كَانَ يَخْدَرُ  
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا  
فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ  
فَكَانَ مِجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتْقِي  
ثَلَاثُ شُخُوصٍ : كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ  
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي  
أَلَمْ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مُقْمِرُ ؟  
وَقُلْنَ أَهَذَا ذَابِكُ الدَّهْرِ سَادِرًا  
أَمَا تَسْتَحْيِي أَمْ تَرَعُوي أَمْ تُفَكِّرُ



فيضع الشاعر : ابن أبي ربيعة خطوط القصيدة ، منذ ليلة ذي  
دوران ، وكيف كان الترقب للقاء ، ومرورها بمخاطر جسيمة ، فهو يتحدث  
في حوار مع حبيبته ، وكيف هبط عليها كنزول الطل في ثغور الزهور ، أو  
كالماء على قلب الصديان ، ويتحاوران حديث قلبين مُزجًا امتزاج الماء في



الدّم محفوفاً بأشواك وأخطار خشية الفضيحة ، ويختم ابن أبي ربيعة ليلة ذي دوران ، فصلا من فصول قصّته ، بخاتمة فيها زخم روعة ، وخلص نجاة بأسلوب شيق مغرٍ :

فَكَانَ مِجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي

ثَلَاثُ شُخُوصٍ : كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

ما هذا المَجْنُ أيُّها الشّاعر ؟ إنّه مجنٌ أخذٌ ولمضى من السيوف والسّهام ، فمن أقوى من القُدود والنّهود والعيون الفاتنات الرّاميات بأسهم ، ريشها الهدب ، فهذه للقصة الغرامية ، فيها تحاور بين لغة القلوب والعيون فهي رسائل شوق في لقاء ظامي ، شرب منه الحبيبان كؤوسا من ينبوع لهفة وشوق .

وختم القصة يختمها ابن أبي ربيعة بخاتمة عجيبة صورها الشّاعر شريطاً سينمائياً كمنظر متحرك حتّى تكاد تعيش هذا المشهد ، خامس خمسة !

فأنت تقرأ هذه القصيدة للرّئيّة وكأنّك تقرأ شاعراً قاصّاً من الشعراء القصصيّين من القرن العشرين ، وقد أسدل عليها خاتمة السّتار ، كما يسدل الممثل ستاره على مسرحيّة .

ويصحّ أن نقول : إنّ " نزار قبّاني " في شعره نفحة من نفحات ابن أبي ربيعة ، كالوصف للمشط ، والكفّ ، والبنان ، والفسّتان ، والجورب والمعصم ، والأنامل ، وما يماثل ذلك ، فنقول في شعر " نزار " أو في بعضه شعر ربّعي .

وقصيدة ابن أبي ربيعة التي عينا بالبحث عنها هي في ديوانه  
كاملة ، ومن أحب الاطلاع عليها ، فليرجع إلى الديوان ، وابن أبي ربيعة حدّد  
مكان وقوع قصته ... أشار إلى المكان الذي وقعت فيه القصة والتحاوّر بين  
عناصر القصة وأبطالها - إلا أنه أغفل الزمن . وهل كان يقصد أو من باب  
الصدفة ؟ لا نعرف ذلك لأن القصة في ذلك العصر لم تكتمل عناصرها  
الفنية ، ولم تعرف بهذا العنوان والتسمية ، إلا في القرن العشرين ، ونكتفي  
بهذه اللوحة التحليلية ، عن شعر ابن أبي ربيعة .

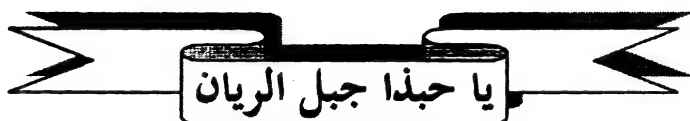
جرير

ابن أبي عطية بن حذيفة بن كليب التميمي

٢٨هـ - ١١٠هـ / ٦٥٣م - ٧٣٣م



نشأ جرير في اليمامة ، وعاش عيشة بدويّة لا مدنيّة ، وهاجر إلى  
 البصرة ، فعاش بها فترة ثم أخذ يضرب في أرض الله ، فالتقى بطاغية  
 زمانه : (( الحجاج بن يوسف )) فمدحه ، واتّصل بعده بالملوك الأمويّين  
 بدمشق ، فمدحهم ، فأسبغوا عليه النعم ، والمال الوفير .  
 وجرير له من الشعر الغزليّ ما يثير العواطف ، ويحرك  
 القلوب ، كما إن هجاءه سيف صارم ، وهجاء مدقّ ...



بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوغْتُ مَا بَانَ  
 وَقَطَعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا  
 حَيِّ الْمَنَازِلِ إِذْ لَا تَبْتَغِي بَدَلًا  
 يَا لِدَارِ دَارِ وَلَا الْجِيرَانِ جِيرَانَا  
 قَدْ كُنْتُ فِي أَمْرِ الْأَطْعَانِ ذَا طَرَبٍ  
 مُرَوِّعًا مِنْ حِدَارِ الْبَيْنِ مَخْزَانَا  
 يَا رَبُّ مَكْتَبٍ ، لَوْ قَدْ نَعِيتُ لَهُ  
 بَاكِ وَآخِرَ مَسْرُورٍ بِمَنْعَانَا  
 لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي نَلْقَى أَوْيَتِ لَنَا  
 أَوْ تَسْمَعِينَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ شُكْرَانَا

كَصَاحِبِ الْمَوْجِ إِذْ مَالَتْ مَفِينُهُ  
 يَذْعُو إِلَى اللَّهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا  
 يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمُزْجِي مَطِيئَتُهُ  
 بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا لُقَيْتَ حُمْلَانَا  
 بَلِّغْ رَسَائِلَ عَنَّا خَفَّ مَحْمِلُهَا  
 عَلَى قَلَائِصَ لَمْ يَحْمِلْنَ حِيرَانَا  
 كَيْمَا نَقُولَ إِذَا بَلَّغْتَ حَاجَتَنَا  
 أَنْتَ الْأَمِينُ ، إِذَا مُسْتَأْمَنُ خَانَا  
 تُهْدِي السَّلَامَ لِأَهْلِ الْغَوْرِ مِنْ مَلَحٍ  
 هَيْهَاتَ مِنْ مَلَحٍ بِالْغَوْرِ مُهْدَانَا



كان لهذه القصيدة دوراً في دنيا الأدب منذ ولدت ، وصاغها  
 شاعرها : جرير صوراً متحركة ، فقد ولع بها الأديباء ، والنقاد ، واحتفل بها  
 التاريخ ، فالشاعر : جرير يفتتح قصيدته بصورة مؤلمة ، صورة للبعد .. !  
 إنَّ الفراق مرُّ المذاق ، فإنَّه فراق يطول ، أو يقصر يتجرَّع الحبيبُ  
 كؤوساً يعبُّها من دُنْ فراقٍ مرٍّ ، فالفراق فراقان : فراق قصير ، وهو  
 الهجران .. قد يتلاقى الحبيبان ويظفران بظفر اللقاء على حاشية من حواشي  
 الأيام ؛ وفراق لا لقاء فيه ولا رجعة بعده ، وهو فراقُ الحمام ، فهنا تغمرنا  
 لُطَافُ الله ، فينسينا ذلك الفراق ، والحديث نديره على هجران الحبيب ، كما  
 هو في صورة إحساس الشاعر المرسوم في رسمته .

إنَّ حبيبه قد بان - أي : بعد - ولو كان له سلطان أقوى من  
 سلطان الغرام يطاع به ، لما تقطعت أسباب الوصل ، ولكنه لا أمر له

ولا حول ولا خيار ، وجريـر هنا يرسم صورةً في منظرٍ كئيبٍ ، فيه وفاءٌ لأنَّه لا يرغب أن يبدل تلك الدَّارَ ، بدارٍ أخرى ، ولا أهلاً غير أولئك الأهل .

ويستمرُّ في حرفه المتحرِّك ، يجوب القفار ، في ركبٍ يعيش حياة لهو وطرب ..! أمّا هو ، فغارق في شجونه مروّع يلعقُ أحزانه .. فهل يجمع الطَّربَ والحزن ؟ إنَّها صورةٌ رائعةٌ بما في منظرِها من التَّنَاقُضِ والتَّبايُنِ .

والشَّاعر : جريـر يؤطرُّ صورتهُ ، بصورةٍ فيها من الضَّدَّينِ المختلفين .. فربَّما شخص يبكي ، وآخر يعاني ، وثالثٌ مسرورٌ بالَّذي يعانيه ذلك العاشق ، وينتقل - فجأةً - ليرفع آلامه وشكواه ، إلى ذي العرش الّذي يعلم أسرار القلوب وما تخفيه الصُّدور ؛ حيث إنَّ شكواه لحبيبتَه ضاعَت ، كما تضيع الذِّراتُ في يدي العواصف ، فهي لا ترقُّ له ، ولا تشعر بموقد نار الحبِّ الّذي يعيش جريـر على أتونه .

ويصوِّر جريـرَ العاشقَ ، كربَّانَ سفينةٍ ، وسط أمواجٍ عاتيةٍ وقد مالت السَّفينةُ وأصبحت مهتدةً بالغرق ، ويفيق من حياة الحرمان والهجـران فيعود إلى حياة ( دبلوماسيّة ) يصوغ فيها الرِّسائل الشُّوقيّة والغراميّة ، فيزجِها إلى حبيبته ، لعلَّها تفتح باب الوصل .

وما هي الرِّسائل ؟ هي حروف قلبٍ ملتهب بالصَّبابَةِ ، في شعـر يصوِّر معاناة العاشق يطوّفُ في الأفـاق ، فهو كالصحيفة السَّيّارة ، ويطلب إلى من يحمل هذه الرِّسائل : رسائل الحبِّ الّتي تُختصر في رموز تكتب بإشارة جفنٍ ، أو خفقة قلبٍ ، تصل كما يصل النِّيار الكهربائيُّ في خفقة مصباح .

وجريـر يصف بيئة ذلك العصر الّذي يعيش على أرضيّته ؛ إذ لا كهرباء فيه حتّى يمثِّل تلك الرِّسائل بما صوّرها ! غير أنَّنَا نفسّر تلك الإشارات والرموز ، بما خططنا له من شرح ... فجريـر يريد أن يضع هذه

الرسائل : رسائل الصَّبابة في كفٍّ أَمينةٍ غير خَوَّانة ، حتَّى توصِّلها إلى في حبيبته !

ويزفُّ سلامه كقطراتٍ من الأضواء ، تتسكب على ثغور المِلاح ، وكالأعطارِ تصوِّعُ من الزَّنبقِ والعمارِ .. فتسكب روحًا شفافًا ، يفتح له أفقًا من الوصل :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ  
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنْ قَتْلَانَا  
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ

وَهُنَّ أضعُفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا  
وقفة ، أيُّها القارئ العزيز ! لهذه الصُّورة المتحرِّكة الَّتِي صَوَّرَهَا الشَّاعر ، عن العيون .. وما أدراك ما العيون ؟ إِنَّهَا العَيْنُ الَّتِي ينعكس على مرآتها رُؤيةُ الحياة ، وما فيها من صُورٍ أخاذةٍ ، من فرحٍ ؛ وحزنٍ ؛ وابتناسامةٍ واكتئابٍ ، إِنَّهَا من ألقٍ خلق الله .. إِنَّهَا الجسمُ الصَّغيرُ الَّذِي ينطوي في رؤيته الكونُ بأسره ...

العيون الحوراء هي الَّتِي تصرَّعُ الأبطال ، وتقتلُ الشُّجعان ، وتتركها لا حراك بها ، ولا تفيق من سكرتها حتَّى كأنها في سكرةٍ أبديةٍ . وصوِّرَ الشَّاعرُ مصارعَ الأبطال الَّذِينَ تصرَّعهم العيون ، وهم ذوو العقولِ الَّذِينَ يعقلون ، ويعرفون أسرار السَّحر والجمال ، ويقدرُون ما فيها من صُورٍ فتنةٍ ، فيعبُثون من كؤوسها حتَّى تسري في كيأنهم ، فيمَسُون ، وهم لا حراك بهم ، وهي تتراءى لنا أضعفُ خلقٍ في صورة الإنسان ، لكنَّها أنفذُ من السَّهام ، فهي تتفدُّ للقلوب قبل شقِّ الجلود ... صورةٌ رائعةٌ كروعة الفجر وهو يتمطى على قمم عرائس النَّخيل ، وثغور الأشجار .



الفرزدق

همّام بن غالب بن صعصعة

٢١هـ - ١١٠هـ / ٦٤١م - ٧٣٢م



ولد في البصرة بالعراق ، سنة ٢١هـ الموافق ٦٤١م ، وكان  
أجداده من أشرف بيوت تميم ، فنشأ للفرزدق مزهواً بأمجاد قبيلته ، وحقاً له  
أن يفخر ، لأنَّ جدَّهُ صعصعةَ عظيمُ القدرِ ، ذائعُ الصَّيتِ ، محييُ الوئيدةِ في  
العصر الجاهليِّ ، وقيل : إنَّهُ فدى ولبتاع ثلاثمائة وستين بنتاً ، كلُّ واحدةٍ  
بناقتينٍ وجملٍ ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ

وأحيا الوئيد فلم تُؤادِ

وقد عرف بلقب للفرزدق لضخامة وجهه وجهامته ، وكُنِّيَ بأبي  
فراس ، وقد أصبح شاعراً ذائع للصَّيتِ ، ولأحد الأركان الثلاثة الذين رفعوا  
الحكم الأمويَّ ومجَّدوه .

والفرزدق كان له في ميدان المنياسة جولاتٌ ، وصلواتٌ : فهو  
سياسيٌّ مغامر ؛ يمدح ملوك الأمويين ، ويهجوهم ويقول :



وكانت له عقيدة صلبة تشده بحب أهل البيت ، حيث يدلُّ على هذه  
العقيدة موقفه الخطير من الحدث السياسي ؛ حيث تجسَّم فيه أخطاراً ... وقد  
روى التاريخُ هذه القصةَ الواقعيةَ .. وبذلك قصةٌ تدلُّ على عظمة آل بيت  
الرَّسول الأطهار .

وللفرزديق موقفٌ سياسيٌ خطير ، عندما حجَّ هشام بن عبد الملك ، وكان ولياً للعهد حين حجَّه ، وطاف بالبيت العتيق ، وأراد استلام الحجر ، فلم يستطع لكثرة النَّاسِ وازدحامهم فنُصب له مقعدٌ ، أي : كرسيٌّ ، ليجلس عليه ، فحاطت به الشرطة ، وأعيان من الشَّام .

فأقبل الإمام / زين العابدين - عليُّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب ، عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام - فطاف بالبيت ، فأخذ الجمهور ينفرجون ويفتحون له الطَّرِيق ، لاستلام الحجر بدون جنود ، هيبةً له ، للطَّاعة التي تغمره من خالقه ، تذلاً وخضوعاً له ، ومن خضع لجبَّار السَّمَاوات والأرض ، يخضع له من في الأرض ، فتعجَّب أهل الشَّام ! كيف يفسح الجمهور ، وينفرجون لهذا الرَّجل النَّحيف ، ويستلم الحجر ، بينما الحاكم الَّذي تحفُّ به ثلَّةٌ من القوَّاد والجنود ، لم يتحصَّل على هذا المجد والعظمة؟! فقال أحد أعيان الشَّام : مَنْ هذا الَّذي انفرج له الجمهور وانكفأ له البشر ؟ فأجاب هشام : لا أعرفه ! تجاهلاً منه ، لئلاً يرغب فيه أهل الشَّام .

فكان الموقف السياسيُّ الجريء من الفرزدق الَّذي لم يُقدِّر للعواقب حساباً لجوابه ، أنا أعرفه !! فأنشد قصيدته السياسيَّة التي فجرها قنبلة نريَّة في ذلك الموقف للرَّهيب ، وارتجل قصيدته الميمية التي تعطي صورةً واقعيَّةً عن أئمة أهل البيت ، وعن سيرة جدِّهم العطرة : الرَّسول الأعظم : محمَّد بن عبد الله - صَلَّى الله عليه وآله - وتعرَّف ما لهم من مقام في الكتاب ، والسُّنَّة ، وعند المسلمين ، فسجن هشام الفرزدق ، بين مكَّة والمدينة بعد أن فجر قصيدته باروداً ، بصوتٍ يملأ ذلك الفضاء ويهزه هزاً عنيفاً ، فلم يرهبه هذا السَّجن ، ولم يُخَفِّه سلطانه ، فهجاه قائلاً :

أَتَسْجِنُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْبَيْتِ

إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا

يَقْلُبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ

وَعَيْنَا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيُوبُهَا

فعندما بلغ هشامًا هذا الهجاء ، أمر بإطلاق سراحه ، كما أرسل له الإمام زين العابدين هديةً فأرجعها وقال : إنما مدحتك لوجه الله لا للمال ، فأعادها عليه الإمام ، وقال : نحن أناسٌ لا نرجعُ في هديتنا ، إذا أهديناها .

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ

بَجَدَهُ أَلْيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَذَا ؟ بِضَائِرِهِ

الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

كَلَّمَا يَدِينُهُ غِيَاثٌ غَمٌّ نَفَعُهُمَا

يُسْتَوَكَّفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بِوَادِرُهُ

يَزِينُهُ اثْنَانِ : حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشَّيْمُ

حَمَّالُ أَثْقَالٍ أَقْوَامٍ إِذَا افْتَدَحُوا  
 حُلُو الشَّمَائِلِ ، تَخْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ  
 مَا قَالَ لَا قُطْ ، إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ  
 لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَائِعُهُ نَعَمُ  
 عَمَّ الْبَرِّيَّةُ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ  
 عَنْهَا الْغَيَاهِبُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ  
 إِذَا رَأَتْهُ قَرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا  
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ  
 يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ  
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ  
 بِكَفِّهِ خَيْرُ رَأَى رِيحُهُ عَبِقُ  
 مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ  
 يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ  
 رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ  
 اللَّهُ شَرْفَهُ قِدَمًا ، وَعَظْمَهُ  
 جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ  
 أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ  
 لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا ، أَوْ لَهُ نَعَمُ



نحن أمام لوحة فنيّة ، تكامل في رسمتها عناصر الفن فيصدق  
 عليها كلمة معني " شعر " لا لفظه فحسب ، وترتبط هذه القصيدة  
 العصماء ، بحدثٍ سياسيٍّ استمدَّ الشاعر : الفرزدق صورَهَا من

أجوائه ، وممّا يزيدُها فناً وجمالاً : إرسالها ارتجالاً بعوف الطَّبِيعَةِ ؛ حيث ارتجلها الشَّاعر ، كأنَّها من محفظة الذِّكْرِى ، فإذا قرأتها بتأمل وإمعان تحسُّها قصيدة متفجّرة من رياح ذلك الجوِّ .

ويزيدُها روعةً كونها وليدة لحظتها تتدفّق معينا ، وتتساب انسِيَاب موج النّهر ، فهي تصوّر عقيدة صلبة ، وحياة إسلاميّة ؛ حيث تصف سيرة مجد بعض صفحات ، من كتاب حياة منقذ الإنسانيّة : الرّسول الأعظم ، وآل بيته الأطهار ، الَّذي لا يصل لنزوة مجده أحد من البشريّة ، وذريّته الطّاهرة ، الَّذين هم إشعاعه من ضوئه ، فأنت تقرؤها كأنك تقرأ قصيدة لشاعر من القرن العشرين ، في أسلوبها الشّعريّ ، ومعانيها المتدفّقة غير المتكلّفة ، وفيها ربطٌ وحنويّ ، لا نبوة فيها ولا نفور ، لا من كلمات تنفّر المسامع منها ، إنّما هي شلالٌ ينحدر كقطعة واحدة ، وحَدّت صوَرَهَا وجسّدت في حرفٍ يرمز إلى معنى واحدٍ ، فهي كشريط مرئيّ يتحرّك أمام الأعين ، ينقلك إلى ما وراء القرون البعيدة ، قرابة ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً ، تعيش مع هذا الحدث السياسيّ كأنك تمرُّ به اليوم ، وأنت في الحرم الطّاهر ، فتشهد ذلك المنظر يتجدّد أمام عينيك .

فالقصيدة تربو على سبعة وستين بيتاً ؛ وهي في حرفها المخضوضر في لغة شعريّة مميّزة ، لم تهبط من الذّروة ، من ألفها إلى يائها ، تتساب في أسلوبٍ رفيع ، ولم تقيدّها القافية أو الوزن ، بقيود ، فهي منطلقة في أفقها كضوء الشّمس في آفاقها ، يبصرها على حدّ سواء : البصيرُ ، وغير البصير .

وعندما نحلّل أسلوبها والدّوافع التي أوجدت هذه القصيدة في ذلك الجوِّ المبطن بضباب الأخطار ، نكبرُ هذا الموقف الجريء ، وهذا الحرف البيانيّ الَّذي انطلق كالمارد ، يحطّم أمامه كلّ السُّدود والحواجز ، غير مبالٍ بالقيّد أو السّجن أو القتل .

إنَّ للحرف عزيمةً أمضى من السَّلاح ، ومن ( الأواكس ) ؛ فليس  
يغني عنه ذلك السَّلاح الَّذي يمزق البشر ، فهو أمضى منه وأبقى وأخلد ، على  
آفاق الزَّمن والحياة .

ويعجبني قول بعض الشعراء :

رُبَّ أَقْلَامٍ تُضَاهِي الأَسْلَه

فِي شَبَاهَا وَحدودِ المشرفِ

هِيَ أُخْرَى للفتى معتقله

حيثُ لَا زحفَ لغيرِ الأحرفِ

ونختتم صفحات العصر الأمويِّ ، ونفتح صفحات كتاب العصر  
العباسيِّ .



# العصر العباسي<sup>٨</sup>



إنَّ دراستنا مقصورةً على دور العناصر الشعريّة ، وكيف تجري في آفاق الحياة ، تتبثق منها حروفٌ توجّه تلك الحياة وذلك المجتمع ؟ فقرأنا صفحاتٍ من كتابِ العصور : الجاهليّ والإسلاميّ والأمويّ ، عصرًا بعد عصر ، ورأينا كيف كان للشّعْرُ عنصرًا من عناصر الحياة ، يؤثّر بأسلوبه ، في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة ، ويرسم بحروفه الفرح ، والحزن ، والمدح ، والفخر ، والهجاء ، والرثاء ؟

ولم تقتصر الأساليب للشّعريّة على هذه الأهداف ، بل تطوّرت إلى لحنٍ غنائيٍّ يمتزج في شبابه غنائيّة ، تحدو بها الرعاة ، وهم يسوقون قطع معزم ، تندفق أصواتهم في تلك الشبابة السحريّة ، وتتغنى به الفتيات في مغازلهنّ ، والرجال في محافلهن ، والعشّاق في وجدها المبرح ، كما يعزف به المغنون وترًا غنائيًا ، وهم يشربون نخب الكؤوس .

وهذه العناصر المثلثة بألوان الصّور الشعريّة ليست طارئة ، فهي منذ العصر الجاهليّ ، تسير في شوطها وأهدافها التي تحدّثنا عنها .

غير أن النّقلة الحضاريّة التي انبثقت أشعتها أضواء من سماء الإسلام ، هذبته وطوّرتَه فرقت كلماته ؛ وحولته من حياة صحراويّة ، إلى حضارة مدنيّة ، وصبغته بصور التّرف والنّعيم ، يستمدّها من سماء المدن ، لا من رمال الصّحراء ... وذلك في العصر الأمويّ ؛ حيث ترفّت حروفه ، وتحضّرت كلماته ، فكان له الدور ، في أسمار ملوك الأمويّين ، تغني به الجوّاري ، عازفات على نخب الكؤوس .

وجاء العصر العباسيّ فازدهرت الحضارة ، وأشرقت المدنيّة ، فانفتحت الثّقافة انفتاحًا مبيّنًا ، على عقول وأفكار ، بأجواء وآفاق أوسع من الآفاق الماضيّة ؛ حيث هيأ لهم الإسلام ظفرًا من فتوح عانت على

المسلمين ، بكنوز لم يحلموا بها من ذي قبل ..! فكان هذا الفتح فتحًا تمارجيًا ثقافيًا بصُور ألوانٍ من آفاق مختلفة ، ومن صورها وأفكارها : صفحات من آفاق الثقافة اليونانية .

فهذه الألوان الثقافية والفكرية امتزجت بالثقافة العربية ، امتزاج الماء بالنَّم ! ولا ننسى إطلالة من آفاق الثقافة الأندلسية ؛ حيث كان للعرب فتحٌ وحكمٌ استدام حقبةً ، فهذه النقلة الفتوحية صبغت بلونها اللغة العربية ، كما صبغت العربية سماء الأندلس ، فاصبح الشعر له دورٌ تولد من هذه الحياة وتكوّنت أساليبٌ جديدةٌ ، كأشعار الموشحات ؛ وكان هذا الشعر يُستوحى من طبيعة خصبة ، ومن جمال بشريٍّ سحريٍّ .

كما امتزجت بالحضارات الأخرى التي فتحتها المسلمون ، فذابت هذه الحضارات في اللغة العربية كما تتحلُّ الأمواج في البحر .. ونقصد بانحلالها وذوبانها : أنها صارت حرفاً من حروف الضاد ؛ غير أنها أعطت هذا الحرف لوناً من ثقافتها ، كما أعطيت الكثير من ثقافة العرب .

فكان للحضارة اليونانية لونٌ من انفتاح علميٍّ ؛ وللحضارة الأندلسية ضرب من الفكر الأدبيٍّ ، فكان لهذه الانصهارات نموٌّ ، كما ينمو الغصن الوريق ، في الروابي الخضراء ، حتّى اخضوضرت اللغة العربية بباقاتٍ من الموشحات الشعرية التي كان لها الانفتاح في سماء الشعر .

وترجمت شرائح من العلوم العقلانية كالمنطق ، وبعض الفلسفة ، فكانت بغدادُ حاضرة الفكر في ذلك العصر سماءً تموج بنجوم للعلماء ، والمفكرين ، والأدباء ، ويطمح لها كلُّ نابغةٍ عربيٍّ ، أو غير عربيٍّ : أن تطلَّ سماؤها ، وينهل من معينها ؛ حيث في ذلك العصر أنشئت دور للفكر ، وفتحت المعاهد العلمية ، مثل المستنصرية التي بناها المستنصر بالله : للحاكم العباسي ٦٢٣ - ٦٤٠ هـ ، ولا تزال مشادة حتّى يومنا

هذا ، ومدرسة دار سابور التي أسسها سابور بن أردشير ببغداد ، وزارها أبو العلاء المعري ، فقال فيها ، من قصيدة :

وَعَثْتُ لَنَا فِي ( دَارِ سَابُورَ ) قَبِيَّةً

مِنَ الْوَرَقِ مِطْرَابُ الْأَصَائِلِ مِيهَالُ

فأصبحت بغداد أفقاً علمياً ، وجوّاً رحباً ، بمعاهدها الفكرية ، يطمح لها كلُّ من أراد الدراسة لعلم من العلوم ، أو لونٍ من ألوانِ الثقافة سواء العربي ، أو الغربي ، أو الشرقي ! فإذا أمّها ذلك الطالب اعتمر العمامة ، ولبس الجبة والقباء ؛ لأنها الشعارُ والرمزُ العربي لطالب العلم في ذلك العصر ، فلماذا أقفرت بغداد وعادت جذباً يبيسا على فم الأئام من حضارة ذلك الفكر ، بعد ازدهارها حتّى أمسينا نؤمُّ جامعات الغرب ، وانعكست الصورة .. فإذا أراد العربي أن يدرس علماً من العلوم ، أو لوناً من ألوانِ الفكر ، ارتدى السُترة ، ولبس ( البنطلون ) ، ووضع رابطة للعنق وأمّ المعاهد الأوربية ، أو الأمريكية ، لتلقّي العلوم بها ... وهكذا تتقلب الحياة إلى الضدّ .

ولعلّ هذا الانقلاب جاء ، نتيجة عوامل كسبتها أيدينا ، وليس من هدفنا تحليل العوامل ، والأسباب التي عكست مفهوم تطوّر الحياة العلمية بالأمس ، بعكس ما هي في اليوم ، إنما هي سحابةٌ تجهّمت في هذا الأفق ، وبحثنا عن دور الشعر وتأثيره في تطوّره في الحياة ، في تعاقب عصورها .

فكان للشُّعْرَ أكبرُ دورٍ في هذا العصر المسمَّى بالعصر  
الذهبيّ ، لأنّ ملوكه فتحوا خزاناتهم وأغدقوا على بعض العلماء  
والمفكرين ، حتّى روى التّاريخُ ، عندما كتب الزّمخشرى كتابًا في قواعد  
النّحو ، وزنّ بالذهب ، فأعطى ما عادل وزنه تشجيعًا للفكر ، ولا تنس دور  
الشُّعراء اللّذين يعيشون على مائدة بلاط القصر .

وفي هذا العصر ، كثرت الفتوح ، فغزا المسلمون  
بلاد الغرب ، فملكوا الجوّاريّ ، والغلمان ، فكان موسمًا  
للشُّعْر ، والأدب ، والغناء ، والجوّاري ؛ حيث الأديبُ يَعْلَمُ  
جاريته ، ويهتّبُها ، ويحفظُها الشُّعْر ، ويدربُها على علم القواعد  
العربيّة ، ويعلمُها ألحان الغناء ، ليبيعها على ذوي البلاط ، وقد قصّ التّاريخُ  
قصةً طريفةً ، عن جارية تلحنُ أبياتًا وتغنيها من قصيدةٍ ، أمام أحد الملوك  
العباسيّين :

أظْلومُ ، إنّ مصابكُم رجلٌ

يُهدي السّلامَ تحيةَ ظلمٍ

وكان في ذلك للسّمَر أديب ناقد ، فقال لها لقد لحنّت ، حيث  
رفعت " رجل " ، وهو منصوبٌ ، فكان جوابها هكذا علّمني أُستاذي ... فهذه  
القصةُ التّاريخيّةُ تعطينا صورةً لتلك العصر الذي كرّس فيه الأديباء والنّقّاد  
حياتهم للعلم والشُّعْر والأدب الذي تألّق فيه الفكر ، إلى قمة التّألّق في ذروة  
العلم والتّقافة ، عندما لمعت نجوم من سماء هذا العصر ، وتبارى فيه الشُّعراء  
والأديباء والعلماء ، حتّى حفل التّاريخُ بهم ، ولَفَتَ إليهم أنظار الغرب والشرق .

وبلغ هذا العصرُ قَمَّةَ المجد ، في عهد المأمون ابن هارون الرشيد ؛ حيث كان المأمون عالماً ، وأديباً ، ويميّز بين الجوهر ، والفحم ... وقد زخر ناديه بالعلم والفكر والمناظرات ، في العقائد والمذاهب ، على اختلاف ألوانها في نقاش أبحاثٍ دقيقة ، كالولاية ، وكقَدَم القرآن وحدثه ، كما روى التاريخ .

وفي هذه الجلسات ، تعرضُ فيها صُورُ ألوانِ انفتاحٍ من ذوي الفكر والأدب ، في حريّةٍ غيرُ مقيّدة ، فانتشَى للفكر ، وكتبت الكتب ، فكان للحرف دورٌ تقديرٍ ، تميّز به عن جميع العصور ، وفي ظليّته الشّعْر - ولا سيّما الشّعْر الغنائيّ الَّذي تلحنهُ الجوّاري ، وتعزفه في أسمار اللّيل ، فرقَّ الشّعْر ، وتحضّر ، فكان يقطرُ نسمائم عطريّة ، كأنفاس عطور جواري القصور ، ولطفاً كأنفاس الفجر اللبيلة التي تداعب ثغور الزهور .

ونضربُ على ذلك مثلاً واحداً - لا على سبيل الحصر - فالشاعر : ابن الجهمي كان يستمدُّ شعره من طبيعة الصحراء القاسية ، فحينما هبط في بغداد ، كان يصف ممدوحه بالوفاء كالكلب ، وبالصرّاع كالتيّس :

أنت كالكلبِ في حفاظك للودّ

وكالتيّس في قراع الخطوبِ

وعندما ترفت مشاعره ، وصبغتُها الحضارةُ الفكريّة في بغداد ، وألهمته صبغةً من بيتها ، رقت العاطفةُ الصّحراويّة إلى عاطفةٍ حضاريّة :

عيون المها بين الرّصافة والجسرِ

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

إنَّ للبيئة عنصرَ إلهامٍ ، يلعبُ دوراً في تأثُّرِ النفوسِ ، وخلقِ  
المشاعر ، فنشهدُ كيف كتب الشعُّرُ صُوراً من كتابٍ ملوَّنٍ بفنُونِ هذه  
الحياة ، وكان في طليعة هذا الرَّعيلِ ، من دون في شعره صُوراً من دنيا  
القصور ، وليالي بغداد ، الشَّاعر " أبو نُواس " .



أبو نواس

الحسن بن هاني

١٤٦هـ - ١٩٨هـ / ٧٦٣م - ٨١٤م



ولد أبو نواس في الأهواز ، وقيل في البصرة ، وكانت طفولته  
معذبة بانسة ... أخذ العلم من علماء البصرة ، وتحصّل على ثقافة  
واسعة ، وكان إلى جنب ذلك ميّالاً إلى حياة العبث والمجون ، اتّصل  
بالبرامكة ، وآل الرّبيع ، فأفاد مالا كثيراً .

واتّصل بالرّشيد ، ثمّ قصد ( الخصب ) في مصر ، فمدحه ثمّ  
هجاه ، ولمّا صار الأمين خليفة ، أصبح أبو نواس شاعره الخاص .  
وقد نسج التّاريخ قصصاً من الخيال ، حول أبي نواس ، واتّصالاته  
ببلاط القصر أيّام هارون الرّشيد ، وما تقع من صور حكايات تدور بين  
الرّشيد وجواريه ، وقد حفل بهذه القصص " إعلام النّاس " ، " ونفحة  
اليمن " ، " وألف ليلة وليلة " .

توفّي الشّاعر بعد حياة لهو وشرب ، ومجون ، وقد ناب قبل  
وفاته ، وكتب قصائده في الزّهد ، هكذا روى التّاريخ عنه الحيّاتين .



دع الرّبيع ما للرّبيع فيك نصيبُ  
وما إن سبّني زنبٌ وكعُوبُ  
ولكن سبّني البابلئةُ إنّها  
لمثلي في طول الزّمان سلُوبُ

جفأ الماء عنها في المزاج لأثها  
خيال لها بين العظام ديب  
إذا ذاقها من ذاقها حلقت به  
فليس له عقل يعد أديب  
وليلة دجن قد سريت بفتية  
تنازعها نحو المدام قلوب  
إلى ينت خمأر ودون محلله  
قصور منيفات لنا ودروب  
ففرع من إذلاجنأ بعد هجمة  
وليس سوى ذي الكبرياء رقيب  
تناوم خوفأ أن تكون معاينة  
وعاودة بعد الرقاد وجيب  
ولما دعونا باسمه طار دغره  
وأيقن أن الرجل منه خصيب  
وبادر نحو الباب معيا ملبيأ  
له طرب بالزائرين عجيب  
فأطلق عن نابيه والكبأ ساجدا  
لنا وهو فيما قد يظن مصيب  
وقال : ادخلوا .. حيثم من عصابة  
فمنزلكم سهل لدي ، رحيب  
وجاء بمصباح له فأناره  
وكل الذي ينبغي لديه قريب

فقلنا : أرحنا هاتِ إن كنتِ بائعاً  
 فإِنَّ الدُّجَى عَنْ مُلْكِهِ سَیْغِیْبُ  
 فأبْدَى لَنَا صَهْبَاءَ تَمَّ شَبَابُهَا  
 لَهَا مَرَحٌ فِي كَأْسِهَا وَوُثُوبُ  
 فَلَمَّا جَلَاهَا لِلنَّدَامَى بَدَأَ لَهَا  
 نَسِیمُ غَیْرِ سَاطِعٍ وَلَهِیْبُ  
 وَجَاءَ بِهَا تَخْذُو بِهَا ذَاتُ مِزْهَرٍ  
 یَتُوقُ إِلَيْهَا النَّاظِرُونَ رِیْبُ  
 کَثِیْبٌ عَلَاهُ غُصْنٌ بَانَ إِذَا مَشَى  
 تَكَادَ لَهُ صُمُّ الْجِبَالِ تُنِیْبُ  
 وَأَقْبَلَ مَحْمُودُ الْجَمَالَ مَقْرَظَقُ  
 إِلَى كَأْسِهَا لَا عِیْبَ فِيهِ أَرِیْبُ  
 یَشْمُ النَّدَامَى الْوَرْدَ مِنْ وَجَنَاتِهِ  
 فَلِیْسَ بِهِ غَیْرَ الْمَلَا حَةِ طِیْبُ  
 فَمَا زَالَ یَسْقِیْنَا بِكَأْسٍ مُجِیْدَةٍ  
 ثَوَلَّى وَأَخْرَى بَعْدَ ذَاكَ تَوُوبُ  
 وَغَنَّى لَنَا صَوْتًا بَلَخْنَ مُرْجَعِ  
 سَرَى الْبَرْقُ غَرِیْبًا فَحَنَّ غَرِیْبُ  
 فَمَنْ كَانَ مِنَّا عَاشِقًا فَاضْ دَمْعُهُ  
 وَعَاوَدَهُ بَعْدَ السُّرُورِ نَحِیْبُ  
 فَمَنْ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَبَاكِ مِنَ الْهُوَى  
 وَقَدْ لَاحَ مِنْ ثَوْبِ الظَّلَامِ غُیُوبُ

وقد غابت الشَّعْرَى العَبُورُ وأقبلت

نجومُ الثَّريَّا بالصَّبَّاحِ ثُوبُ



بَنَ هَذِهِ ( السِّيمْفُونِيَّة ) لِأَبِي نَوَاس ، تَعْطِينَا لَوْنًا مِنْ أَلْوَانِ صُورِ  
لِلتَّرَفِ الَّذِي غَرَقَتْ فِيهِ مَدِينَةُ بَغْدَاد ، فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَكَيْفَ كَانَتْ تَعِيشُ  
فِي حَيَاةِ اللُّهُو وَالطَّرَبِ وَالسُّكْرِ ؟ فَأَبُو نَوَاس جَسَدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ : حَيَاةَ  
لِللَّعِبِ ، فِي مَنَاطِرِ تَسْلُسِلِيَّةٍ ، وَعَرْضِهَا كَمَا يَعْرِضُ الشَّرِيْطُ السِّينِمَائِيُّ  
لِقَطَاتِهِ ، لِقِطَةً فَلِقِطَةً .

فَقَدْ نَدَّدَ بِالَّذِينَ يَتَغَزَّلُونَ ، أَوْ يَصْفُونَ الْأَطْلَالَ ، وَأَعْلَنَ عَنْ عَشْقِهِ  
الْبَابِلِيَّةَ لَا بَهْدَ وَزِينِيبَ ، وَبَدَأَ يَصِفُ رَحْلَتَهُ إِلَى الْحَانَةِ ، وَكَيْفَ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ  
يَدْلُجُ ، بَيْنَ الْقُصُورِ إِلَى بَيْتٍ مَعشُوقَتِهِ : ابْنَةِ الْكَرْمِيِّ ، تَصْحَبُهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ  
الْفَتَيَانِ ، وَهُمْ فِي شَوْقٍ مَلْتَهَبٍ إِلَى رَشْفَةِ الْكَأْسِ ، يَدْلُجُونَ عَلَى جَنَحِ طَائِرٍ مِنْ  
الْغَرَامِ ، حَتَّى وَصَلَ بِهِمْ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي بِهِ غَرَامُ الْفَوَادِ ، وَكَانَ فِيهِ هَزِيعٌ  
مَتَأَخَّرٌ مِنَ اللَّيْلِ ، يَرْعَبُ مَنْ يَزَارُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الزَّوْرَةُ عَامِلًا  
مُخِيفًا ، عِنْدَمَا دَقُّوا الْبَابَ عَلَى صَاحِبِ الْحَانَةِ ، فَعَلَا صَدَى هَذِهِ الطَّرَقَاتِ  
امْتِلَاءَ رُوحِ صَاحِبِ الْحَانَةِ ، فَرَعًا وَخَوْفًا ، وَلَمْ يَفْرَخْ رُوحُهُ إِلَّا عِنْدَمَا  
هَتَفُوا بِاسْمِهِ ، وَهَدَأَتْ ثَوْرَةَ خَوْفِهِ ، وَسَعَى لَهُمْ سَعِيًّا ، عَلَى الرَّأْسِ لَا  
عَلَى الْأَقْدَامِ ، وَحَيَّاهُمْ تَحِيَّةَ التَّاجِرِ الَّذِي يَصْرَفُ بِضَاعَتَهُ .

وَمَضَى الشَّاعِرُ : أَبُو نَوَاس ، فِي قَصِيدَتِهِ يَصِفُ صُورَ تِلْكَ  
اللَّيْلَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ مَشَاهِدٍ تَسْلُسِلِيَّةٍ ... وَلَا نَرِيدُ أَنْ نَقْفَ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا  
لِنَجْسُدَهُ فِي صُورَتِهِ ! إِنَّمَا أوردنا هَذِهِ " السِّيمْفُونِيَّةَ " بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ صُورِ

شاعريّة ، وارتباط في وحدة الصُّور والمعاني ، ولم يشر لها النُّقاد بتحليل أو نقد .

كما تصوّر هذه القصيدة حياة التّرف واللّهو ، التي أشرنا لها ، على من طوت من نعيم وتُرف تلك الأيام التي مرّت على بغداد في العصر العباسيّ ، التي تحوّلت فيها بغداد إلى زورق غارق في بحر نعيم وتُرف ، بجانب صرع من الطّوى ، ودمعة لاذعة ، في جفون أرباب الأكواخ . وقد طغى النّعيم والتّرف ، حتّى روى التّاريخ فصولاً منه ، لما تتمتّع به الجوّاري من رقّه وبذخ ، كانت جاريات البلاط تستعمل إناءً من الذهب ، بدل الدّلو ، يوضع فيه خيوطاً من الإبريسم ، أي : مفتولاً من الحرير ، بدل الحبل ، لتدليّ به في نهر دجلة لأخذ الماء .

ونكتفي بهذه اللّحة المقتضبة ، عن هذا العصر ، لأنّ دراستنا عن دور الشّعْر ، وتأثيره في الحياة ، لا عن صوّر التّاريخ وتطوّره ... وما نمرُّ به من لمحات تاريخيّة عن هذه العصور ، فهي تشبه الفصل التعريفيّ أو التّكميليّ ، فلنسر إلى شاعر آخر ، وهو أبو فراس الحمدانيّ .





أبو فراس

أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان

٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ / ٩٣٢م - ٩٦٨م



ولد في مدينة الموصل بالعراق ، من أسرة كريمة المحتد ، وقتل أبوه ، في خدعةٍ دبرها له ابنُ عمِّه ، وأبو فراس لا يزال طفلاً ، فأخذه ابنُ عمِّه سيفُ الدَّولة فتربَّى في بلاطه ، وتدرَّب على أساليب الفروسية والبطولة ... فكان بطلاً شجاعاً معلماً لا يبالى بالجحافل ، وأمره سيفُ الدَّولة على منبج وحرَّان .

وفي إحدى تنزُّهاته ، وكان يحيط به ثلَّةٌ قليلة من الجند ، خرج عليه جيش من الرُّوم لا طاقة له بهم ففرَّ من معه وبقي وحده يجابه الجحافل حتَّى وقع في أسر الرُّوم ؛ فكان على سيفِ الدَّولة تقديمُ الفداء لفكِّ أسرِه وإطلاقِ حرِّيته ؛ غير أنَّ سيفَ الدَّولة طالول في الفداء حتَّى عاش وراء القضبان الحديدية سبع سنوات ، فكان لهذا الأسر جروح نازية تحوَّلت إلى قصائد في أوتارٍ باكية ، فيها شكوى مأساوية ، وعتابٌ مريِّر لابنِ عمِّه : سيفُ الدَّولة في أسلوب رقةٍ وودٍّ مبطَّن بالحزن ، والإباء ، والبطولة ، وودٌّ صادق لابنِ عمِّه ، وحنينٌ أوتارٍ تسيل عواطف إلى زوجِه وأمِّه وأهلِه ووطنِه ، وأكثرُ هذه ( السِّمفونيَّات ) الرُّوميَّات موجَّهة لسيفِ الدَّولة .

ولمَّا طال أسرُه والمماظلة في تقديمِ الفداء ، تدخلت أمُّ أبي فراس لتستدرَّ عواطف سيفِ الدَّولة بصفعتها أمًّا وامرأة ذات رقة ، ولها مقام الدَّلال ؛ لأنَّها أمُّ زوجتِه أمُّ أبنائِه فهي تكلُّ بمكانتها ، لذلك بذلت جهوداً وشوطاً بعيداً في سعيها ، لتستدرَّ حنوَّه ، وتغيب الجليد - إن كان هناك جليد - في تقديمِ الفداء ! تضبَّب بين سيفِ الدَّولة وابنها أبي فراس !

وبرغم هذا وذاك لم تكن قلبه السياسي المتلَوِّن ، فأخذ يماطل سيفِ الدَّولة في الفداء ، حتَّى ماتت أمُّه بحسراتها أسيفةً ، لم تر ابنها ، وماتت وهو

بعيداً عنها ، قابع وراء قضبان الحديد ...! وكان لهذا المطال نزيه من الجراح  
تجسدت في قصائده الروميات الباقيات ، فينوح كما تنوح  
الحمام ، والحمامة الطليقة قد تعيش مع إلفها من فنن إلى فنن آخر ... أما  
شاعرنا أبو فراس ، فهو أسير قضبان حديدية يفصل بينه وبين أحبابه بحار  
وصحاري .

وصور هذا الفراق وهذا البعد في قصائده الروميات ، كما يصور  
الرسم لوحاته الغنية الناطقة ... فكان لهذا المطال في عدم الإسراع في الفداء  
لهب وهج من العبقرية ، تجسرت في قصائد الروميات التي خلدت أبا  
فراس ، وأصبح من عمالقة الشعر .

إنها لوحات من الفن الرفيع ؛ غير أننا نجهل السر الذي دعا سيف  
الدولة للمطالعة في الفداء لابن عمه ، وأخي زوجته ، وخال أبنائه ، وأحد  
قواده المخلصين ؛ فلا يزال الضباب التاريخي يحيط بهذا السر ، ولم  
تنضح الرؤية ، فتشرق الأضواء فينهك هذا السر .

وبعبارة مختصرة إنها السياسة التي أبوها الزئبق الفرار ...! فلبث  
أبو فراس يعاني معاناة مريرة في سجنه ، ولم يخطر يوماً ما  
بمخيلته : أن يقف ابن عمه منه هذا الموقف الشائن البغيض ، وبعد لأي طويل  
وأيام عجايب تعست العجلة سبع سنين كسني يوسف - على نبينا  
وعليه أفضل الصلاة والسلام - قدم سيف الدولة الفداء ، وبعد فك حرية أبي  
فراس ، عاش مع سيف الدولة سنة واحدة ، توفي بعدها سيف  
الدولة ، وللآمال المشبوبة للطامحة في نفس أبي فراس كربيح شبابه  
المخضوضر ، أراد أن يمد ظلاله على رقعة فسيحة تسابير رغباته  
البطولية ، وأنوار شبابه ... فحدثت مشادة عنيفة بينه وبين ابن أخته أبي  
المعالي : ابن سيف الدولة ، فأغرى بأبي فراس أحد خاصّة أبي المعالي  
فأرسل له جيشاً ...! تصادم الجيشان في معركة ، كانت معركة أبي المعالي

ابن سيف الدولة ترجحُ كَفَّتُهَا بالعتاد والجند ، فسقط أبو فراس جريحاً في  
الميدان ، ينزُّ من جراحه ، فمات في ريعان شبابه ، وقال قبل اللحظات  
الأخيرة من موته قطعة باكية مأساوية حزينة ، نعى بها نفسه ، يخاطب بها  
ابنته :

أَبْنَيْتِي لَا تَحْزَنِي  
كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ  
أَبْنَيْتِي صَبْرًا جَمِيلًا  
لِلْجَلِيلِ مِنَ الْمَصَابِ  
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ  
مَنْ خَلْفَ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ  
قُولِي إِذَا نَادَيْتَنِي  
وَعَيَّيْتَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ  
زَيْنَ الشُّبَابِ أَبُو فَرَّاسٍ  
لَمْ يَمْتَعْ بِالشُّبَابِ



أَمَّا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنْ ثَوَابُ  
وَلَا لِمُسَيٍّ عِنْدَكُنْ مَتَابُ

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَحْوِي هَوَاهُ خَرِيدَةً  
وَقَدْ ذُلَّ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ كَعَابُ  
وَلَكِنِّي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَازِمٌ  
أَعِزُّ إِذَا ذَلَّتْ لَهُنَّ رِقَابُ  
وَلَا تَمْلِكُ الْحَسَنَاءُ قَلْبِي كُلُّهُ  
وَإِنْ شَمِلَتْهَا رُقَّةٌ وَشَبَابُ  
وَأَجْرِي فَلَا أُعْطِي الْهَوَىٰ فَضْلَ مَقْوَدِي  
وَأَهْقُرُ وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ صَوَابُ  
إِذَا الْخِلُّ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَّا مَلَالَةٌ  
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفِرَاقُ عِتَابُ  
إِذَا لَمْ أَجِدْ مِنْ خُلَّةٍ مَا أُرِيدُهُ  
فَعِنْدِي لِأُخْرَىٰ عَزْمَةٌ وَرَكَابُ  
وَلَيْسَ فِرَاقٌ مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنْ يَكُنْ  
فِرَاقٌ عَلَيَّ حَالٍ فَلَيْسَ إِيَابُ  
صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ  
قَوْلٌ وَلَوْ أَنَّ السُّيُوفَ جَوَابُ  
وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوشِي  
وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جَيْتَةٌ وَذَهَابُ  
وَالْحَظُّ أَخْوَالُ الزَّمَانِ بِمُقْلَةٍ  
بِهَا الصِّدْقُ صِدْقٌ وَالْكَذَابُ كِذَابُ  
بِمَنْ يَثِيقُ الْإِنْسَانُ فِيمَا يَتَوَبُّهُ  
وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ الْكَرِيمِ صِحَابُ ؟

وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ  
 ذُنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِمْ نِيَابُ  
 تَغَابَيْتُ عَنْ قَوْمِي فَظَنُّوا غِبَاوَتِي  
 بِمَفْرِقِ أَغْبَانَا حَصَى وَتُرَابُ  
 وَلَوْ عَرَفُونِي حَقَّ مَعْرِفَتِي بِهِمْ  
 إِذَا عَلِمُوا أَنِّي شَهِدْتُ وَغَابُوا



لم يكن أبو فراس : الفارس المقدم الذي يمتلك أزمة ميدان النضال  
 فحسب ، فأبو فراس شاعرٌ مَفْنٌ ، ورأسٌ لحياةٍ مأساويةٍ ، ورغم كونه أميراً  
 يعيش في القصور ، وبين الحداثق المخضوضرة ، والجدول  
 المتدفقة ، وزغردة الطيور ، وهمسات النسيم ، وحفيف الأوراق ، وغرق في  
 دنيا نعيم ، ولكنَّ التَّحوُّلَ المفاجئ من نعيم إلى جحيم إلى أسرٍ مريرٍ ، والبطل  
 الشُّجاع أصعب شيءٍ عليه في حياته الميدانية : الأسر ... وما أدراك ما  
 الأسر ، فهو بفضل الموت على الأسر والفرار ؛ غير أن القضاء ولا راد له  
 أدخل أبا فراس في قفصٍ أسرٍ مريرٍ ، قابلاً وراء القضبان الحديدية ، تفصله  
 صحاري وبحور وحدود فتحوُّلٍ ذلك للنعيم إلى أحداثٍ جسامٍ ، وأيُّ أحداثٍ  
 أمضٍ وأمرٌ على بطلٍ فارسٍ ميدانيٍّ ، وأميرٍ يقع في شرك الأسر ، بين قيودٍ  
 وقضبانٍ لا يتحرك ، ولا يرى روعة الفجر ، ولا يمتطي صهوة  
 الخيل ، ليصارع الأبطال في ميدانٍ محتشدٍ بلجب ، وخميس لامع  
 بالسيف والرَّماح ، فهو بعيد كلَّ البعد عن أحبابه ووطنه ، لا يعرف عن  
 أخبارهم أو أخباره إلا كخلسة من حرف يتسرَّب لهم على موجة من موجات  
 بحر الرُّوم ، فهو وسط قوم غرباء لللسان واللُّغة ، غرباء الجنس والقومية !!

فهل هذه الحياة المأساوية المكبلة بالحديد ؛ والقيدود ؛ وبنحر الحرية ، تبقى للشخص ظلاً من حياة رفاهية ونعيم ، أو لمعة فكر تشرق عليه من كوة سماء الأدب ؟! ولكن العبقريّة لا تموت ، وإن عاشت في جوّ ملبد بالشقاء غير الجوّ الذي رجّت عليه ، من حياة نعيم مخضوضر خصب ، تنتفس الحرية في سلطة حاكم سلطان يأمر فيطاع .

غير أن العبقريّة قد تنمو وتثبت ورداً ، وتشرق نجومًا تضيء من حياة سماء مأساوية ، يبطنها الحزن المرير والقلق النفسي ... التي تتأرجح بين تلك للقضبان ، فتصهر العبقريّة في مجمر الآلام والشجون .

غير أن هذه الحياة جعلت الشاعر في بوتقة متفجرة ، كالبارود من وهج ألم للعبقريّة التي تتطاير كذرات ضوئيّة تحطم القضبان ، لتشتعل في سماء الحياة شموماً تضيء الحالكا ، بوحي حس مرهف ، ينفذ إلى ما وراء الأسرار ، فجاعت قصائده الروميّات تعبيراً يجسّد عاطفة جيّاشة ، وتقجّر قلب ، وإحساس ضمير ، ولهفة شوق وطنيّة تصوّر الهجر المبرح لبلاده وأهله ، ودموع ألحان باكيات ، وأوتار حزينة تتبع من معاناة مريرة .

فالقصائد للروميّات لوحات زيتيّة في ذروة الفن ؛ لذلك غنيت بالدراسة والنقد ، واختلف النقد في تلك القصائد ، هل تعلو في مضامينها ، على شعر المتنبي أو تساويه ؟ فدار حولها حوار فكري طويل ...! وأنت عندما تقرأ قصائد الروميّات تشعر بهزة روحية تسري في كيائك ، وفي ذرات جسمك كما تهزك النشوة ، أو كما ينقلك ذلك الطيف الحزين ، فيصوّر لك تلك الحياة ، ويجسّد لك المأساة - فكأنك تعيش مع أبي فراس في القسطنطينيّة : " عاصمة الدولة الرومانيّة " ، رهن ذلك المحبس وراء القضبان الحديدية .

ولعلّ من الخير أسر أبي فراس وسجنه ، فيعود برود خير على اللغة العربيّة ، بثراء ؛ وفتوح كنوز تكشف عن موهبة شاعريّة لأبي



فراس ، تتخفّض عن سمائها الشعراء ؛ حيث حلق في أفق بعيد المرمى ، فكلّما ماطل سيف الدولة وأخرّ الفداء ، ولم يف لابن عمّه بما يجب عليه ، لخلاصه من الأسر ، كان لهذا التأخير انفجار براكين عبقرية بالألم ، ولهيّيب من شوط الشقاء المبرّح ، فنفخ الدنيا بقصائد عصماء ، ولم نعرف السرّ المضبّب وراء صفحات للتأريخ ، لتأخير سيف الدولة الفداء ... هل هو صرفُ صدفةٍ ؟ أو كان أمراً سياسياً غطّى على معالمه التأريخ ، فالسرّ مغلف في تلايف للزمن المتّحيق ، ومغلقة عليه أبواب الماضي البعيد ، غير أننا نستطيع أن نقول : إنّ هذا التأخير كان نعمةً للفكر والضاد .

فالروميّات هي من الخوالد ، وتلحقُ بجناحي شاعرها إلى أفق الخلود ، وتسجّله في تاريخ الخالدين ، وما هذه ( السّمفونية ) التي فيها عتابٌ مريّر لابن عمّه - سيف الدولة - وصفٌ يجسّد مرارة المعاناة إلاّ مصداقٌ واقعيّ لما استشفناه من معاطلة سيف الدولة ، لتأخير الفداء ، وعدم رضى أبي فراس بهذا التعامل معه ، يكشفه لنا هذا الحرف الحزين الذي صورّ لنا هذه التجربة الواقعيّة من حياة شاعرٍ وفارسٍ .

فالإمامة بصور بعض لوحات هذه القصيدة التي تتسلسل صورها كلمحات ضوء بعضها من بعض ، أو كشلالٍ نهر ينحدر من علٍ ، في قطع موجةٍ متدافعة - أو كمرآةٍ ينعكس عليها ألوان الظلال والأضواء :

إِذَا الْخَيْلُ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَّا مَلَاةٌ

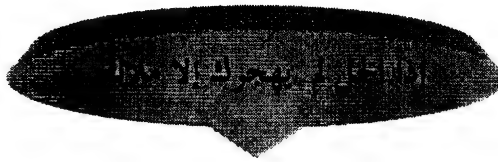
فَلَيْسَ لَكَ إِلَّا الْفِرَاقُ عِتَابُ

وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ

ذُنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِمْ نِيَابُ

وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوشِنِي  
وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جَيَّةٌ وَذَهَابُ  
وَالْحَظُّ أَحْوَالَ الزَّمَانِ بِمُقْلَةٍ  
بِهَا الصِّدْقُ صِدْقٌ وَالْكَذَابُ كِذَابُ

هذه صورة ناطقة بالأسى والعتاب المرير ، واليأس الذي فجر هذه  
الصورة لهيباً يستمده الشاعر من واقع الحياة :



لا يفيد فيه التقرب أو التودد فدواؤه الفراق .  
ويوغل الشاعر في تصوير الواقع فيرى الناس : إنهم صور  
ذئاب ، عليهم ثياب ، فهم لا يفون وإنما يأكل بعضهم بعضاً ! ويستمد الشاعر  
هذه الحقيقة المرة من أحداث الزمان ، ومن تجارب خبرته المأساوية التي  
كشفت له صور الحياة ، فهذا عتاب مبطن بمرارة لابن عمه : سيف  
الثولة ، تجسد حياة الأخلاء ، وكيف التَّعامل معهم في هذه الحياة ، وما هو  
دواء الملل : الداء المستشري في أخلاق المجتمع - إلا الفراق ، وإن كان  
هذا السلاح سلاحاً سلبياً .

ويمضي الشاعر في رسمته ، فيرسم لنا صورة من حياته المريرة  
التي يعانيتها في محبسين : السَّجْن ، والغربة ، فيجسد ما يعانيتها من أحداث  
ويؤطرها في صورة واضحة الحرف .

إن أحداث الزمان تتناهبه كما تتناهب السيوف جسم بطل في  
وغى ؛ فالموت يغمره في المساء والمصباح ، كأنها لحظات الأخيرة وهذه  
صورة مأساوية رائعة :

ولا تزال مقلته مرآة تعكس أهل زمانه ، فلا تتطلي عليه الوعود  
المعسولة المدفوفة بالزبد من الذين يقدرّون على فدائه ، ولم يفدوه ، والإشارة  
إلى سيف الدّولة ، فالصدقُ يراه صدقاً ، وللكذبُ يراه على حقيقته ، والبشر لم  
يعد بشراً ، إنهم في صورة نئاب لبموا الخداع والمكر ثياباً ، هكذا رسم  
البشر : أبو فراس ، من معاناته وتجربته للمريّة ، ولعلّ هذه الإشارة الحرفيّة  
المغلّفة بلمحات حزينة ، تبطنُ ابن عمه : سيف الدّولة ، فالصورة التي عاشها  
سجيناً في بلاد الرّوم ، قرابة مبعة أعوام ، ويمضي في هذه الرّسمة فيختم  
لوحتة الزيتيّة ، بمشهد رائع فيه زخم :

وَاطْلُبْ إِبْقَاءَ عَلَى الْوُدِّ أَرْضَهُ  
وَذِكْرِي مُنَى فِي غَيْرِهَا وَطِلَابُ  
كَذَاكَ الْوِدَادُ الْمَحْضُ لَا يُرْتَجَى لَهُ  
نَوَابٌ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ  
وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى الْهَجَرَ وَالشَّمْلُ جَامِعُ  
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَفْتَةٌ وَخِطَابُ  
فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكٌ قِصَرُ  
وَلِلْبَحْرِ حَوْلِي زَخْرَةٌ وَعِبَابُ ؟  
أَمِنْ بَعْدِ بَدَلِ النَّفْسِ فِيمَا تُرِيدُهُ  
أَتَابُ بِمُرِّ الْعُتْبِ حِينَ أَتَابُ ؟  
فَلَيْتَكَ تَخْلُوَ وَالْحَيَاءُ مَرِيرَةٌ  
وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَامِرٌ

وَبَيْنِي وَالْعَالَمِينَ خَرَابٌ

إنَّ هذه للخاتمة قطعة تذوب ألماً وعتاباً ، يصوِّرُ الشاعرُ في بيانِ رائع : كيف يعيش عيشة الحرمان ، ويشرب من كؤوس الغربة والبعاد ، ولا يحركُ ابنُ عمِّه : سيفُ الدَّولةِ ساكناً ، وهل هذا جزاءُ للودِّ الخالصِ الَّذي لا يطمعُ فيه ثواباً ، ولا يخشى عليه عقاباً ؟ وهل الأبطالُ الَّذين يضحُّون بأنفسِهِم في سبيلِ إشادةِ أركانِ المَلِكِ وبقائه ، يُثابون بإهمالٍ غيرِ مُكْتَرَبٍ من قوَّادِهِم ، وبمطالٍ لا وفاءَ لَهُ ، ويجزَوْنَ بشرَّ العقابِ ؟

وقد طافتُ بأفاقِ الشَّاعرِ هواجسُ لطيفِ تصوُّرٍ لَهُ أَيَّامَ ربيعِ إمْرِئِهِ ولقائِهِ بابنِ عمِّهِ ، والشَّمْلُ جامعٌ ، فهو لا يطيقُ الهجرَ ، فكيف بهذا الفراقِ المرُّ الَّذي يفصلُهُ بينهما ملكُ الرُّومِ ، والبحرُ الَّذي لَهُ صولاتُ وجولاتُ ، لمحها وهو في زنزانته ، من موج بحرِ غضوبٍ وتذكُّرِ أَيَّامِ حَلَبٍ وحرَّانٍ ومنبجٍ ، وكأنَّهُ على جناحِ ذكرياتٍ وفي كلِّ يومٍ بينهم لفتةٌ وخطابٌ ، وكيف به وقد فصلَ البعدُ بينهما بدولاتٍ ، وبحورٍ ، وجدرٍ من السَّجَنِ ، وقضبانٍ من الحديدِ ، فيصيحُ أبياتُهُ العتابيَّةُ ، في لهفةٍ لعلَّها تمرُّ على قلبِ ابنِ عمِّهِ مرورَ النَّسْلِمِ ، في رَقَّةٍ وحنانٍ فتلينُهُ فيرقُّ لأسرِهِ ، فتَهْزُهُ هذه الصُّورُ المسلسلةُ فتحرِّكُ العواطفَ الغافيةَ من جوِّ الإهمالِ الَّذي سدرَ فيه ابنُ عمِّهِ ، وهي تستمدُّ في أسلوبِها الوفاءَ والإخلاصَ لابنِ عمِّهِ برغمِ ما يجانيه من حياةٍ تنسي كلَّ حبيبٍ حبيبةً ، فهو لا يرى في حياته المظلمةِ المؤلمةِ فجراً يشرقُ ، إلَّا من أناملِ ابنِ عمِّهِ ، برغمِ صدودِ سيفِ الدَّولةِ عنه ، وعن هذه الرِّسائلِ الَّتِي انطوت عليها تلكُ القصائدِ العتابيَّةُ العصماءُ ، لعلَّه يفرِّخُ روعةً من الغضبِ ، ويرضى فيقَدِّمُ له الفداءَ .

ونسجلُ على أبي فراسٍ إشارةً نقديةً ، وإن كانت من وراء جدران  
القرون ...! في خاتمة قصيدته : البيتان اللذان خاطب بهما ابن عمّه متمنياً كلَّ  
ما بينهما عامراً وما بينه وبين العالمين خراب ، وهذه المقولة لا تصلح من  
بشر لبشر ، إنّما تصلح من عبدٍ ، لخالق السماوات والأرض ، فهي تصدق  
على واقع الإخلاص من عبدٍ لربه .



الشَّريف الرَّضِيُّ " مُحَمَّدٌ بن أبي أحمد الحسين "

الملقَّب بالرَّضِيِّ الموسويَّ العلويَّ

٣٥٩هـ - ٤٠٦هـ / ٩٧٠م - ١٠١٦م





ولي نقابة الطالبين ، وكانت إليه إمارة الحج والمظالم نيابة عن أبيه ذي المناقب ، ثم تولى ذلك بعد موت أبيه مستقلاً ، وحج البيت مرات وهو أمير الحج ، وهو أول طالبي جعل عليه السواد شعاراً يتميز به الطالبون من غيرهم ، وكان أوحداً علمياً عصره .

وحديثي ليس عن العلامة الشريف الرضي للمؤلف ذي الكتب الثرة الجمّة الفكر الواسعة الآفاق ، ولا للشريف الرضي السياسي ! ولا حديثي عن زعيم مرّت به أحداثٌ جسامٌ اکتوى بنارها ، وهو برعمٌ لم تتفتح أكمأه لضوء الشمس ، ونسمات الفجر حيث اعتقل أبوه وقامت والدته فاطمة الشريفة بتربيته وأخاه : علم الهدى المرتضى خير تربية ، ومزجت حنان الأمومة بحنان الأبوة تعويضاً عن غياب حنان الأبوة .

وفي هذه المحنة ، كتب الشريف ألواناً من الحروف ، تصوّر هذه الحياة الباكية المأساوية ، وأريد أن أحدث عن موقع الشريف الاجتماعي ومكانته الاجتماعية وندواته الأدبية ، وكيف أنشأ مدرسة فكرية في مدينة بغداد وخصّص رواتب شهرية ، تصرف لطلابها ، وتديرها لجنة مالية تشرف على شؤون الطلاب ، كنيوان محاسبة ينسق الداخل والخارج - هذه المدرسة التي هي فريدة من نوعها في عصره تضاف لسجله العظيم ، في مكارم الإنسانية تضيق بحصرها الحروف ، ومن أراد الاطلاع على هذه الحياة الخصبة ، فعليه بكتاب " الطالبين " ، " وعبرية الشريف ، للدكتور : زكي مبارك ، " وديوان الشريف الرضي " ؛ وكتب التاريخ مفعمةً بضوء بهذه العطور من هذه الدوحة .

فنتحدث عن شاعريّة الشّريف الرّضيّ المبدعة الّتي بزّت  
الشّعراء في حجازيّاته ، فهنا لا تستطيع الشّعراء التّنفّس في هذا الجوّ المفعم  
بالألوان من صوّر الفنّون ، ولوحاتٍ من مهارة حرف يصوّر حياة لا تزال  
جديدة ، كتجدّد الشّمس في الحياة ؛ فقصائد الحجازيّات قلوبٌ خافقة ، وأحداقٌ  
ناظرةٌ يموج فيها السّحر الحلال ، ويرفُ عليها الزّنبق والورد :

يا ظيية البان ترعى في هائله  
ليهنك اليوم أنّ القلب مرعاك  
الماء عندك مبدول لشاربه  
وليس يرويك إلا مدمعي الباكي  
هبت لنا من رياح الغور رائحةً  
بعد الرّقاد عرفناها بريّاك  
ثمّ انشينا إذا ما هزّنا طرب  
على الرّحال تعلّنا بذكراك  
سهم أصاب وراميه بذى سلم  
من بالعراق لقد أبعدت مرماك  
وعدّ لعينيك عندي ما وفيت به  
يا قرب ما كذبت عينيّ عيناك  
حكّت لحاظك ما في الرّيم من ملح  
يوم اللّقاء فكان الفضل للحاكي  
كأنّ طرفك يوم الجزع يخبرنا  
بما طوى عنك من أسماء قتلاك

أنت النعيم لقلبي والعذاب له  
فما أمرّك في قلبي وأحلاك  
عندي رسائل شوق لست أذكرها  
لولا الرقيب ، لقد بلغتها فاك  
سقى مني وليالي الخيف ما شربت  
من الغمام وحيّاها وحيّاك  
إذ يلتقي كل ذي دين وماطله  
منا ويجمع المشكرو والشّاكي  
لما غدا السّرب يعطو بين أرحلنا  
ما كان فيه غريم القلب إلّاك  
هامت بك العين لم تتبع سواك هوّى  
من علم البين أن القلب يهواك ؟  
حتّى دنا السّرب ما أحيت من كمد  
قلبي هواك ولا فاديت أسراك  
يا حبّذا نفحة مرّت بفيك لنا  
ونطفة غمست فيها ثناياك  
وحبّذا وقفة والرّكب مغفل  
على ثرى وخدت فيه مطاياك  
لو كانت اللّمة السّوداء من عددي  
يوم الغيم لما أفلت أشراكي



وقفةً أيُّها القارئ العزيز ، أمام هذه اللوحة الزيتية الغزلة التي  
تصوّر حياة حبٍّ وهيام ، في صورة رائعة جديدة ، وتعطي مكانةً : موقع  
المرأة الجنس الرقيق ، فهي الرثة التي يتنفّس منها المجتمع .

افتتح الشاعرُ سيمفونيتهُ بنداءٍ ناعمٍ كهمس النسائم رقّةً في أذن  
الفجر ، مكنياً عن الحبيبة بالطّيبة ، والطّبّاء في رشاقتهم يُكنّى بهنَّ عن  
الملاح ، فالشاعر خلق جوّاً عاطفياً ، وجعل من قلبه خميلةً مرعىً لتلك  
الطّيبة ، إلّا أنّ هذا المرعى ليس كالمراعي ! إنّما هو أثنُ كنزٍ في  
الحياة ، وهو قلبه الإنساني الذي تنبض فيه الخلجات ، وتنفّس دنياهُ ..!

وكما إنّ الماء الذي ينبع من أعماق الأرض ويتدفّق من قمم  
جبالها ، وبين رواابيها ، لا يطفئ أومها ؛ وإنّما الذي يطفئ الأوام دموع  
تذوب فيها القلوب ...! هل تتنوّق هذه الصّورة المتحرّكة ؟

ويمضي الشاعر ، فيصف لنا سهام العيون ، التي هي إحدى آلات  
السّهام الحديديّة الحربيّة ؛ فإنّ عين حبيبته سهام تنفذ ، وتشقّ الجلود على  
مسافة آلاف الأميال ! إنّها " بذي سلم " ، وهو ببغداد في العراق ، فيصيبه  
السّهم ولا يخطئ ، وليست الصّواريخ العابرة القارّات ، ولكنّها سهام الحبّ  
التي لا يحجبها حواجزٌ ، أو صحاري .

ومضى الشاعر في رسمته الزيتيّة ، يصوّر حروفاً من كتاب  
الهوى : مشاهد مواعيد المعشوقين للعاشقين :

وعدّ لعينيك عندي ما وفيت به

يا قرب ما كذبت عينيّ عيناك

حكّت لحاظك ما في الرّيم من ملح

يوم اللّقاء فكان الفضل للحاكي

كأنّ طرفك يوم الجزع يخبرنا

بما طوى عنك من أسماء قتلاك

وقفةً معي أيُّها القارئ في هذه الصُّورة المتحرّكة الرائعة المنسكبة  
كأطراف من ضوء الشَّمس ، وتأمّل في هذه المعاني الجديدة  
المبتكرة ، والتّصوير الرّائع الذي لم يسبق إليه ، ما هذه الرّسائل النّابضة  
بالقلوب ؟ أهَي رموز وإشارات تختصرها العيون للعيون ، في حروفٍ  
وعودٍ لا توفى ، فكأنّها أمنيّات ، تصاغ في مطالٍ ، وما ألدّ المطال عند  
العاشقين !

إنّ هذا التّعبير وثبةً من وثبات التّجديد في الشّعْر العربيّ ، في  
صورته روعةً وزخماً ، فانظر إلى التّشبيه عندما رسم هذه الصُّورة  
وأطرها ؛ فعيون حبيبته تحكي لحاظ الرّيم في الجمال والسّحر ، وفضلتها في  
جمالها وسحرها ، وكان الفضل للحاكي ، ولماذا يكون الفضل  
للحاكي ؟.. لأنّها أشبهت عيون الرّيم ، في الجمال والسّحر ، وبزّتها وامتازت  
عليها ؛ لأنّ العيون البشريّة ليست جامدةً كجمود عيون الرّيم ...! إنّما  
تتحرك وتسجّل وعوداً ، وتعطي إشارات ، وتكتب رسائل الحبّ والشّوق في  
إشارات ضوئيّة تخطّها الألحاظ ، وترسلها إلى القلوب ، وهذا معنى مبتكر  
جديد ، ويفسّره ويكمّله :

عندي رسائل شوق لست أذكرها

لولا الرقيب ، لقد بلغتها فاك

وتأمل معي هذه الصورة ؛ ففيها من الروعة والفن ما يقصر عنه  
ألوان الشعر .

والشريف الرضي في هذه القصيدة ، كان رسّامًا يطلع علينا  
برسمات جديدة :

هامت بك العين لم تتبع سواك هوى

من علم اليين أنّ القلب يهواك ؟

ما هذه الفتنة الرائعة ؟ فالقدماء كانوا يعدّون العيون رسلاً  
للقلوب ، أمّا شاعرنا الكبير ، فيرى أنّ العيون عالم منفصل عن عالم  
القلوب ، وهذه من الصّور الخلابة المبتكرة المتحرّكة كضوء الشّمس ، على  
آفاق الحياة ، والقصيدة بين يديك ، إن شئت أن تقرّأها فاقراها تعش في جوّ  
حبّ آفاق ضوئيّة ، وصوّر جديدة ، كجذّة الفجر في تألّق في كلّ صباح .

ونختتم العصر العباسيّ العصر الذهبيّ ، بالشّاعر العملاق الشّريف  
الرّضيّ " بولدير العرب " ، إن صحّ هذا التعبير ! والمقولة الصّحيحة الواقعيّة  
بذاتها أن نعكس المعنى ، فالشّريف هو شريف الغرب والعرب ، قبل أن  
يولد " بولدير " ؛ فيولدير ، إن كان قد قرأ أشعار الشّريف من طريق  
لغته ، أو اللّغة العربيّة ، فشعره اقتباس من هذا الشّاعر ، الذي جدّد  
الشّعر ، وسبق شعره جديدًا ، إلى أن يشاء الله محو هذا الكوكب .

# إنتكاسة الفكر





مرّت على الفكر انتكاسةً ، تحوّل فيها نتاجه من نثرٍ وشعرٍ ، إلى كلماتٍ تقليديّةٍ جوفاء ، لا تحمّل حروفها جوهرَ الفكر ، إنّما تُعيدُ أصداءَ ألفاظٍ تقليديّةٍ ، لا تمثّل واقعَ حياةٍ قائلِها ، ولا تعكسُ حياةَ العصرِ الذي يحيونه وصوّرهُ ، وفي رأيي : الشعرُ ما صوّرَ حياةَ عصرِ الشاعرِ ، ومعاناته ، وتجاربهُ النفسيّةَ ، وعكسَ عصرَ ذلك الشّاعرِ ، كمرآةٍ تنطبعُ على صفحاتها صورُ ذلك العصرِ .

فالشّعرُ الجاهليُّ كان مرآةً لعصره ، كما إنّ عصرَ النّورِ - عصرَ الإسلام - قد عكسَ جوانبَ من نواحي عصره ، وحتّى العصرِ الأمويّ ، والعصرِ العباسيّ ، وإن كانت شريحةٌ من بعضِ شعراءِ تلك العصورِ ، درجوا على أسلوبٍ تقليديٍّ كالبكاءِ على الأطلال ، والتّغزّلِ بمراتع الطّباء ، وتشبيهه الأرداف بالكتبان ، والشّاعرُ يعيش في قصرٍ ، في مدينةٍ من المدنِ الحضاريّةِ ، لا صلة له بالكثير ، أو بالمراعي .

وبكلمةٍ مختصرةٍ لم يفلت شعراءُ العصرِ الإسلاميّ ، والعصرِ الأمويّ ، والعصرِ العباسيّ ، من بعضِ قيودِ الشّعرِ الجاهليّ ، الذي شدّهم ، علقه تراثيّةٌ ، والتّراثُ يجري في الدّم ، فالتّخلّصُ منه ، والانفلاتُ من ربقتِهِ عسيرٌ جدًّا .

وأنا لا أدعو إلى نبذ التّراث ؛ فمن لا ماضٍ له لا حاضر له ، ولكنّ المفكّرَ يعيشُ بعقليّةٍ حضاريّةٍ تواكبُ تطوّرَ عصره ، وما يمرُّ به من فنونٍ وإبداعٍ ، وصوَرٍ جديدةٍ يولّدُها ذلك العصر ، فعليه الاقتباسُ منها ، والتّجديدُ ، ولا يحنُ إلى حياةٍ عصرٍ لم يشاهدها ولم يعايشها ، إنّما قرأها في قصائدِ شعراءِ عايشوا ذلك العصر ، ودرجوا على صعيده ، والذي هو أدهى وأمرُّ : الانتكاسةُ الفكريّةُ التي كانت أشدَّ تضيقاً على الفكر ، فعاش

الفكرُ الأدبيُّ على مائدة التقليد ، يلوكُ ألفاظها دون معانيها ، في ليلٍ من هذه الفترة ، مولعًا بالجناس ، والبديع ، والطباق ، والازدواجية ، والسجع ، لا يصل للمعاني للضوئية ، إنما يرددُ ألفاظاً تقليدية ، وكادت اللغة العربية تلفظُ أنفاسها الأخيرة ، أو هي في سياق الاحتضار ، أو تتكلى رجلها إلى شفير القبر .

وهذه الفترة كما حدّدها المؤرخون ، بدأت من عام ٦٥٦هـ - ١٢٢٠هـ ، وذلك في عصر المماليك ، لأنّ المماليك قضوا على الدولة العباسية ، واستعملوا لغتهم في التّخاطب ، وفي الرّسميّات ، وجاء دور التتار ، والدولة العثمانية التركية ، فالدولة التركية تستعمل لغتها في الأساليب الرّسميّة ، وفي المعاهدات ، وفي الدّواوين ، حتّى موظفوها نشروا اللغة التركية بين الجمهور ، وبين طبقات العوام في البلاد العربية التي حكموها ، وحتّى بلغَ بهم الهوسُ - كما يقال - فنمت عندهم فكرة تتركب العرب ، وسلّخهم من لغتهم العربية حتّى يتتركوا ؛ لهذه العوامل السياسيّة ، والبيئيّة ، والقوميّة ، والزمنيّة ...! تلك أسلحة سدّدت إلى قلب اللغة العربية ، فأنزلتها من نروتها السّماء ، إلى سفح انحطاط .

وفي عقيدتي ورأيي ، لولا القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، ونهج البلاغة ، وما تبقى لنا من كلمة زرعها التاريخ ، وحفرها في محراب الزّمن ، لقُبرت للغة العربية ، وأصبحت في خبر " كان " !

وبرغم هذه الفترة المضنيّة بالظلام ، على أفق الفكر العربيّ ولغته ، نرّت في سماءها نجومٌ متألّئة بألوانٍ صورٍ متباعدة الآفاق كصفيّ الدّين الحلّي ، وابن نباتة ، وشهاب الدّين ابن معنوق ، والشّايخ جعفر الخطّي ، ولهم أمثالٌ ، طلّعوا طلوع البدر ، في سماء ليلٍ داجن في تلك الفترة ، ولكنهم يعثّون على ندرةٍ وقلةٍ للعوامل التي أشرنا لها !

ومن ضمن القبساتِ الضوئيةِ التي سطعت في تلك الفترة ، الشيخ جعفر الخطي ، فكان له طابعٌ ينفرد به ، ويميّزه عن شعراءِ فترته ، بما اختطّه من منهجيةٍ شاعريّة ، تخصّص بها في أسلوبٍ فريد ؛ حيث وصف ما يشاهده من مناظرٍ طبيعيّة في القطيف ، أو أوال ، ميّزته في أساليبٍ شعريّة ، اختص بها ، وميّزته عن هذه الفترة ، وكأنّه ليس من شعرائها ، حيث صوّر عصره كما نجلوه عند الحديث عنه ، وإن كانت هذه الفترة ، لو وضعناها في مقاييس الموزنة الفكرية ، بالعصور التي سبقتها ، أو بالنهضة الجديدة التي جاءت بعدها فجراً في سماء ليلى ، لتحرّ ظلمته ، وتشرقُ شمساً ، تشع من سماء الكنانة ، والشّام ، وبغداد ، والجزيرة العربيّة ، لما استطعنا أن نقيس تلك الفترة ، بما قبلها من العصور ، أو بالإشراقة الجديدة ، التي سطعت في سماء القرن العشرين ، وكنا مقسطين ، ومسرّفين كلّ الإسراف ، في هذه الموازنة ، لأنّ المقاييس ، والعوامل الزمّنيّة ، والتاريخيّة ، تختلف من حيث الظروف ، والحياة السياسيّة ، والاقتصاديّة ، كلّ الاختلاف بين العصر والعصر ، وبين الحياة والحياة ، فلا تصحّ الموازنة إلا إذا اتّحدت مفاهيم الصّور ، والعوامل التاريخيّة والزمّنيّة ، لذلك لا يصحّ لنا أن نقيس هذه الفترة الانحطاطيّة ، بالعصور التّقدميّة فيما قبلها ، أو فيما بعدها من فكر القرن العشرين ، الذي كان انطلاقاً ضوئية ... وهل يوازنُ الظلامُ بالضوء ؟!

وبرغم ما تراكم من ضبابٍ ركامٍ في هذه الفترة الانحطاطيّة ، التي انتكس فيها الفكرُ العربيّ ، وحاول أعداءُ اللّغة العربيّة ، القضاء عليها ... برغم هذا وذاك ، لم يستطيعوا القضاء على الفكر العربيّ ، لأنّ الفكر لا يموت ، برغم هذه الأسلحة الفتّاكة التي تحاربه وتسدّد له الضربات ، في جوهر قلبه ، فقد لمع في ظلامها ، وشقّ ضبابها أنجم سنشير

لبعضها ، ونختار بعضاً من نجومها اللامعة ، على صفحات تاريخ  
تلك الفترة ، وكان لها دور ، وخلود ، لعبته في التاريخ .  
ومن تلك للشريحة صفي الدين الحلّي ، وشهاب الدين ابن  
معنوق ، وابن نباتة ، والشيخ جعفر الخطّي ... فنورد لكل منهم بعض  
النماذج من أشعارهم ، ومختصراً عن حياتهم ، ما سمحت به هذه المساحة  
من هذا الورق .

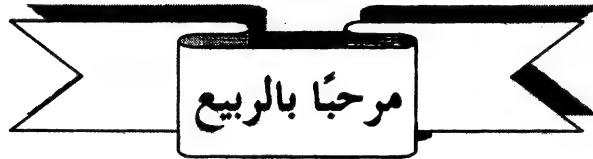
صفيُّ الدِّين الحلِّيُّ

٦٧٧هـ - ٧٥٠هـ / ١٢٧٨م - ١٣٤٩م



هو : عبدالعزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي ، شاعر الجزيرة ، ولد سنة ٦٧٧هـ ، ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأدب ونظم الشعر ، وأجاده ، وأصبح فيه أشعر شعراء عصره ، كما قصر نموذجاً من شعره ، في خدمة ، ومدح الملك المنصور نجم الدين غازي بن قرّة أرسلان ، أحد ملوك الدولة الأرتقية { ديار بكر } ، واتصل بابنه الملك الصالح شمس الدين ، ثم ذهب إلى الحج ، وعرج منصرفاً منه على مصر ، فمدح الملك الناصر : ابن قلاوون ، وتوفي سنة ٧٥٠هـ .

ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع ، المتفنين في أنواعه المغالين في استعماله في شعرهم ، بتكلف لا يطاق ! وصفي الدين برغم الوله الذي عايش فيه زملاءه من الشعراء ، والتسابق على هذه الألفاظ الطباقية والبديعية ، ترك ثروة فكرية ، كوصفه للربيع ، وأنماط من الأدب المكشوف ؛ ولهذه الأصالة ، لم يضع في ضباب الزمن النّيّاه ، الذي لا يرحم ، ولا ينجو من عسف لمولجه إلا أولئك " ذوو الحظوظ " وظلّ نجماً يتألق في التاريخ ، وفي سماء الشعر .

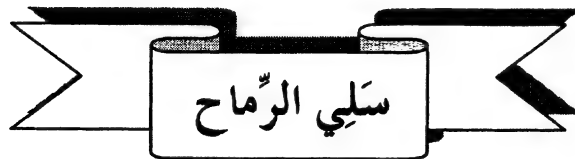


ورَدَ الرَّبِيعُ ، فمرَحَبًا بـوَرُودِهِ  
وبنُورِ بهجَتِهِ ، ونَورِ وُرُودِهِ  
وبخُسنِ مَنظَرِهِ وطِيبِ نَسِيمِهِ  
وأنيقِ ملبَسِهِ ووَفِيِّ بُرُودِهِ

فَصْلٌ ، إِذَا افْتَخَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ  
 إِنْسَانٌ مُقْلَتِيهِ ، وَيَيْتُ قَصِيدِهِ  
 يُغْنِي الْمِزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ  
 بِاللُّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ  
 يَا حَبْنًا أَزْهَارُهُ وَثِمَارُهُ  
 وَنَبَاتٌ نَاجِمِهِ ، وَحَبُّ حَصِيدِهِ  
 وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ  
 كَبَنَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي مَوَاجِبِ غُودِهِ  
 وَالْغَصْنُ قَدْ كُسِيَ الْغَلَاثِلَ بَعْدَمَا  
 أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ



هذه قطعة تصفُ فصل الربيع ، الذي هو شبابُ الزَّمن ، وروحه  
 المتحرِّكة في أغصانه ، وفي أطيَّاره ، وفي أجسادِ الإنسان الذي يعيشُ في  
 ذلك الفصل ، الذي يجد لك الحياةَ بآثرها ... والشاعر : صفى الدين في هذه  
 القطعة يخرجُ على مدرسة التقليد ، التي قصَّرتُ كليَّاتها على  
 المدح ، والرتاء ، والهجاء والغزل .



سلي الرِّمَّاحُ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا  
 وَاسْتَشْهَدِي الْبَيْضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا



وَسَائِلِي الْعُرْبَ وَالْأَتْرَاكَ مَا فَعَلْتِ  
فِي أَرْضِ قَبْرِ عَيْنِ اللَّهِ أَيْنَا  
لَمَّا سَعَيْنَا ، فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا  
عَمَّا نَرُومُ ، وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا  
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ زَوْرَاءِ الْعِرَاقِ ، وَقَدْ  
دَنَا الْأَعَادِي كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا  
بِضُمِّرٍ مَا رَبَطْنَاهَا مُسُومَةً  
إِلَّا لِنَغْزُو بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا



وهذه القصيدة للشاعر : صفى الدين .. إنها نشيدٌ حماسيٌّ ، ينفخُ  
الحماسة ، ويؤججُ اللهبَ الجاحمَ في النفوس ، ويثيرُ الحميَّةَ ، والنَّخوةَ  
العربيَّةَ التي تغنى بها الشعراءُ للوطنِيون ..! وقد صبغها بألوان  
الفخر ، والاعتزاز ، واقتبس من هذه القصيدة : الشاعر الأخطل الصَّغير في  
قصيدته النونية التي قالها في فلسطين ، بعد تسليمها من قبل الإنجليز ، عام  
١٩٤٨م لليهود .



الشاعر

ابن معتوق الموسوي



هو شهاب الدين ابن معتوق الموسوي ، شاعر العراق في عصره ، وسابق حلبته في رقة شعره ، ولد سنة ١٠٢٥هـ ، ونشأ بالبصرة ، وبها تعلم ، وتأدب ، وقال الشعر ، وأجاده ، وكان في نشأته فقيراً ، فاتصل بالسيّد : علي خان ، أحد أمراء البصرة من قبل الدولة الصفويّة الإيرانيّة - وكانت وقتئذ تملك العراق والبحرين - ومدحه مدحاً رقيقاً ، وأكثر شعره مقصورٌ عليه ، وعلى آل بيته ، فغمره بإحسانه .

وابن معتوق شاعرٌ من شعراء العقيدة ، مدح آل البيت ، في ديوانه المطبوع ، عام ١٨٨٥م ، بالمطبعة الأدبيّة ببغروت ، المشتمل على ٢٣٩ صفحة من القطع المتوسط ، ومات سنة ١١١١هـ .

ويمتاز شعره بالرقّة ، وكثرة المجازات ، وللطابع الأصيل الفكريّ الذي نما في أفق نفسه ، أفلت من جدار فترته ، ولمع كوكباً ، يسطع في سماء دنيا الأدب ..!

ومن رثائه قصيدته التي يصف بها روعة المصاب ، وصبغة الحزن بالدم التي أراقته أُميّة ، في اليوم العاشر من الشهر الحرام ، فنبت هذا الدم نجومًا تضيء الطريق للأحرار ، وتصبغ النفوس بالمصائب الدّامي لمصرع الإمام الحسين ( ع ) ، ويستهلّها بصورة حمراء ، تحمل الشّجا والحزن ، لذلك الهلال ، وتعبيراً لما جرى على سبط الرّسول - صلّى الله عليه وآله - من مصابٍ دامٍ بشعٍ ، أرفع قلب الدّهر حتّى يومنا هذا ، وحتّى يرث الله الأرض ..!

وقد وصف هلال محرم ، بصورة صيغت من حزنٍ ، وألم ، نورداً منها مقطعاً .

هَلْ الْمُحَرَّمُ فَاسْتَهَلَ مُكَبَّرًا

وانثر به دُرَرَ الدُمُوعِ عَلَى الثَّرَى

وانظر بغرَّتِهِ الهَالَالَ إِذَا انْجَلَى

مُسْتَرْجَعًا مُتَفَجِّعًا مُتَفَكِّرًا

واقطف ثمار الحزنِ مِنْ عرجونه

وانحر بختجره بمقلتيك الكرى

وانس العقيقَ وإنس جيرانَ النِّقَا

واذكر لنا خيرَ الطُّفُوفِ وما جرى

واخلع شعارَ الصَّبْرِ مِنْكَ وَزَرَ مِنْ

خلع السَّقَامِ عَلَيْكَ ثوبًا أَصْفَرًا

فثيابُ ذي الأشجانِ أَلْيَقُهَا بِهِ

مَا كَانَ مِنْ حَمْرِ الثِّيَابِ مُزْرَرًا

شهرٌ بِحُكْمِ الدَّهْرِ فِيهِ تَحْكُمَت

شرُّ الكلابِ السُّودَ فِي أَسَدِ الشَّرَى

لِلَّهِ ، أَيُّ مَصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ

بَكَتِ السَّمَاءُ لَهَا نَجِيعًا أَحْمَرًا

خطبٌ وَهِيَ الْإِسْلَامُ عِنْدَ وَقْعِهِ

لبست عليه حدادها أُمُّ الْقَرَى

أَوْ مَا تَرَى الْحَرَمَ الشَّرِيفَ تَكَادُ مِنْ

زفرائِهِ الْجُمَرَاتُ أَنْ تَتَسَعَّرَا

وَأَبَا قَبِيْسٍ فِي حِشَاةٍ تَصَاعَدَت

قَبَسَاتٍ وَجَدَ حَرْهَا يُصَلِّي حِرًّا

علم الحطيمُ بهِ فحطمةُ الأسى  
ودرى الصِّفا بمصابِه فتكدِّرا  
واستشعرت منه المشاعرُ بالبلا  
وعفا محسِّرها جوى وتحسِّرا  
قتل الحسينُ فيالهَا مِنْ نكبةٍ  
أضحى لها الإسلامُ منهدمَ الدِّرا  
قتلٌ يدلُّك إنمَّا سرُّ الفدا  
ففي ذلك الذِّبح العظيم تأخِّرا  
رؤيا خليلِ اللّٰه فيه تعبَّرت  
حقًّا وتأويلِ الكتابِ تفسِّرا  
رُءٌ تداركُ مِنْهُ نفسَ محمَّدٍ  
كدِّرا وأبكى قبره والمنبرا  
أهدى السُّرور لقلبٍ هندٍ وابنهَا  
وأساء فاطمةً وأشجى حيدرا  
ويلٌ لقاتله أيدي أنَّهُ  
عادى النَّبيِّ وصنوه أم ما درى ؟  
شلتُ يداهُ لقد تقمَّصَ خزيَّةً  
يأتي بها يومَ الحسابِ مؤزِّرا



هذه القصيدة التي تصفُ المصاب الدَّامي ، والتي كانت  
تعبيرا ، وتجسيذا ، لما يتحلَّى بهِ هذا الشَّاعرُ مِنْ عقيدةٍ صلبة ، تجاه نبيِّ

الرَّحْمَةُ وَآلِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَلَعَلَّهُ اقْتَبَسَ بَعْضَ صَوَرِهَا ، مِنْ  
الشَّاعِرِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ .

وَعَلَى الْأَفْقِ مِنْ دَمَاءِ الشَّهِيدِينَ  
عَلِيٍّ وَنَجْلِهِ شَاهِدَانِ  
فَهُمَا فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ فَجْرَانِ  
وَفِي أَوْلِيَائِهِ شَفَقَانِ

أَوْ مِمَّا نَقَلَهُ التَّارِخُ ؛ حَيْثُ جَاءَ فِي الصَّوَاغِقِ الْمَحْرَقَةِ ، لِابْنِ  
حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ ، مَا رَفَعَ حَجَرًا ، أَوْ مَدَّرَ فِي يَوْمِ الْعَاشِرِ ، بَعْدَ مَقْتَلِ  
الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ، إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ نَمَّ عَبِيطًا ، وَمَعْنَى الْعَبِيطِ لُغَةً الطَّرِيُّ .



الشاعر

ابن نباتة المصريُّ

٦٨٦هـ - ٧٦٧هـ / ١٢٨٧م - ١٣٦٦م



هو جمال الدين محمد بن محمد ، المعروف بابن نباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ، ولد سنة ٦٨٦هـ ونشأ بالقاهرة ، وتلقى العلم ، والأدب ، وأكبَّ على قراءة شعر القاضي الفاضل ، ورسائله فرسخت فيه طريقته من الولوع بالتورية ، والتلميح ، والطباق ، ولم يأت بعده من شعراء مصر ، والشَّام مَنْ بلغَ غايته في لطف التصوير ، ورقَّة اللَّفْظ ، وانسجام العبارة ، مات سنة ٧٦٧هـ ، ومن شعره قوله :

يا مشتكي الهمِّ دغه وانتظرْ فرجًا  
ودار وقتك من حينٍ إلى حينٍ  
ولا تعانِذْ إذا أصبحت في كَدَرٍ  
فإنَّما أنت من ماءٍ ومن طينٍ

الشاعر : ابن نباتة ، أفلت من قيودِ الفترة الانتكاسية للفكر ، وتألَّق نجمًا في سماء الأدب ، غير أنني لم أعر على ديوان له يحملُ ثمرة خصب حياته ، ولم أجد عنه إلاَّ لمامًا ، في كتاب جواهر الأدب للسَّيِّد / أحمد الهاشمي المصري ، واعتقادي أن رجال الفكر في الكنانة ، لا يتركون أثرًا من آثار مفكرِّهم إلاَّ عنوا به ، وأخرجوه للحياة الفكرية ، يطير في أجوائها ، ويتنفَّس الأكسجين ، وعدم رؤيتي لا تدلُّ على عدم الوجود لديوانه ، لهذه العوامل اكتفيت بهذه اللَّحمة القصيرة .



الشاعر الشيخ : جعفر الخطي

(( نشر بمجلة الواحة بالعدد التاسع عشر

الربع الأخير ٢٠٠٠م - ص ٩٠ ))



هو أبو البحر شرف الدين ، جعفر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد الإمام الخطيُّ البحرانيُّ العبديُّ ، نسبة إلى بني عبد القيس ، وقد لُقِّبَ : « أبا البحر » وكان بين الاسم وهذا اللقب التقاء ، وانسجام في المعنى ؛ حيث إن الجعفر هو : النهر أو البحر ..!

هو أحد شعراء القطيف من الشعراء الذين لمعوا في فترة انتكاسة الفكر ، وكان هذا الشاعرُ عبقريةً فذةً طلعت طلوع الكواكب في سماء ليل تلك الفترة ، وتميَّز بطابع شعريٍّ عن قرنائهِ الذين أولعوا بالحياة الشعريَّة التقليدية ... ولم يعطنا التاريخ بسطةٍ لإسهاب عن معالم حياة هذا الشاعر ، وإن حفلت بقسم من أخبار حياته بعض الكتب للتاريخية والأدبية ، كسلافة العصر وكشكول البهائيِّ ، ومن الرِّحمن ، وكتب أخرى !

وليس الخطيُّ شاعرًا فحسب ! بل كان له دورٌ كبيرٌ في ألوان من العلم ، كالفقه والأصول ، والفلسفة ، والحكميات .. وبسطة من علم النجوم ؛ غير أن حديثي عن الخطيُّ للشاعر ، لا الخطيُّ العالم .

وإنَّ هذه الشخصية التي تمرَّنت في شعرها على عصرها لم تعطَ ما تستحقُّه من احتفاءٍ ، وإن وُجدت بعضُ التَّدوينات التي لم تستوعب حياة هذا الشاعر الذي كان فلتة من فلتات العبقرية ، في تلك الفترة الخالية من جوهر الفكر ؛ حيث لم يترسَّم شعره خطى الشعر التقليديِّ ، ومعالم حروفها التي هي تقليدٌ محضٌ لألفاظٍ جوفاء ، لا هدف ولا جوهر ! فيها ، بل كتب شعره من مرآة نفسه ، ومن ألوان عصره .. وبرغم هذا التحرُّر من قيود تلك الفترة إلا أنَّه قد

علقت به رواسب من صور التراث والتقليد استعملها في شعره كلفظة المطي<sup>(١)</sup> يستعملها في أداة المواصلات ، ولعله لم يركب مطية ! ووادي العقيق ، ووادي الغضى ، وغير ذلك من بعض التركيبات والكلمات . والكثير أي : الكتلة من الرمل ، ولعله لم ير وادي الغضى ، أو وادي العقيق ولكنه تأثر وصبغة من التراث ، لم يستطع التفلسف من بعض هذه القيود برغم ما تحرر من قيود تلك الفترة ، ودرج على منهجية غير الشعراء من زملائه المعاصرين ، فكان شعره صوراً لطبيعة القطيف ، وألواناً تصور حياة القطيف ، وتنعكس في بعض القصائد فتراه يستعمل ( منز - ودرز ) وهي لهجة قطيفية ، ندلل على ذلك من قصيدة له يرثي بها طفلاً ، ويعزي والده فيه : -

لعمري أبي لقد رمت الليالي  
بحز في الحلق وأبي حز  
لبدر غاب قبل تمام نور  
وغصن جف قبل تمام درز  
وطفل مات لم يركب جواذاً  
سوى حضن الوليدة والمنز

المنز يطلق على مهد الطفل ، والدرز يعبر به عن الشجر إذا أورق ، فهو يكتب ما يعايشه من طبيعة حاضر يمر على أرضيته ، فهو يسجل حياة يعيشها ، ويتفاعل مع أحداثها ، ومناظرها الطبيعية ؛ لأن القطيف واحة خضراء ذات نخيل باسقة ، وأشجار مورقة وعيون ثرة تطل على

(١) إن كان الشاعر يقصد بالمطي كل ما يغطي الشخص ويحميه فالتعبير ينسجم وعصره . وإن قصد به الإبل فهو لم يركبها ، فتكون تقليداً محضاً .



ضياف الخليج ، من جهتها الشرقية . وفي الجهة الغربية تتوسد أزرعة الرمال الذهبية .

أما نشأة هذا الشاعر ومتى ولد ؟ فقد وجدتُ تاريخاً لميلاده مدوناً في كتاب ( معالم الأدب العربي في العصر الحديث ، تأليف / عمر فروخ ) صفحة ٣٣١ - المجلد الثاني ، يروي تاريخ ميلاد الخطي على نحو التقريب ، لا الواقعي ؛ حيث سجل أن ميلاده ( نحو سنة ٩٨٠ للهجرة ١٥٧٢ م ) ولم يسند تاريخ الميلاد إلى رواية أو وثيقة تاريخية .

وأما كيف نمت حياته الأدبية والعلمية فليس عندنا إلا بعض الروايات تردّد على السنة المجتمع القطيفي ، منذ للقدم تتلافها جيلاً بعد جيل ، إذا لم تنقص منها أو تزد عليها ! فيقال إنه من قرية التوبي ، ولد بها ولكنهم لا يعرفون يوم الميلاد ، ولا العام ، وتقول الرواية الشعبية : إنه ينتمي إلى قبيلة آل الشيخ التي لا تزال موجودة في التوبي .

ويؤيد هذا الانتساب ما رواه لي أخي العلامة / الشيخ عبد الحميد الشيخ علي الخنيزي الخطي : أنه سمع من « علي الشيخ » من أهالي التوبي : أنه من ذرية الشيخ جعفر الخطي ، وكان لديهم ديوانه مخطوطاً فأصيبوا بحريق ، فاحترق الديوان ، فصار رماداً ؛ لأن بيوتهم من سعف النخل ، كما كتب العلامة الشيخ / عبد الحميد الخنيزي الخطي قصيدة عصماء ، في الشيخ جعفر الخطي سنورد منها نموذجاً : -

يا هزاراً أقصته كف الزمان

عن مغانيه في الصبا الريان

لم يكد يلمح الصباح على الأفـ

سق فغشى عينيه ليل دخان

أوحش الرّوضُ يومَ أقصيتَ عنه  
وتعرّى مِنِ نضرةٍ وافتتانِ  
وتهزُّ الصّبا الغصونَ ولا تسـ  
حبُّ فيه عواطرَ الأردنِ  
والسّواقي قد ألجمَ الدّعْرُ فاهَا  
والقماري ذبيحةُ الألحانِ  
مصرعٌ حوّلَ الجنانِ جحيماً  
يتلظى مفجّرَ البركانِ  
أصيحّ يا جعفرُ ياهزارَ الـ  
شعرِ يابكر ربّةِ الإلهامِ  
قد نحرتَ الشّبابَ في مذبحِ  
اليأسِ وودّعتَهُ بحرقّةِ ظامِ  
أفضنّتَ عليك يا جعفرُ الخطُ  
وجادات بصفوها للئامِ  
أعاطيك ياهزارَ الرّوايي  
علقماً والغرابُ أشهى مُدامِ  
قم تلفتِ يا شاعري فالمغانِي  
آهلاتٌ لمّا نزل بالطّغامِ  
الليالي - لا تبتئسْ - مولعاتُ  
بخسوفِ البدور ليل التّمَامِ



وفي ضوءِ هذه الرواية التاريخية ، يكونُ مسقط رأسه التَّوْبِيَّ النَّبِيَّ هِيَ قرية من قرى القطيف ، ذات رياضٍ وعرائسٍ نخيلٍ وعيونٍ ثرةٍ وفيرة ، تميز فيها عرائسُ أشجار اللِّيمون والأترج والتَّين ، وأشجارُ فواكه متنوعة ، والعيون الثَّرة النَّابعة من جوف الأرض ، وهي كُثُرٌ في هذه القرية ، قبل أن يمشيَ عليها اليبابُ ويحرقَ ربيعها ..!

وعاش الخطيُّ بائسًا لم تحنْ عليه ظلال نخيل القطيف الباسقة ، وأشجارها الوريقة حتَّى وصل إلى مستوى عيشة فقرٍ مدقعٍ ، يعجز حتَّى عن شراء عمَّة له ، كما صورها في قصيدته النَّائية النَّبيِّ سنورها بعد هذه الدراسة .

ولم تكتفِ أشباحُ الفقر بما ضيَّبتْه حوله ، من سيوفٍ تنهش في جسمه ، وأشواكٍ تنتثرُ في ربه ، فتتميه حتَّى طارده في وطنه ، فتشرَّد ولجأ إلى أوال ، وسجَّل مطارده ، في شبحٍ مخيفٍ ، من قصيدة كتبها معتزلاً للشَّيخ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد المحسن ، سنة ١٠١٩هـ ، وأرسلها إلى ممدوحه بالقطيف ؛ نورد منها ما يدلُّ على رؤيتنا : -

ولولا وجوة في القطيف أخافها

لما طال بالبحرين عنك ثوائي

إن في هذا البيتَ لتصويرًا دقيقًا ؛ فأنت ترى أشباح الخوف المرعبة تتمدَّد في كلماته ! ولا نعرف العوامل والأحداث الزمَّنيَّة النَّبيِّ أخافته وشرَّته إلى أوال ، وإن كانت هناك بعض الحكايات ، لم تسند لوثائق تاريخيَّة ؛ ولعلَّها واقعيَّة ... إنَّ الخطيَّ كان متعلِّقًا بأمراء بني مقلد ! ويحكى : قد جرى على هذا الأمير أحداثٌ دبرها له خصومه فأوقعوا به ، وهذه إحدى العوامل التاريخيَّة السِّياسيَّة - إن صحَّت - النَّبيِّ دعت الخطيَّ للتشرَّد .

ولا نستطيع أن نقدر المدة الزمنية التي قضاها في أوال ، غير أن هناك بعض التواريخ - لقصائده قد تحدّد الفترات ! فقصيدته التائية التي كتبها ، مهنتاً أحد أشرف القطيف ، بعيد الفطر سنة ١٠١٧هـ ، تدل على أنه لا يزال مقيماً في القطيف لم يبدأ تشرده إلى أوال ومتى بدأ هل هو في هذا العام ، أو للعام الثامن عشر بعد الألف الهجري ، وإننا لا نستطيع أن نحدّد الزمن الذي بدأ تاريخه لتشرّد الخطّي ، وسكناه في أوال : هل هو بدأ قبيل العام التاسع عشر بعد الألف ، أو في العام نفسه - كما دلّت عليه قصيدته التي مدح فيها الشيخ : عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد المحسن ؟ وقد ترك لنا صوراً من شعره تصوّر قرى أوال كالقميعيّات ، وبوري ...

والخطّي - كما أعطينا عنه تعريفاً : أنه من طراز لم يتأثر كلّ التّأثر بأسلوب الفترة الانتكاسيّة الفكرية ، وهو يكتب ما يشاهده من حياة تتطبع في مخيلته ، وتنعكس عليها في مرآة صافية ، من البيئة التي يعيش على أرضيّتها ؛ فنلّل على ذلك بمقاطع ، من قصيدته التي يصف بها قرية " بوري " : -

عج بالمطيّ على معالم بوري  
بمحلّ لذاتي وربّع سروري  
وأطل بها عنّي الوقوف ، فما أرى  
شوقاً يحركني لها بقصير  
واستنش ربّاه ففني عرصاتها  
عند العبور بهنّ نشر عير  
واستوص نشر عيرها بي إنّه  
قمنّ بنشر عيري المقبور

لم تجعل العبراتُ خُدَيَّ معبراً  
إلاَّ عَلى مَرِّي بهَا وعُوري  
لا أمطرتُ ديمُ الرِّيعِ بساحتي  
إن لم أحلَّ بربعها الممطور  
هل لي إلى تلك المنازلِ عودةٌ  
يهدا بهَا نفسي وفرطُ زفيري  
فتكفَّ من فيضِ الدُّمْرِعِ ، فداً وذا  
محواً سواذي مقلتي وضميري  
إن يُصنِّني ذكرُ الدِّيارِ فإنَّه  
لأنثا أصبى بهَا وذكر  
وجدي الصَّغيرُ بها لأصغرِ صيتي  
وكبيرِ أشواقي بها لكيري

وقفةً أيُّها القارئُ معي ، لهذا المقطع من قصيدة الخطيِّ حين يرسلها  
شواظاً من قلبِ يذوبُ أناتٌ وتفجَّع حشراتٍ إلى وطنه الثاني : أوال ؛ حيث ترك  
عائلته وصبيته صغاراً وكباراً ، ففراقُ الأهلِ مرُّ المذاقِ فهو يرسل هذه الأنثا  
من شیراز ، من ربوع إيران من ضفافِ الخليج ، تسبحُ على موجاته للسَّائرة  
بوهجِ أحرفِ الشَّاعرِ المنطوية على لَهَبٍ من تشوُّقٍ ، إلى ضفافِ أوال ، وقبل  
أن نوْطِرَ الصُّورة ، نأخذ عليه ما أشرنا له آنفاً من بعض الاستعمالات  
التراثية ، ككلمة " عُج - والمطي " وهو الَّذي قد تفلَّت من قيود تلك الفترة .  
ويختم صورة قصيدته ويوطِّرها بصورة رائعة ، بعد أن وصف  
معالم " بوري " من طبيعة النخل والماء : -

وجدي الصَّغِيرُ بها لأصغرِ صيتي

وكبيرِ أشواقِي بها لكِبري

قسمةٌ عادلةٌ ؛ حيث قسم حبه إلى وجدٍ صغيرٍ ، وخصَّ به صبيته  
الصَّغار ، وشوق كبيرٍ لأبنائه الكبار .

ولما في البيت من صورةٍ مشرقةٍ الظلالِ رائعةٍ اللَّفظ والمعنى  
فالخطيُّ في هذه الصُّورة عكس الحبِّ الَّذي درج عليه الآباءُ ، فهم يرون الحبَّ  
الكبير للصَّغير ، حتَّى يكبر إلاَّ أنَّ الخطيَّ - في هذه الصُّورة الشعريَّة - ناقض  
هذه المقولة ، كما ترى ! ثمَّ يستمرُّ في هذه القصيدة : -

من لا يطيقُ فراقَ يومٍ واحدٍ

لكمُ فكيف يكونُ بعدَ شهرٍ

آه وقلَّ على أوَّلِ تأوُّهي

فإذا جنتُ بها ، فغيرُ كثيرٍ

ماكنت مبتاعاً أزقةَ فارسٍ

بالفيحِ مِنْ عرصاتها والدُّورِ

هيهات ! ماشيرازُ وافيةً بما

في تلك لى ، مِنْ نعمةٍ وحبورِ

بلد تعادل صيفها وشتاؤها

في الطَّيبِ للمقرور والمحروورِ

لقد كنت ، يا أبا البحر ! وفياً لأهلك وأحبائك ، وأصدقائك ، فأراك

كلَّما بعُدتَ بجسمك ، قربتَ بروحك وحبِّك ...! وهكذا شيمة الشعراء الأحرار

الَّذين ينوبون شموعاً ، لتسرح فتضيء لأوطانهم وأحبَّائهم .

وإنسي لأخاطبك من وراء جدر السنين الطوال ، لأقول لك : إنك  
لا تتحمل فراق يوم واحد ، فكيف بفراق شهور...؟!  
إنها في عدّ التاريخ الزمّني : في حسابِ دفترِ أبي البحر لعدّة من  
قرون ، وهو بعيدٌ عن الأهل والوطن ...! إنك صوّرت هذا الفراق في ألوانِ  
صوَرٍ من شعرك ، وهذا ما أشرنا إليه في رؤيتنا لشعرك ... إنك لم تترسّم  
شعراء هذه الفترة ، فتحنّ إلى الأطلالِ واقفاً عليها ذارف الدُموع ، وإن لم تتقلّت  
كلّ التقلّت ، من بعض تقاليد التراث ! فضولُ عِشْرانٍ وأزقتها لا تعادلُ عندك  
معلماً من معالم " بوري " ولم تروِ ظمأ قلبك الصّديان ولم تشبع مناظرها عينك  
المسمّرة في مناظرِ حدائق بوري ؛ فأنت لا تزال ظامئ الحسّ إلى إطلالة  
ضوء ، من شمسِ سماءِ أوّال !  
ويستمرّ الشاعِرُ في هذه القصيدة الحنينيّة : -

لا شيء أبهجُ منظراً من صحوه  
والشمسُ فيه كدارةِ البُور  
ومتى أغام أراك خيمةً مندمج  
غشّى سماوتها دخانُ بخور

ويعود الشاعِرُ إلى ذكريات عذبة ، فيصوّر مناظرَ شهدها ، في سماءِ  
أوّال ... ولم تنسه النّقلة الجديدة في شيراز هذه الذّكريات ، فيصف يوم  
الصّحو في سماءِ أوّال ، في بهجته ؛ فكان شمسهُ قطعة من البُور تتماوج  
طيوفها الشمسيّة ، على صفحة مياه الجداول ، أمام عينيه يوماً دلكنا في روى  
الشاعِر ومخيّلته ، يصوّر جوّه خيمةً من شجرٍ أخضر قد غشّى سماءه موجةً من  
دخانِ البخور .

كما نورد له نمونجا ، من طبيعة إحساسه ونوقه المرهف ، حين  
يصفُ دولاب القميعات بأوال ، فيعطيك مشهداً من طبيعة رياضها  
ونخيلها ، فكأنك تعيشُ مع الشاعر : -

ياغاديات السُّحب لا تتجاوزي  
في السقي دولاب القميعات  
سقياً يفي بحقوق باقي عشنا  
فيه ويسلفنا حقوق الآتي  
لم أنس أياماً جيت مبكراً  
ثمر المنى فيها ولا ليلائي  
روض كما شرفت مطارف سندس  
تكدو عليه نواجم الزهرات  
يستوقف الأبصار بين شقيقة  
حمرآء ياقوتية الورقات



كما رسم في قصيدته السُّبُطِيَّة ، وهو يعبرُ بحرهما ، بين " توبلي  
ومري " حين الجزر ، ومعه ابنه رسم حدثاً من الأحداث الغريبة ، وكان فيها  
رسماً لمناظر متسلسلة ، منذ بدأ الحدث : حينما قفزت السمكة السُّبُطِيَّة من  
البحر الساكن ، لشجرة ، فتسيل دماء وجنته اليمنى ، فتعيده منطوياً على  
جراحات ، فيلبس داره ، وينطوي على ألم مرّ ألهمه جو هذا الألم هذه  
القصيدة ، غير أننا نأخذُ عليه ما علق في دمه ، من تركة التراث



القديمة ، كالنخوة بقبيلة بكرٍ وتغلبَ ، وهتافُهُ بهما لأخذ النَّارِ من سمكة ضعيفةٍ لا تثبتُ إلاَّ أمامَ أبطال شهيةِ الأكل ، كما نستحسنُ منه بعض المبالغات في تهاويل الحادث .. ونقف ، ونسأل الشاعر : ماذا يقصد من أخذ النَّارِ ؟ هل أخذ النَّارَ عند الخطيِّ صيد هذه السمكة عينها التي شجَّتْ خدَّه ، وتقطيعها وشيُّها بالنار فيأكلها بنهم وقوَّة ...؟

فإنَّ هذا لسمك من اللحم الأبيض اللذيذ الذي له طعمٌ ونكهةٌ ! فليتنا نحظى بمأدبة عليها طبق من السمك العسبيطيِّ المشويِّ ، وتكون من ذرِّيَّة السمكة التي شجَّتْ خدَّ شاعرنا ؛ فنظفر بالنَّار .

وهذه القصيدة .. أبدع فيها الشاعرُ في أسلوبها وصورها ؛ فهي تواكبُ العصر حتَّى يومنا هذا ! ونوردُ من هذه القصيدة مقاطع : -

برغمِ العوالي والمهندِ البرِ  
دماءً أراقتها سبيطيةُ البحرِ  
ألا قد جنى بحرُ البلادِ وتوبلي  
عليَّ بما ضاقت بهِ ساحةُ البرِ  
فويلُ بني شنِّ بن أفصى وما الذي  
رمتُهُ بهِ أيدي الحوادثِ مِن وترِ  
دمٌ لم يرق مِن عهدِ نوحٍ ولا جرى  
على حدِّ نابٍ للعدوِّ ولا ظفرِ  
تحامتهُ أطرافُ القنا وتعرَّضت  
له الحوتُ ، يابؤسَ الحوادثِ والدَّهرِ !  
لعمري أبي الأيَّام ، إن باءَ صرفُها  
بثَّارِ امرئٍ مِن كلِّ صالحٍ مُثري

فَلَا غُرُو ؛ فَلَا يُبَايِعُ بَيْنَ صُرُوفِهَا  
 وَبَيْنَ ذَوِي الْأَخْطَارِ حَرْبٌ إِلَى الْحَشْرِ !  
 أَلَا أَبْلَغُ الْحَيِّينَ : بَكَرًا وَتَغْلِبًا  
 فَمَا الْغَوْتُ إِلَّا عِنْدَ تَغْلِبٍ أَوْ بَكَرٍ  
 أَيْرِضِيكُمَا أَنْ أَمْرًا مِنْ بَيْنِكُمَا  
 وَأَيَّ أَمْرٍ لِلْخَيْرِ يَدْعِي وَلِلْشَرِّ  
 يَرَأَقُ عَلَى غَيْرِ الظُّبَا دَمٌ وَجْهَهُ  
 وَيَجْرِي عَلَى غَيْرِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمَرِ



وقفَةٌ معي أَيُّهَا الْقَارِئُ ؛ لِنَعِيشَ مَعَ الْخَطِيئِ فِي نَكْبَتِهِ الْكَبْرَى ، كَمَا  
 يَرَاهَا وَيَصَوِّرُهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي انْبَعَثَتْ مِنْ مَعَانَاةِ أَلَمٍ ، فَكَانَ لِلْسُّبْطِيَّةِ  
 فَضْلٌ ؛ إِذْ أَثَارَتْ أَلَمَ الشَّاعِرِ وَجَرَحَتْ كِبْرِيَاءَهُ لَيْسَكْبَهُمَا حَرْفًا فِي وَتَرٍ  
 بَاكِ ، وَنَخْوَةً تَقْضِي حَمَاسًا ، وَيَهْدُدُ لِأَخْذِ الثَّأْرِ ، وَيَسْتَجِدُّ بَوَائِلَ وَبَكَرٍ .  
 إِنَّهُ حَدَثٌ أَرِيقَتْ فِيهِ دُمَاءٌ ، لَكِنْ لَا بَحْدٌ سِيفٍ ، وَلَا بِطَرْفٍ عَسَّالٍ  
 فَصَوَّرَ الْخَطِيئُ هَذَا الْحَدَثَ مِنْذُ فَاتَحَتْهُ بِصُورٍ لَوْ أَنَّ فِيهَا الشَّاعِرُ الْحَدَثَ وَأَطَّرَهُ  
 بِرُوعَةٍ ، وَإِنْ أَخَذْنَا عَلَيْهِ - كَمَا قُلْنَا - بَعْضَ التَّهَافُوتِ ، غَيْرَ أَنَّهَا مَهْمَا أَخَذْتَ  
 مِنْ طَائِفِ تَرَاثِي تَقْلِيدِيٍّ فِي أُسْلُوبِهَا ، تَخْتَلِفُ كُلُّ الْإِخْتِلَافِ ، وَتَتَبَايَنُ عَنْ شِعْرَاءِ  
 فَنَظَرِهِ وَهُوَ يَعُدُّ مِنْ بَيْنِهِمْ عِبَقِيَّةً نَادِرَةً وَأُسْلُوبًا مَتَطَوِّرًا .  
 وَيَمْضِي الْخَطِيئُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ لِيَتَابَعَ الْحَدَثَ التَّصْوِيرِيَّ فِي  
 حُرُوفِهِ ، كَشَرِيطِ سِينِمَائِيٍّ فَهِيَ وَلِيدَةٌ إِحْسَاسٍ وَمَعَانَاةٍ .. لِذَلِكَ تَفَجَّرَتْ ، بِرُكْنِ  
 لَهْيَبٍ حَمَاسِيٍّ : -

أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ ، مَا مِنْ مُحَلَّةٍ  
مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا قَدْ تَحَلَّلَهَا ذَكَرِي  
فَإِنْ أَمَسَ فِي قُطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ، إِنَّ لِي  
بَرِيدَ اشْتِهَارٍ فِي مَنَاطِقِهَا يَسْرِي  
تَوَلَّعَ بِي صَرْفُ الْقَضَاءِ وَلَمْ تَكُنْ  
لَتَجْرِي صُرُوفُ الدَّهْرِ إِلَّا عَلَى الْحَرِّ  
تَوَجَّهْتُ مِنْ مَرِّي ضَحَى ، فَكَأَنَّمَا  
تَلَجَلَجَلْتُ خُورَ الْقَرِيَتَيْنِ مَشْمُورًا  
وَشَبَلِي مَعِي ، وَالْمَاءُ فِي أَوَّلِ الْجَزْرِ  
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فُجِنْتُ بِطَافِرٍ  
مِنْ الْحَوْتِ فِي وَجْهِ ، وَلَا ضَرْبَةَ الْقَهْرِ  
لَقَدْ شَقَّ يَمْنَى وَجَنَّتِي بِنَطْحَةٍ  
وَقَعْتُ بِهَا دَامِي الْحَيَا عَلَى قُطْرِي  
فَخَيَّلَ لِي أَنْ السَّمَاوَاتِ أَطْبَقَتْ  
عَلَيَّ وَأَبْصَرْتُ الْكَوَاكِبَ فِي الظُّهْرِ



وَقَفَّةٌ لَنَسْمَعِ الْخَطِيءَ ، وَهُوَ يَنْتَبِأُ لِنَفْسِهِ مِنْ كَمَائِمِ الْحَاضِرِ ، فَيَسْتَشْفُ  
أَضْوَاءَ تَنْعَكُسُ عَلَى مِرَاةٍ مُسْتَقْبِلِ عَطْرِ بَذَكَرِهِ ، سَيَّارًا كَمَا يَسِيرُ الْبَرِيدُ فِي  
عَصْرِنَا مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى . إِنَّ هَذِهِ التَّنَبُّؤَاتِ قَدْ تَحَقَّقَتْ ، وَأَصْبَحَتْ أَيْهَا  
الْخَطِيءُ حَقِيقَةً وَاقِعِيَّةً يَلْمُسُهَا الْمَفْكُرُونَ وَالْأُدْبَاءُ ، مَجْسُودَةً فِي حُرُوفِكَ

الخالدة ، وراح الخطيُّ يرسمُ بريشة الفنِّ منظر الحدث ، في صورةٍ  
متحركة ، كشريط سينمائيٍّ تشاهدُ مرئياته :

فلستُ بمولى الشعرِ إن لم أزعجْهُ  
بكلِّ شرودِ الذكرِ أعدى مِنَ العرِّ  
أضرَّ عَلَى الأجفانِ مِنْ حادثِ العمى  
وأبلى عَلَى الآذانِ مِنْ عارضِ الوقرِ  
يخافُ عَلَى مَنْ يركبُ البحرَ شرُّها  
وليس بمأمونٍ عَلَى سالكِ البرِّ  
تجوسُ خلالِ البحرِ تطفحُ تارةً  
وترسو رسو الغيصِ فِي طلبِ الدرِّ  
تناول مِنْهُ مَا تَعَالَى بِسبحه  
وتدركُ دون القعرِ مبتدرِ القعرِ  
لعمري أباي الخطيُّ ، إن بَات ثأرهُ  
لذي غيرِ كفاءٍ ، وهو نادرةُ العصرِ  
فثأرُ عليٍّ بَات عند ابنِ ملجمٍ  
وأعقبهُ ثأرُ الحسينِ لدى شمرِ



ويؤطرُ الخطيُّ قصيدتهُ ، بأسلوبٍ تاريخيٍّ يوازنُ فِيهِ معاناتهُ وضياح  
ثأره ، عند هذه السُّبُطِيَّةِ ، وليس هو الوحيدُ الَّذِي ضاع ثأره ؛ فإنَّ العباقرةَ  
الأحرارَ دائماً يقسو عليهم الدهرُ ، وتضيعُ أوتارهم ..! ولم يقف على هذه

الشَّريحة بل يوغل إلى أبعد الحدود ، فيضربُ مثلاً بأرفعِ قَمَّةٍ ، فقد ضاع  
ثأرُ الإمامِ عليٍّ - عليه السَّلام - عند ابنِ ملجم ، وضاع ثأرُ الإمامِ  
الحسينِ - عليه السَّلام - عند شمرٍ !

وهذه مبالغةٌ ترقى إلى حدٍّ يُنقِذُ عليها ... فما ثأرُهُ عند سمكةٍ  
ضعيفةٍ لا حول لها ولا قوَّة ، بالقياسِ لما قاسَهُ في موازنتهِ التي لا تتطبقُ على  
الواقعِ الملموس ؟ فبينهُ وبين الإمامين عليٍّ والحسينِ - عليهما السَّلام - ما  
بين القمَّةِ والسَّقح ، أو ما بين السَّمَاءِ والأرضِ ، إن جاز هذا التَّعبيرُ !

ونشكرُ السُّبَّيْطِيَّةَ كُلَّ الشُّكْرِ ؛ إذ لُوحت له هذه القصيدة مِنْ معاناةٍ  
مرَّةً ، فهي تستمدُّ مِنْ حدثٍ تجربةٍ ، وإن بالغ الخطيُّ بفخرٍ ما بعده فخرٍ مِنْ  
أُسْلُوبٍ ورثَهُ مِنَ التُّراثِ في حمِّهِ ، وسار فيه على منهجيَّةِ الشُّعراءِ  
القدامى ؛ غير أنَّه يختلفُ عن شعراءِ فترتهِ ، إذ يكتبُ جُلَّ حروفِهِ مِنْ واقعِهِ  
الَّذي يعيشه ، وبيئتهِ التي درج على صعيديها !

وتنفِّسُ الخطيُّ في هذا الجوّ الكئيب المدمي له ، بسلاحِ  
الشُّعْرِ ؛ فالشُّعْرُ سلاحٌ لا يقفُ أمامهُ الأبطال ، ولو كانوا دارعين ! وهذا مِنْ  
رؤيتنا ، ما كان للشُّعْرِ مِنْ دورٍ تأثيرٍ في الحياة !

ونريدُ هنا أن نفسِّرَ ما أرادَهُ للخطيُّ بضربهِ مثلاً : أن ثأرُهُ عند  
السُّبَّيْطِيَّةِ كالثَّأرِ عند قاتلِ الإمامِ عليٍّ - عليه أفضلُ الصَّلَاةِ والسَّلام - وثأرُ قاتلِ  
الإمامِ الحسينِ - سلام الله عليه - ولا موازنةَ بينهما وبينه ! والخطيُّ  
لعلَّه - عندما ضربَ هذا المثل - لعقيدتهِ الصُّلْبةِ ، أرادَ التَّبَرُّكَ بذكرِ أهلِ البيتِ  
فإنَّ ذكرهم كُلُّهُ خيرٌ ، والخطيُّ قد نعى على الَّذِينَ يَبْكون ، أو يَتَبَاكون على  
الأطلالِ ، وهي أَدْرَاسٌ باليةٌ أو أحجارٌ صمَّاءٌ ..! فاسمعه :

ماذا يفيدُكَ مِنْ سَؤالِ الأربُعِ

وهي التي - إن خوطبت - لَمْ تسمع

سفه وقوفك في رسوم رثية  
 عجماء لا تدري الكلام ولا تعي  
 فذر الوقوف على محاني منزل  
 عاف لمختلف الرياح الأربع  
 وامسك عنان الدمع عن جريانه  
 في دمنة لا تحمدك ومربع  
 الله جارك ، هل رأيت منازل  
 عطلت فحلتها عقود الأدمع  
 واستبق قلباً لا تعيش بغيره  
 وشعاع نفس إن يغيب ، لم يطلع



فانظر الخطي في هذه القصيدة يجاهرُ برأيه النقدي ويوجهه للذين  
 يتباكون على الأطلال ودرجوا على سيرة التراث التقليدي ... فالتراث يسري في  
 دم البشر ، ولا يكاد يخلص منه ، حتى أحفاد الأحفاد ! ولكن الخطي يرسلها  
 ثورة عارمة تجتاح عقول التراثيين المنغلقة ، والجامدة كالصخور .  
 ونريدُ هنا أن نشير إلى حياة ترتبط بحياة تاريخ الخطي ؛ فنحن لا  
 نعرف العوامل التاريخية ، على الحقيقة التي دعتهُ إلى ترك « أوال »  
 والسفر إلى شیراز ، برُبوع إيران - عام ١٠١٦هـ - هل من العوامل  
 الدعوة التي جاءتهُ من السيد خلف ابن السيد عبد المطلب : ملك  
 الدورق ، حينما وقع بينه وبين أخيه نزاع ، فسلم أخوه عينهُ ! فكتب

للخطيِّ ، يبيِّثُ له شكواه ، مما عمله أخوه فيه ، ويعتَب عليه ويطلب منه السَّفر إليه ، فلبَّى هذه الدَّعوة والتَّقَى به في مدينة شيراز ...؟  
وهذه الدَّعوة من ملك السَّورق للخطيِّ ، لتسليَةِ الملك وبثِّهِ همومهُ ، وتضميد جروحهِ تدلُّ على عظمة شخصيَّة الخطيِّ ، ولمعانها في أفق الحياة ، وما ينطوي عليه من سياسة بعيدة المرمى ، يُفزعُ إليها في الملمَّات ، فاهتبل الخطيُّ هذه الفرصة ، فالقَى بين يديهِ القصيدة التي أولَّها : -

أبا هاشم ! أنهى إليك تحيةً

تحيةً رياءها برائحة العطر

ونستشف من بعض تواريخ القصائد : أنه عاد إلى مدينة « أوال » ولعلَّ للخطيِّ زورات متكررة إلى « شيراز » وهذا الظنُّ التاريخيُّ نأخذه من بعض تواريخ القصائد ؛ فقصيدته للتائية التي كتبها مهناً أحد أشرف القطيف ، بعيد الفطر ، وسنوردها آخر دراستنا هذه ، تاريخها : ١٠١٧هـ .  
وقصيدته الرائية التي يصف بها حدث السُّبيطية ، عندما عبر خليجاً يفصل بين « مرِّي » و « توبلي » بمدينة « أوال » يؤرخ الحدث عام : ١٠١٩هـ .  
والحدث وقع له في « أوال » فهذا دليلٌ تاريخيُّ ، على أنه لم يستقرَّ في ربوع « إيران » كلَّ الاستقرار ، بل هو كالظلٍّ في نقلاتٍ بينهما .

ويؤسفنا أن أكثر قصائد الديوان لم تحمل طابعاً تاريخياً والطابع التاريخيُّ مرآةٌ تستكشف منه الأحداث الزمنية ، وتطوُّر أسلوب الشعر في حياة الشاعر ، فتعطي عنه أسلوب التطوُّر والرقى ... فلهذه العوامل ، لا نستطيع أن نتابع سير الخطيِّ في تجواله ؛ غير أننا نستشف : أن سفرته الأولى إلى « إيران » التي رحل في إثر دعوة السيّد خلف في هذه الرحلة ، اجتمع

بالعلامة الكبير : الشيخ البهائي ، ودارت بينهما مساجلة أدبية ، وأقدر  
العلامة البهائي الخطي وطلب منه أن يعارض قصيدته التي مطلعها : -

سرى البرق من نجدٍ فهيج تذكاري

عهدٌ بحزوى والعذيب وذئ قار

مدح بها صاحب الزمان - عجل الله فرجه ، وسهّل  
مخرجه - فأعطى العلامة البهائي الشيخ جعفرًا الخطي : مهلة شهرٍ لمجاردة  
قصيدته سالفة الذكر فأجابه الخطي طالبًا أسبوعًا ، ثم استثنى الخطي ، وانتحى  
ناحية من المجلس فكتب خريدته العصماء ..! هكذا ، تقول الرواية  
التاريخية ؛ كما أكبرها العلامة البهائي ، وأثنى عليها ، وقرّظها ... ونوردُ منها  
مقطعين : -

هي الدارُ تستسقيك مدمعها الجاري

فسقيًا ، فأجدى الدمعُ ما كان للدار

فلا تستضع دمعًا ثريقُ مصونه

لعزته ما بين نؤي وأحجار

فأنت امرؤٌ قد كنتَ بالأمس جارها

وللجار حقٌ - قد علمت - على الجار

عشوت إلى اللذات فيها على سنا

شموس وجوه ما يغبن وأقمار

فأصبحتَ قد أنفقتَ أطيبَ ما مضى

من العمرِ فيها بين عونٍ وأبكار



نواصعَ بيضٍ لو أفضن على الدُّجى  
سناهُنَّ لاستغنى عن الأنجُم السَّاري  
حرائرَ ينظرونَ الأصولَ بأوجهٍ  
تغصُّ بأمواءِ النَّضارةِ أحرار  
معاطيرَ لم تغمس يدٌ في لطيمةٍ  
لهنَّ ولا استعقن جونةَ عطَّار



فعندما أكمل الخطيُّ قصيدته التي عارض بها قصيدة العلامة  
البهائيِّ ، وأنشدها في ذلك المجلس الذي كتبها فيه ، فكانت بنت ساعيتها كان لها  
الوقع والدور الكبير في نفس العلامة ، وأخذت عليه آفاقه الفكرية فأطراها  
وقرَّطها ..! وهذا التقرُّب له قيمته ؛ لأنه صادرٌ من ناقدٍ كبيرٍ حاذق ، يعرف  
النضار ويميزه من الفحم .

والخطيُّ ، إذ يبدع في هذه القصيدة ، ويثور فيها على من يسكب  
دموعه على الأحجار ، ويتباكى على الأطلال ! فهو في أسلوبه - كما  
قلنا - تميَّز من شعراء تلك الفترة ، وأعطانا صورة لها طابعٌ يميزه ...!

وينهي هذا المقطع بأبيات فيها صورة رائعة ؛ فالفتيات النواصع  
البيض ، لو نفضن على الدُّجى قبسةً من سناهُنَّ ، ليستعويض السَّاري في  
دلوجه بنورهنَّ عن ضوء النجوم والأقمار ! واستغنى بعطرهنَّ الطبيعي الخلق  
عن أعمار الزهور ، وهنَّ لم يتعطرْنَ من جونة عطَّارٍ ولم يغمسن أيديهن في  
لطيمة طيبٍ - أي قارورة طيبٍ - فهو مقتبسٌ من معنى بيت العربي القديم : -

ونختم هذه القصيدة بهذه الأبيات التي نظر الخطي مستقبله من مرآة الحاضر ، فانعكس على ضوئها مستقبله المشرق ... سوف تكون له شهرة تملأ الحياة ، فصور هذه الرؤية في هذه الأبيات : -

جهلتُ على معروفٍ فضلي ، فلم يكن  
سواءً من الأقسام يعرف مقادري  
على أنه لم يبق فيما أظنه  
من الأرض قطر لم تُطبَّقه أخباري  
ولا غرواً لإكسیر أكبر شهرة  
وما زال من جهل به تحت أستار  
متى بل بي كفا فليس بأسف  
على درهم : أن لم يله ودينار

وهذه القصيدة تنبأ فيها الخطي جو جديد يمتد بعد حياته لمادية ، عندما يلف من هذه الحياة الفانية ، إلى حياة باقية خالدة ...! لقد صدقت رؤيتك ؛ فأنت حي في ذاكرة التاريخ ؛ فإن أسفارك وبعذك عن عائلتك ، وعن موطنك الأول « القطيف » وموطنك الثاني « أوال » إنها نقلة تغرب أعطت نموًا وخصبًا ، وأنبئت أزهاراً تتضوُّع ذكرى عطرة ، لشاعرنا الشَّيخ جعفر الخطي ؛ لأنَّ العبقرية تنصهر في بوتقة الألم ...!

وما هذه الدراسة إلا نفحة من تلك القارورة المهرقة على حواشي التاريخ . ولولا هذه النقلة التغريبية لطوي سجل ذكره ، وضاعت حياته وشعره

واسمه في تلافيف الزَّمن السَّحيق ! فهجرته إلى ربوع « إيران » أحد العوامل  
التَّاريخيَّة التي أتاحَت له فرصةً ذهبيَّة ... يلتقي على بساط العلم والفكر  
والأدب بالعلامة الكبير الشَّيخ البهائيّ ، وقد كانت لهذه الغربة حنينٌ أوتارٍ  
تتشظى من فؤاده قطعاً باكيةً وأَناتٍ شوقٍ فيها ولة .

اسمعه في قصيدته الضَّائِدة التي وجَّهها من ربوع  
« إيران » إلى عائلته بأوال ، نورد منها مقطع حنينٍ فأصغ معي ، لينشدنا  
الخطيُّ : -

خُذْ فِي الْبُكَاءِ الْخَلِيطَ مَقْوُضُ  
فَمَصْرَحُ بَفَرَاقِهِمْ وَمَعْرُضُ  
وَأَذِيبْ فؤَادَكَ فَالْتَّصِرْ عَلَى النَّوَى  
عَيْنٌ تَفِضُ وَمَهْجَةٌ تَنْفَضُّ  
هَاتِيكَ أَحْدَاثٌ تُشَدُّ وَهَذِهِ  
أَطْنَابُ أَخْبِيَةِ تُحَلُّ وَتَقْضُ  
وَوَرَاءَ عَيْسِهِمُ الْمَنَاخَةُ عَصَبَةٌ -  
أَكْبَادُهُمْ وَهُمْ وَقُوفٌ تَرْكُضُ  
وَقِفُوا وَأَحْشَاءُ الضَّمَائِرِ بِالْأَمَى  
تَحْشَى وَأَوْعِيَةُ الْمَدَامِيعِ تَنْفَضُ  
يَتَخَافَتُونَ ضَنْىً فَمَطْلِقُ أُلَى  
وَمُطَامِنٌ مِنْ زَفَرَةٍ وَمَخْفَضُ  
قَبْضُوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَكْبَادِهِمْ  
وَالشُّوقُ يَسْرَعُ مِنْ يَسَرٍّ مَا تَقْبِضُ

فإذا هم أمنوا المُرَاقِبَ عَرَضُوا  
 بشكائهم وإن استرابُوا أَعْرَضُوا  
 رحلوا واراأء البكاة وراءهم  
 شتَّى فسافحُ عبرةٍ ومغيضُ  
 أتبعُتهم نفساً ودمعاً ، نارُ ذا  
 تشوي الرياض ، وماءُ ذاك تُروضُ  
 من ناشدُ لي بالعقيقِ حُشاشةً  
 طاحت وراءَ الركبِ ساعة قوَضُوا  
 لم تلو راجعةً ولم تلحق بهم  
 حتَّى وهت ممّا تطيحُ وتهضُ



عندما قرأتُ هذه القصيدة الضَّادِيَّةَ للخطَّيِّ ، هاجت بي  
 الذِّكْرَى ، وطويت الأيَّامَ القهقريَّ ، إلى ما وراء السَّنين إلى أيَّامِ اليُفاعة ، عندما  
 كان والدي الإمام الخنيزيُّ يُلقي عليَّ دروساً في العشيِّ ، وكان يقرأ هذه  
 الأبيات ، ويترنَّم إعجاباً بها ... فرحمك الله يا أبتي رحمة الأبرار ! فقد كنت  
 المعلمَ والأستاذَ الأوَّلَ لي ، واليوم أعودُ وذاك الصَّدَى يغمرُ كياني ؛ لأدرس هذه  
 القطعة السِّيمفونيَّةَ ، وأحلِّها ، والفضلُ في ذلك لمعلِّمي الَّذي فتح لي آفاقاً من  
 الأدبِ والعلمِ ، فالقصيدةُ تفيضُ حناناً وشوقاً مبرِّحاً ، وعاطفةً تمدها أشباحُ  
 الفراقِ وتتمدَّدُ فيها أطرافُ الغربةِ ، وليسمح لنا الخطَّيُّ بنقِذاتٍ ! فالخطَّيُّ  
 لازال مشدوداً بالتُّراثِ ، لم يتقلَّتْ منه كلُّ التَّقَلُّتِ ، وإن تمرَّدَ على عصره  
 وجاء بتجاربه من ألوانِ بيئتهِ ، بيد أنَّه قد يجري بعضُ النِّمِّ التُّرانيِّ

في عروقه ! فاستعمل كلمات هي أدوات لعصور انطوت بطي  
استعمالها ، ككلمة « العيس » و « الأخبية » و « وادي العقيق » .

وشاعرنا قضى رحلته من ضفاف « أوال » إلى ربوع « إيران » على  
متن قلاع تمخر في بحر الخليج العربي ، ولم يستخدم في رحلته « العيس »  
ولا « الأخبية » وأين هو من « وادي العقيق » ؟ إنما أهله في مدينة « أوال »  
يعيشون ، وبرغم هذا وذاك ، فقد أبدع الشاعر ... برغم صعوبة هذه  
القافية ، فلم يقع منها روي غير نابت في موقعه !  
وتأمل معي هذه الصورة للمتحركة في دورانها ، كخفقات قلوب  
المودعين أحبابهم ساعة الفراق :

قبضوا بأيديهم على أكبادهم

والشوق ينزع من يد ما تقبض

... تأمل أيها القارئ ! في صورة هذا البيت ، كيف صور الخطي  
الشوق العارم الذي هو تيار كهربائي ينزع الأكباد ، ولا يقف أمامه  
حاجب - مهما كان من قوة اليد .

ويصور الخطي أن حشاشته قد ضاعت يوم الرحيل ، في غمرة  
الذهول ، كما يضيع قعب اللبن ، فتلك للحشاشة سقطت من الركب ، حينما  
قوؤوا ، فهو يذكرني بالشاعر الكبير : الشريف الرضي :

يضاع فينشد قعب الغبو

ق وقلبي يضاع فلا ينشد

فالخطي يقبس هذه الصورة ، فيقول :

من ناشد لي بالعقيق حشاشة

طاحت وراء الركب ساعة قووضوا

والخطيُّ قد أفل في غربته ، بعيدًا عن وطنه ، حيث غربَّ وانطفأ في  
غربته كما ينطفئ الكوكب الذي تعقبه شعلة بيضاء عند موته ، عام ثمانية  
وعشرين بعد الألف الهجرية ... حيث وافته المنية ، بمدينة شيراز  
بإيران ، ودفن عند مرقد السيّد الجليل : السيّد أحمد ابن الإمام موسى  
الكاظم - عليه السّلام - على مهاجرها أفضل الصّلاة والسّلام .

ولولا هذا التّجوال ، وهذه الغربة ، لضاع الخطيُّ ، كما ضاع غيره  
من مفكّري القطيف ، وواأسفاه ! إنّ بلادي لا تحتفل بمفكّريها ، كأنّهم لم  
يكونوا من كيان مجدها ، بل تقبرُ شموستها وتخسفُ أقمارها ، وتدفنهم في  
جدران السّنين البعيدة السّحيقة ، وتعيشُ على مائدة مفكّري غير بلادها ، وهذه  
ظاهرة متأصلة في نفوس القطيفيين ...!

وقد شخصتُ هذا الدّاء وجسّدته ، وناديتُ مفكّرين بعلاجه والقضاء  
عليه ، في عدّة أساليب من كتابتي ... لعلّي أصبّت الهدف ولعلّه هو العلاج لهذا  
الدّاء بايقاظي المتناومين ، وإن ظهرت في سماء بلادي لمحة صحوٍ من بعض  
مفكّريها غنوا بترائهم ، وكتبوا عنه إلّا أنّهم قليلون ، أمل من الله أن يُكثر من  
هؤلاء الرّجال المخلصين الذين يسرجون شموعهم ، لتضيء للأجيال القادمة في  
هذه الحياة ، وهذه غيرة وطنية انبثقت من صميم قلبي ..! فأعود للشيخ  
جعفر الخطيُّ فأسجل حقيقة مرّة : لو لم يمت بعيدًا عن وطنه لضاع تاريخُ  
موته ، كما ظنّنت بتاريخ ميلاده الظنون ، وضبّبت حول حياته ونشأته الغيوم .

وبرغم ظلم التّاريخ له ، يُعدُّ سعيدًا ؛ إذ لا يزال يعيش حيًّا في  
محراب القلوب ، والألسن ، وبطون التّاريخ ، وكتب عنه بعض  
الدّراسات ، ونظم فيه قصائد من الشعر ، وقد أشرتُ للخطيُّ إشارة ضوئية

خاطفةً في كتابي : « خيوط من الشمس » في : « الحياة الأدبية » والخطي لم أعثر إلا على ديوانه الذي جمعه رابيته : الغنوي ، ولم أعثر له على كتب علمية ولعلّه ترك ثروة فكرية علمية ، ولكن الزمن يُضيع الأحرار ويمحوهم من ذاكرة التاريخ !

فرحمك الله يا أبا البحر ، فأنت مفخرة من مفاخر القطيف ، وحرف أخضر يتدفق معينا في جداول الأفكار ، راجيا من أبناء القطيف أن يعدّوا الدراسات والبحوث ، عن الشاعر العبقرى للذي - في رأيي - هو كيان من الفكر الأدبي القطيفي .

وسنبت له هنا قصيدته للتائية من ديوانه المطبوع الذي قام بطبعه أديب غريب عن وطنه ، لا يربطه به إلا الفكر ؛ فإن بلادي - كما وصفتها - تقبر مفكرها ، وتضيع تاريخها إلا ما استنتي من ثلّة خيرة ، أرجو الله أن يمدّها بالنشاط والتوفيق ، لتكمل مسيرتها في تاريخ الوطن !

وقبل أن أختتم هذه اللّحة ، عن شاعرنا الشيخ : جعفر الخطي ، أحب أن أشير إلى خطاي تاريخي ، وقع فيه مخرج ديوان الشيخ : جعفر الخطي الأستاذ الخطيب : السيّد عليّ ابن السيّد حسين الهاشمي - رحمه الله جزاه الله خيرا - حيث قال بالحرف : ولد شاعرنا بالخط ، ونيل في هامش الصّفحة نفسها ، رقم (٤) الخطي - بفتح الخاء المعجمة - وتكرر نسبة إلى الخط : قرية من قرى البحرين ! ويوسفني هذا التعريف من أديب وخطيب ، يجهل تاريخ قطر عربي عريق ، له دور في الحضارات والسياسة والاجتماع ، منذ العصور القديمة .

فالخط ليست هي قرية من قرى البحرين ، إنّما هي قطر مستقل ، لم يسجل التاريخ في صفحاته يوما ما أنّها تابع لجزيرة « أوال » ونوضح المفهوم العام لكلمة الخط :

هي اسم يطلق على القطيف والأحساء والبحرين ، كما تطلق البحرين على ما تحتويه كلمة الخط ، وتشاركهما هجر في مفهوم معناهما وإذا أطلقت كلمة « قطيف » اختصت بالقطيف التي حدّدها التاريخ قديماً ... وفي شعر ابن مقرب :

والخط من صفوة حاذوها فما

أبقوا بها شبراً إلى الظهران

و « أوال » تختص بالجزيرة المعروفة بالبحرين اليوم ، وإذا أطلقت كلمة « الأحساء » اختصت بالقطر المعروف اليوم بالأحساء ، فمن أراد أن يعرف حقيقة ما قلناه ، فليرجع إلى معجم اللغة والبلدان وكتب التاريخ القديم ، كمعجم البلدان وغيره .

والشاعر الشيخ : جعفر الخطي ولد على صعيد أرض القطيف ، ويؤيد ما نقوله الشاعر نفسه ، حيث أشار إلى ولادته وسجل طفولته البلهاء ، ونشأته على هذه الأرض الخيرة ، في قصيدته التائية : -

هلاً سألت الربع عن سيئات

عن تلكم الفتيان والفتيات

فنطلب من الباحث المؤرخ لحياة المفكرين : أن يدرس ديوان الخطي ، ليقف على الحقيقة التي ذهبنا إليها وأيدناها بالأدلة التاريخية .



وتعليقنا على ناشر الديوان ، القصد منه : الحقيقة ؛ لتصحيح هذا  
الخطأ التاريخي للأجيال والتاريخ ، والله الموفق ...

هَلَا سَأَلْتَ الرَّبْعَ عَنْ سِيَهَاتِ  
عَنْ تَلَكُمِ الْفَتِيَانِ وَالْفَتِيَاتِ  
وَمَجْرُ أَرْسَانِ الْجِيَادِ كَأُتْهَا  
فَوْقَ الصَّعِيدِ مَسَارِبُ الْحَيَّاتِ  
وَمَجْدَفَاتِ السُّفُنِ أَدْنَى بَرِّهَا  
مِنْ بَحْرِهَا وَمَبَارِكِ الْهَجَمَاتِ  
حَيْثُ الْمَسَامِعُ لَا تَكَاذُ تَفِيْقُ مِنْ  
تَرْجِيْعِ نَوْتِيَّ وَزَجَرِ حَدَاةِ  
إِنَّ الْقَطِيفَ ، وَإِنْ كَلَفْتُ بَحْجَهَا  
وَعَلْتُ عَلَى اسْتِطَانِهَا زَفَرَاتِي  
إِذْ أَيْنَ جُزْتُ رَأَيْتُ فِيهَا مَدْرَجِي  
طِفْلاً وَأَتْرَابِي بِيَهَا وَلِدَاتِي  
لَأَجْلُ مُلْتَمَسِي وَغَايَةُ مَنِيَّتِي  
أَنْتِي أَقِيمُ بِتَلَكُمُ السَّاحَاتِ  
فَسَقَى الْغَمَامُ إِذَا تَحَمَّلَ رَكْبَهُ  
تِلْكَ الرَّحَابَ الْفِيْحَ وَالْعُرْصَاتِ  
وَاجْتَاذَتِ الْمَزْنَ الْعِشَارَ فَطَبَّقَتْ  
بِالسَّقْيِ مِنْ « عَنْكَ » إِلَى « بِنِكَاتِ »  
حَتَّى تَوْشَّحَ بِالْجَمِيمِ وَتَكْتَسِي  
رَبَوَاتُهَا بِنَوَاجِمِ الزُّهَرَاتِ

أفلا إنِّي قَدْ بدا لي عندكم  
غرضٌ يهَجُّنُ ذكرهُ أبياتي  
لَا شيءَ أحقر منه إلا أنِّي  
أعددتُهُ مِن أكبر الزَّحَمَاتِ  
فوصلتُهُ بك ، وهو بعثُ عمامةٍ  
فضيَّةٍ ذهبيَّةٍ العذباتِ  
يحكي خدودَ البيضِ سائرُ لونها  
وكنائرٍ في حمرةِ الوجناتِ  
أولونٌ ييضُكُم ، إذا ما استنضيت  
ورجوئها مُحمرةً الشَّفَرَاتِ  
واصفح وعضَّ عن الإساءة ، إنَّ من  
شيمِ الكريمِ تجاوزَ الهفواتِ  
إذ من يكلفُكَ اليسيرَ كمن يسو  
م الغيثَ واحدةً من القطراتِ  
هذا وأقسمُ بالمحصبِ من منى  
ووقوفٍ وفدِ الحجِّ في عرفاتِ  
وبما أطيحَ هناكَ من شعرٍ امرئٍ  
وبما أريقُ هناكَ من دمٍ شاةٍ  
لولا اعتقادي فيك : أنكَ تشتري  
ما أشلتَ الأقوامَ من مدحاتي  
لَمْ أئنِ وجدَ رجائي نحوكَ ، لَأ .. وَلَمْ  
أفتحَ بمسألةٍ إليك لهاتي

فأنا وإن عضَّ الزَّمانُ بغاربي  
أو فُلَّتْ الأيَّامُ حدَّ شبَّاتي  
لأصونَ عن مدحِ اللُّثامِ ترفُّعًا  
شعري وأقصرُ دونهمُ خطواتي  
فاستجلها ، عذراء بنتِ سويعةٍ  
مِنْ حرٍّ ما جادتَ بِهِ كلماتي  
لو تُنشِدُ الطائيَّ ألغى عندها  
أحب إليَّ بطيفِ سعدى الآتي  
واستقبل العيْدَ المبارك موقِرًا  
رمضانَ من صومٍ ومِنْ صلواتٍ  
واغنم بما أُوتيتَ مِنْ أجرٍ على الما  
ضي وطب نفسًا بسعدِ الآتي



هذه قصيدةٌ تمثِّلُ حياةَ شاعرٍ بائسة ، ولكنه لم يسِرْ على صوَرِ  
ألوانِ الشَّعرِ التَّقْلِيدِيِّ ، في هذه الفترة المظلمة التي ولع شعراؤها بألفاظٍ جوفاء  
جُلُّ محاولاتهم الشعرية : طنينُ كلماتٍ ضخمةٍ كما يطنُّ الطُّبْلُ ، وهو خالٍ  
أجوفٌ على الأسلوبِ التَّقْلِيدِيِّ ، فيبكي الأطلالَ ويتغزَّلُ في حبيباتِ خيالياتٍ  
وهميَّاتٍ مِنْ حروفٍ من ظلالِ التَّاريخِ القديمِ التي ترتبطُ بواقعٍ تلكِ  
الشَّريحة ، وتعكسُ حياتهم كمرآةٍ ينطبعُ عليها وجهُ التَّاريخِ ولا تمثِّلُ حياةَ  
قائلِها ...! بيد أنها بعيدةٌ كلَّ البعد ، ولا ارتباطُ لها بدنياهم كالحياةِ  
التَّشبيبيةِ التَّقْلِيدِيَّةِ ، بهند ، وليلي ، على منهجيَّةِ الشَّعرِ الجاهليِّ ، أو

العصر الإسلامي ، أو العصر الأموي ؛ فشاعرنا الخطي رفض هذه الأساليب ، وانبثقت من مرآة نفسه ألوان يستمدّها ، من آفاق طبيعة بلاده .. لولا بعض المآخذ والنقدات التي آخذناه عليها ، في هذه الدراسة !  
فهذه القصيدة تتبّع من تجربة ومعاناة عاناها الشاعر من لونٍ دنيا بائسة مرّة ، وصوّر فيها الطُفولةَ البلهاء ، ومدارجها ، حينما يدرجُ كما تدرجُ أسرابُ الجياد ، ومثّل لهوهُ وطفولتَهُ وطبيعة حياة بلاده ، وبعد هذا الثّور ، عاد ليسكب معاناته وفقره ، في هذه القصيدة ، في نغمة حزينّة : -

إنّ القطيف وإن كلفت بحبّها  
وعلت على استيطانها زفرا تي  
إذ أين جُزْتُ ، رأيتُ فيها مدرجي  
طفلاً وأتراي بي بها ولداتي

هذه صورة متحرّكة ، يَصوّرُ الشاعرُ فيها ذكرياته الغافية على شفة الأيّام ، والمتكنّة على جبين الماضي ، لعلّه يوقظها فيتعلّل بها ! ولكنّها لا تعود له ، فليس لديه إلّا الحسرات وما تجدي الحسرات ! كما جسدَ فيها حبّه لوطنه الذي عاد طيفاً وخيلاً كمروّدٍ نورٍ يُكحّلُ به أجفانه من أيّام الطُفولة ، ولعبها فأشباحها تسيرُ أمام عينيه ، وتلاحقهُ أينما اجتاز في ربوع القطيف ومدنها ... وهذا لونٌ من أساليب الشعر الذي عندما تقرأه تحسبُ الخطي من الرّعيل الجديد ، ويبعده عن الشعراء الذين تباكوا على الأطلال البالية وتغزّلوا بهندٍ ولبلى ، وبالكثيب .. إلى غير ذلك من الألفاظ التي تغنى بها أولئك الشعراء - وهم شعراء النكسة الفكرية ، والفترة المظلمة - فالخطي يرسمُ معالم لهوهِ ومرحهِ ولذاته مع لذاته ، فحيثُ ما اجتاز بالقطيف من مدنها وقراها ، يرى

هذه الصورة مطبوعة في قلبه ، وأطيافها تتحرك وتسير بين عينية ، ومرسومة على أفق حياته !

ويعدُّ هذا الشعر ، في هذه الفترة ، وهذا الأسلوب تمرُّدًا على الشعر التقليديّ ، وانفلاتًا من قيوده إلى أفق جديد ، يرسم مناظر حياة يعيشها الشاعر ... وهذه مفخرة نسجلها للخطيِّ ، لولا بعض المآخذ التي أشرنا إليها !...

وفي هذه القصيدة - بالذات - عندما تقرأها ، وتسير في جوّها ، تلاحظ بعض الهنات ، كبيته الذي عبّر فيه بقوله :

وبما أطيحُ هناك من شعرٍ أمريّ

وبما أريقُ هناك من دمٍ شاةٍ

فإنّ التراكيب - في هذا البيت - غيرُ موفّقة ، والأسلوب الشعريّ ضعيفٌ ، ومعناه سخيّفٌ فالشاعر لم يوفّق في بعض الأبيات ، في هذه القصيدة .

ونأخذُ عليه ناحيةً أخرى : الأسلوب النفسيّ ؛ حيثُ تواضع الشاعر ، وصاغ قصيدةً من أجلِ عمامةٍ ، ولو ترفع عن ذكرها ، لكان أسمى به مقامًا .

وأكتفي بهذه اللَّمحة الدُّراسيّة ، عن شاعرنا الخطيِّ .



الشاعر / أحمد بن مهديّ بن أحمد بن محمّد  
بن الشّيخ نصر الله بن ابن أبي القاسم ابن  
عزّ الدين ابن (( أبو السُّعود ))





إنني أريد أن أختتم هذه الصفحات : المجلد الأول ، من (( الشعر ودوره في الحياة )) بدراسة عن زعيم وطني وشاعر من زعماء القطيف الكلاسيكيين ، فهو أحد شعرائها وشخصياتها ؛ فأحمد المهدي ألمع سياسي لمع في تاريخ القطيف السياسي ... وقد لعب دوراً خطيراً في حياة القطيف الوطنية ، ولم يقتصر على أفق القطيف السياسي ، ومحيط أرض وطنه ، بل حلّق بجناحين ، إلى أفق « الكويت » و « البحرين » !

ونستطيع أن نقول - بعبارة مختصرة : مدّ جناحيه على أفق الخليج واتّصل بحكومة الأتراك العثمانية بالبصرة والأتانة - عاصمة الأتراك - ويعضد هذا الرأي التاريخي الوثائق المتبادلة ، بينه وبين حكام الكويت ، وحكام أوائل المعروفة بالبحرين - اليوم - كما له دور سياسي مشهور ؛ حيث قام بحركة ، عندما استشرى الخلاف بين الأميرين الأخوين : عبد الله ، وسعود ابني فيصل آل سعود ، أيام الدولة السعودية الثانية .

وهو يعدّ من المخلصين للأمير عبد الله ، فانداز له ، وعندما تغلب سعود على عبد الله ، سجنه في الرياض ، فصادر أملاكه .

وقد روى لي أحد أحفاده : الأديب الشيخ منصور حسن نصر الله : أن إطلاقه من السجن بسبب تدخل أميرة من الأسرة الحاكمة ، للوثائق التي تربطهم بأبيه مهدي ، وللعتائق الوثيقة التي تمتد في جذور التاريخ ، فشفعت له لدى الأمير : سعود ، فأطلق سراحه من السجن ، وذهب عن طريق قطر إلى البصرة ، وجاء بسرّيّة عسكريّة ، على متن سفن حربيّة تركيّة ، فاحتلت

القطيف ، والأحساء ، وصيرته حاكماً برتبة « قائم مقام » فاسترد أملاكه التي صودرت منه .

ولد أحمد بن مهدي ، في القلعة - حاضرة القطيف يوم ذاك - وتربى في حجر والده أحد زعماء القطيف السياسيين : مهدي بن محمد نصر الله ، وتربى في هذا الأفق ، وفتح أصفاه في حياة خصبية الزعامة التي تُدير في عصرها مقاليد القطيف ، أو بعض عواملها السياسية ، والاجتماعية .

ولكننا لم نعر على أخبار عن تاريخ ميلاده كتاريخ موثق يُعتمد عليه ؛ غير أن بعض الروايات غير الموثقة تروي ميلاده في عام ١٢٤٨هـ — ولم تتبنا عن نشأته وتطورها ، وحياته التعليمية ، في الكتابات وفي أي عام من سنه وضع في الكتابات ، بصفته ابن زعيم ؛ غير أن الرجل فرض نفسه بما تحلى به من زعامة خصبية ، عبت كما تعبق الورود بالعطور ، وأزهرت ونمت كما ينمو الغصن الوريق في الروضة الغناء ، ومن فكر أدبي كَوْن له مجموعة شعرية تتألف من أربعة مجلدات لعلها تبلغ ثمان مائة صفحة ، من القطع المتوسط ، ويؤسفنا كل الأسف : أن ولد هذا الشعر في تلك الفترة الانتكاسية الفكرية التي لم يتقلت من ضباب سمائها ، وقيود بديع ألفاظها ، وطباقتها ، والسير على مدرج الشعر التقليدي ، كالتباكي على الأطلال والتغني بهوى هند وليلي ، وهو لم يشرب من كأس أوصاف هند ولا ليلي رشفة واحدة ، ولا يعرف تلك الأطلال في أي بيئة تقع بالتحديد !

فشعره لا يصور دنياءه ، ولا يمثل بيئته ذات النخيل ، والأشجار ، والعيون ، ولا يستمد من صور طبيعتها الخلابة ؛ فكأنما هو شعر صحراوي قطع من الصحراء الجافة التي لا ماء فيها ولا كلاً ، فشعره شعر تقليدي لا يمت بنسب أو سبب لحياته الحضارية المترفة الناعمة : دنيا القصور والجواري والعبيد .. ويعيش بين النخيل في روضات

غناء وعيونٍ ثرّة ، وضفافٍ بحرٍ توحى أمواجهُ بأسرارٍ وأسرار ، للخالق العظيم مصوّر هذا الكون .

فعندما نقرؤه في قصيدةٍ من قصائده الطّوال ، فكأنّما نقرأ شاعراً جاهليّاً يعيشُ في كبدِ الصّحراء ، تحت ضوءٍ شمسها الملتهبّة ، ورمالها الذهبية السّاخنة ، وهو على ظهرِ ناقةٍ يقطعُ بها الفيافي ، ويسيرُ في الليلِ على ضوءِ النّجوم والقمر ؛ فكأنّ قصائده قطعُ جامدة ، لا حراكَ بها ، أو صورة تقليديّةٍ مُسخت من إحدى المعلّقات التي عارضها ... فشعره يمثل الفترة الانتكاسيّة ، بكلّ معناها - إن كان لها معنى - وكأنّهُ لم يكن ذلك الحاكم الذي يملكُ عوامل السّلب والإيجاب ، والبساتين المزهرة ، والعيون المتدفّقة ، والجواري المتفنّنة !

ولكن إذ نعنّى به إنّما نعنّى بتراثٍ من تراثِ الوطن الحبيب ، ونخصّه بهذه الدّراسة المقتضبة ؛ لأنّهُ فكّر من أدبنا التّراثيِّ ، يمثّل حقبةً من حقبة التّاريخ ، ودنيا زعامة ، لها شوطٌ تألّق في سماء القطيف ، فالعواملُ الوطنيّة تفرضُ علينا العناية به ، وإعطائه بسطةً تاريخيّةً ، ليكون درساً للأجيال ، فهو أحدُ لبّين أمجاد القطيف ، ويؤسفني أن هذا الشّاعر - فيما أعلم - لم يُعنَ به باحثٌ أو كاتبٌ ، حتّى من ذوي أسرتِهِ ، حتّى كتابة هذه الحروف ! ولم تمتدّ يدُ غنيٍّ لكسر القمقم عن هذا الدّيوان ، وإخراجه إلى النّور ، أو يراعَ من كفّ ، فتكتب ولو لمحّة من حرف ، عن حياة هذا الزّعيم ، وما فيها من أجواء .. من فكرٍ أدبيٍّ ، وما تضبّب فيها من أحداثٍ سياسيّة ، بتلك الفترة ، ولا تعرّض له ناقدٌ من النّقاد ؛ حيثُ النّقد حركة فكريّة ، والنّقدُ حياة ... وعدم النّقدِ سكونٌ ، والسكونُ موت !

فالشّاعر عندما ينتهي من هذه الحياة ، ويطبّع بأصابعه على جبهة التّاريخ ، وتتدلّى أغصانهُ بثمرها - بما فيها من حلٍ ومرٍّ - فهذا يجب على

الأدباء والنقاد - ولا سيما أدباء مواطنيه - أن يقطعوا ما تركته شجرة الحياة من ثمر هذه الأغصان ، فالتاريخ أمانة في أعناق المفكرين ، وهي مسؤولية تاريخية ، يجب علينا درسها والمحافظة عليها ، وإيرازها للأجيال ، وأن يُزال عنها ضباب التاريخ ، لتظهر للعيون صافية مجلوة .

وكانت وفاته في عام : ستة بعد ثلاث المائة والألف الهجرية ... وهذه لمحة مقتضبة عن حياة هذا الزعيم !

وعندما يكشفُ لـي المستقبل عن معلومات تاريخية ، سأضيفها ، وأورد له هنا أبياتاً من قصيدة يهنئُ بها بعض أشرف اللطيف ، لم يحمل الديوان اسم الممدوح ، وعلى الطريقة القديمة التقليدية ، افتتحها الشاعر بالنسب ، ليتخلص منه إلى المديح : -

أمن بشنة هذا الطائف العجل ؟

حييت ياطيف ! من لم يحيه الوئل

كنّا نحیی الصبا ، لمّا تمرُّ بنا

من دارها ، وبها من ردعها بلل

كم ليلة جلّت الزوراء غُرَّتْهَا

لنا ! وأشرق فيها الأنسُ والجدل

وغنّت الورق في الأفانِ صادحة

والجدُّ يأخذ من أطرافه الهزل

راقت ، فلم يجزنا ، عن بشنة ، رغد

منها ، ولم يغونا عن جهلها عدل

كلّا ! ونحن وإن شطّ وإن نرَحّت

رهن الهوى وإن التاطت بنا العلل

كُنَّا نَحْيِيْ نَفُوسِ الْوَجْدِ وَصَلْتُهَا  
وَالدَّارُ نَازِحَةً وَالتَّأْيُ مُشْتَمِلُ  
حَتَّى دَنَوْنَا مِنَ الْفِيحَا ، عَلَى قَرَبِ  
مَتًا ، وَأَطْمَعْنَا فِي تَرْبِهَا الْأَمَلُ  
فِي كَهْفِ سَيِّدِ سَادَاتِ ، إِذَا رُفِعَتْ  
لَهُ الْأَمَانِيُّ حَيَّاهَا بِمَا تَسَلُّ



هذا نموذجٌ من شعرِ الزَّعِيمِ وَالشَّاعِرِ : أَحْمَدِ بْنِ مَهْدِيٍّ نَصَرَ  
الله ... والقارئُ يلمسُ من خلالِ ظلالِ ألفاظِ كلماتِ هذه القطعة التي  
اقتطعناها ، من القصيدة المشارِ إليها ، وأثبتنا في الدِّراسةِ عنه : أَنَّهُ لَمْ يَمَثُلْ  
حياتهُ ودنياهُ الخصبَةُ ، وحركتهُ وسكونهُ ، من تاريخِ أيامِهِ ولياليهِ ... إنما كانت  
حياةً تقليديَّةً تحتاجُ إلى قاموسٍ لغويٍّ ، يواكبُ هذه القصائد ...! ولا أثرَ بعد  
عين ! وأتركُ الرَّأْيَ للقراءِ .

## " لِمَسَات "

... وضعت اللّمسات الأخيرة على الجزء الأوّل يوم

السَّبْت : الحادي عشر من شوّال ، عام واحد وعشرين بعد

الأربعمائة والألف هجريّ ، الموافق السادس من يناير ، عام واحد

بعد الألفين الميلاديّ .

## جدول بأسماء المراجع

مختارات شعرية - شاعر وقصيدة ، العماد مصطفى طلاس .

\*\*\*\*\*

ديوان طرفه بن العبد - طباعة الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان الحسناء - طباعة دار كرم للطباعة والنشر - دمشق .

\*\*\*\*\*

ديوان عمر ابن أبي ربيعة - مطبعة السعادة بمصر - القاهرة .

\*\*\*\*\*

ديوان الفرزدق - طباعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان أبي نواس - طباعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان أبي فراس - طباعة دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان الشريف الرضي - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان صفى الدين الحلبي - طباعة دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان ابن معنوق الموسوي - طباعة المطبعة الأدبية - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان الشيخ جعفر الخطي - طباعة مطبعة الحيدري - طهران - إيران .

\*\*\*\*\*

جواهر الأدب - تأليف أحمد الهاشمي - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

ديوان مصطفى جمال - طباعة دار المورخ العربي - بيروت - لبنان .

\*\*\*\*\*

كتاب العدير - للعلامة الأمين .

\*\*\*\*\*

تاريخ التمدن الإسلامي - تأليف / جورج زيدان .

\*\*\*\*\*





## الفهرس

٧	الإهداء .....
١١	إيضاح .....
١٣	مدخل .....
٢١	الشعر ودوره في الحياة .....

### "العصر الجاهلي"

٢٩	
٣١	الشاعر المهلهل - عدي بن ربيعة التغلبي .....
٣٧	الشنفرى : أبو ثابت ابن أوس الأزدي .....
٤٣	عنتره العبسي .....
٥١	المنخل اليشكري .....
٦٣	طرفة بن العبد .....

### "عصر النور"

٧٧	
٨٥	خفاف بن نضلة .....
٩١	حسان بن ثابت .....
٩٧	الخنساء - تماضر بنت عمرو بن الشريف السليمية .....
١٠٥	كعب بن زهير بن أبي سلمى .....

### "العصر الأموي"

١١١

٥	.....	عمر ابن أبي ربيعة
٩	.....	جرير - ابن أبي عطية بن حذيفة بن كليب التميمي
٥	.....	الفرزدق - همام بن غالب بن صعصعة

## ٣ "العصر العباسي"

١	.....	أبو نواس - الحسن بن هانئ
٩	.....	أبو فراس - أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان
		الشريف الرضي - محمد بن أبي : أحمد الحسين ، الملقب بالرضي
٣	.....	الموسوي العلوي

## ١ "عصر انتكاسة الفكر"

٧	.....	صفي الدين الحلبي
٣	.....	الشاعر : ابن معتوق الموسوي
٩	.....	الشاعر : ابن نباتة المصري
٣	.....	الشاعر : الشيخ / جعفر الخطي
٧	.....	الشاعر : أحمد بن مهدي نصر الله
٤	.....	لمسات
٥	.....	جدول بأسماء المراجع
٧	.....	الفهرس

# الشَّعْرُ وَكَوْنُهُ فِي الْحَيَاةِ

المجلد الثاني

رُومَانِسِيَّوْت

(نقد ودراسة)

محمد سعيد الشيخ عايش الحنيزي





القرن العشرون



إنَّ أطروحتي هذه التي أدّرتها على حروفِ أجيالٍ ، لوُنّتها الحياةُ بأحداثها ، ومرّت عليها لهذا الكوكب دوراتٌ ودوراتٌ زمنيةٌ في أعماقِ التاريخ السّحيق ، وهي لا تزالُ تُعاصرُنَا وتعيشُ في حياتنا ، وتتسّمُ في جوتنا معنَا الهواء ، فالحرفُ له سرٌّ دقيقٌ .. يخفي علينا جوهره المغلّف وراء كلماته الخضراء ، ولا يعرفُ سرّها إلّا خالقُ الحرفِ : خالقنا ( الذي علّمَ بالقلم علّمَ الإنسان ما لم يعلم ) .

إنَّ نعمةَ القلم على البشرية : من أعظم النعم التي تفضّل بها فاطرُ السّماواتِ والأرضِ ، فمنحها الإنسان نعمة تفضّل مِنه - فلولا القلمُ - لصاعتِ خاطراتنا وأفكارنا ، وتاريخنا الماضي والحاضر ، وتبدّد كما تُبدّد الرّيحُ للهوجاء الأوراق في صحراءٍ رمليّةٍ مديدةٍ ، فالقلمُ كان له الدورُ ، والشُّوط المتألق في تصوير الأفكار ، ووضع الأطروحات الدراسية والنّقديّة ، وتدوين الأفكار العلميّة في جوهرها ومعناها الدّقيق .

وامتدت أفضال هذا القلم ، تتصلّ وتتسلسل أضوائها في العصور - عصرٍ بعد عصر - ومن أضوائه التي أضاعت لي متون التاريخ ، لأسير في روافده التاريخيّة منذ صفحات تاريخ العصر الجاهلي .. فالعصور المتسلسلة ، وأقف على قمّة القرن العشرين { قرن المعجزات الحديثة } الذي تطوّرت فيه الحياة ، وتغيّرت مفاهيمها ، حيث ولد فيه إبداعٌ غريبٌ .. كالكهرباء ، والهاتف ، وشبكة الإنترنت والكمبيوتر ، والتلفزة والفضاء : هي من منجزات هذا العصر ، وأمثالها التي استحدثت بفضل العقل ، الذي هو أكبرُ هبةٍ من خالقنا - وبرغم هذا التطور - لم يغننا عن الحرف .. بل زادنا هذا التطور افتقاراً ، وظمأ صارخٌ لرشقات من ضوء هذا

الحرف ، ومازلنا في جوعٍ لانتهامه على اختلاف طبقات البشرية ، وسبقها في مضمار الحياة الفكرية والعلمية والأدبية ، فالحرفُ مفاتيحُ فاتحةٍ للغة الحياة العلمية .

ومادام الحرفُ له هذا المفهومُ الخطيرُ ، والكنزُ الذي لا يُستغنى عنه ، فإنني سأديرُ حرفَ أطروحتي على جزءٍ من فكرِ القرن العشرين ، المتمثل في شريحةٍ من شعرائه ، بدون أن أحد التيارات الفكرية النابعة من الرومانسية .. أو المحدثنة .. أو الكلاسيكية العمودية .. فإن الفكر أو المدرسة الأدبية في هذا القرن ( أعني به القرن العشرين ) كان لها آفاقٌ من الشَّعر ، تلونتُ بألوانٍ من الصور ، وانصبغت بأفكارٍ مختلفة المنبع والتيارات ، فمنها قبساتٌ أشرقت من سماء مدرسة أبولو ، ونبئةٌ تلونت على صعيد مدرسة الديوان ، وكواكبٌ سطعت من آفاق المهجر ، وبرُعمًا تبرعم من سماء العراق ، وذُرٌّ وردٍ تفتَّح في سماء الكنانة ، وسلَّةٌ ريحانٍ عبقت من سماء بيروت ، وشميمٌ عرارٍ تضوُّع من سماء الجزيرة ، وألوانٌ صُور من نجومٍ لم تنتمي لأفق من الآفاق ، غير أن كلَّ هذه الشريحة قبساتُ أفكارٍ تضيء في عممة الحياة ، وولدت من سماءٍ عبقريَّة ، ومن هذه الأضواء تولدَ أسلوبٌ فنٌ جديد : وهو أسلوبُ القصة ، التي تبلورت في هذا العصر في عنصرِ الشَّعر والنثر ، وإن كان قد غرست نواتها في مطلع العصر الجاهلي والأموي ، غير أنه لم تكتمل عناصرها الفنية ، وتتمو وتتفرع كما تتفرع السُّنْدِيانة ، وتتطور كما تطوَّرت وتجددت في أيام القرن العشرين ، وتُصبحُ حياةً فكريةً لها طابعها وأسلوبها الأدبي ، الذي يفردها ويميزها بعواملها الفكرية عند النقاد والأدباء .

وهذا اللون من الأدب تشعُّقه شريحةٌ من القراء ، ويعكفون على قراءته ، ولاسيما إذا كانت القصة لها أهدافٌ بعيدة الرَّمز والإشارة ، وارتبطت أحداثها بدنيا غرامية .. أو قضايا اجتماعية .. أو عوامل سياسية ، وتسلسلت



تلك المناظر في أسلوب شيق رفيع المستوى ، يُجسّد عناصر الأهداف التي تُعالجها تلك القصة الشعرية أو النثرية ، وكان لهذا اللون دوراً لم يعنى به مفكرو القدماء ، أو لعلها لم تهتدي لتسميته بهذا الاسم ، وتعرفه بهذا اللون ؛ وإن كان الفضل لها .. فهي الغارس الأول : سواء كان هذا الغرس جاء بعفو الطبيعة بدون قصد ، أو بقصد من تلك الشعراء ، وإن تباينت الحياة ، واختلف العصر في أسلوب الحياة والتطور في القرن العشرين ، فقد اكتمل أسلوب القصة في عصرنا ، حيث تجسّدت العناصر الفنية كتحديد المكان ، وتحديد الزمن وأبطال القصة ، والموضوع والهدف الذي تُعالجه هذه القصة ، فإذا اجتمعت هذه العناصر في أسلوب شعري أو نثري ، نسميها قصة فنية مكتملة العناصر في لمساتها الفنية الحسية ، فالقصة الأدبية في عصرنا اليوم تشغل حيزاً مساحياً للفكر العصري ، وعالجت أمراضاً نفسية واجتماعية .. إذا كانت القصة هادفة إلى هدف شريف ، فالقصة أثرت الحياة الأدبية بعناصرها الخصبة ، وصورها الرائعة : لما تهدف له من روافد فكرية وذاتية ، تشدُّ القراء لاستيعابها عندما يبدأ القارئ من فاتحة القصة .. من ألفها إلى يائها ، تشدّه مضامين تستهويه وترغمه على إكمال تلك القصة ، فكان لها الأسلوب المتطور .. والأثر الملموس ، الذي أخذ شريحة من الدارسين والنقاد .

وأنا هنا : سأقصر أطروحتي على مفكري القرن العشرين من الشعراء ، لأن هذه الأطروحة ستعنى ببعض المفكرين ممن ولدوا في هذا القرن من أبناء الضاد ، ولكنها ستعطي الحصة الضخمة لمفكري المملكة العربية السعودية ، وذلك لعوامل زمنية وتاريخية .. لا لعوامل بيئية تحيزية تدخلني في أفق ضيق منغلق ، فأنا لا أؤمن بالفكر الانغلاقى وأدعو للانفتاح الفكري ، غير أن مفكري المملكة لم يعطوا اهتماماً دراسياً من إخوانهم الأدباء من الشقيقات العربيات بالعناية والدراسات التي خصصوها للأدباء الآخرين ، وأذكرُ ههنا كلمة إنصاف للمرحومة الدكتورة / بنت الشاطئ .. حين قالت في مقالها

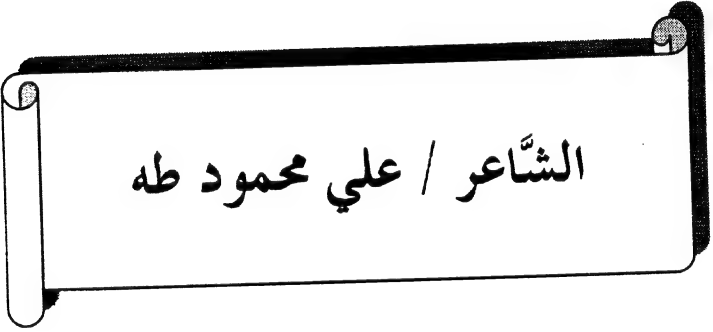
المنشور في أرض المعجزات ما مضمونه : { كم خجلت وأنا أرى كتبنا في أيديهم ونحن نجهل آثارهم } .

فلهذه العوامل : أردت أن تتكشّ ظلال هذه الأطروحة ، فلا تمتدّ امتداداً شاملاً لجميع مفكري الضّاد ، ولا تقتصر أطروحتي بالشّعْر ، فقد تمرّ هذه الأطروحة ببعض المفكرين من الكتاب .. برغم انحصارها في الأساليب الشعريّة ، ودورها في الحياة التي ولدت من سماء هذا العصر .

فأكتفي بهذه اللّمة التعريفية لتصوير الفكرة ، التي سأرسمها لمفكرينا ، ومنها أسير إلى أفق أول شاعر ، وقد اخترت من كل قطر عربي شاعراً ، وأفسح صعيد هذه الأطروحة لمفكري المملكة ، للتعليل الذي أوضحته .. راجياً من الله المدد والتوفيق .

١٤١٩/١١/٢٦هـ

١٩٩٩/٠٣/١٤م



الشاعر / علي محمود طه



وُلد بمدينة المنصورة { إحدى محافظات مصر } عام ١٩٠٢م وأنخل الكتاب ، وألتحق بالمدارس وتخرج مهندساً ، إلا أن فطرته الشعرية حطمت الفرجال والمثلث والمنقلة .

إن هذا الاسم : أحد الرموز التي لمعت في أوائل القرن العشرين ، وتألفت نجمة بيضاء تنير في الصحف والكتب ، وقد عنيت بهذه الشخصية النقاد والأدباء ، واحتلت قمة من القمم تطل من عل في هالة مجد ، كدائرة ضوء تغمر هذه الشخصية .. تشرب من كؤوسها ، وعاشت على صعيد تطوقها حروف خضراء ، وتنتثر عليها فواصلاً ضوئية من ألوان من مفكري مختلف الذوق في أهدافهم الأدبية ، ولكنهم التقوا في نقطة واحدة هي : الإشادة بهذه الشعرية الخصبة ، التي فرشت طريق الضاد بالوان من الورد ، ونجوماً من الضوء ، تصحبها في حياتها وبعد مماتها ، فأسلوبها المترف الناعم ، الذي كهمسات للنسيم في لئن الياسمين ، أو كأضواء الفجر وهو يحبو على أجياد الورد والرياحان ، ولقد لمس الشاعر هذا المجد ، وعاش بين هذه الأقلام ، وتذوق طعم هذا التقدير ، وهو حي يعيش رئيساً للمكتبة المصرية .. كما قرأت في بعض الصحف ، وتقلد عدة مناصب رسمية للدولة ، وفي أواخر حياته كان مديراً لمكتب رئيس مجلس النواب بمصر ، ولم يزل بعد موته يحفل به الأدباء ، وتعد فيه الدراسات ، وقد شغل جميع أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، فقد أذيعت عنه عدة حلقات دراسية من القاهرة ، ومن إذاعة المملكة المتحدة { بريطانيا } الـ B.B.C ، وقد غرب عن الحياة في عام ١٩٤٩م ، فكان لغروبه صدمة للشعر .. حيث فقدت دوحته هزارها الصداح ، وقد أثبتت بقصيدة نشرت في مجلة الكتاب المصرية

بعد غروبه بأيّام ، وطُبعتْ فِي ديوانٍ « كانوا على الدرب » منشورات مطبعة  
مؤسسة البلاغ .. لبنان - بيروت - الطّبعة الأولى ( ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م )  
مطلّعها : -

خر عن وكره مهيض الجناح  
شاعر الزهر والصبا والملاح

وترك ثروة من الفكر في أثار له ( الملاح التائه - ليالي الملاح  
التائه - أرواح شاردة - أرواح وأشباح - زهر وخمر - شرق وغرب - الشوق  
العائد - أغنيات الرياح الأربع ) كما أجاد اللغة الإنجليزية والفرنسية ، فأعانتاه  
على الاقتباس من الألب الإنجليزي والفرنسي ، وترجم بعض القصائد  
والقصص إلى اللغة العربية " كبحيرة لامرتين " .  
ونُورِدُ له هنا قصيدة بعنوان { حديث قبله } من ديوان زهر  
وخمر - طُبِعَ بشركة فن الطّباعة بالقاهرة - ونحلّها بالنقض والدرس : -

تسألني حلوة المبسم :  
مئى أنتَ قَبْلْتَنِي في فمي ؟  
تحدّثتَ عَنِّي وعن قُبلةٍ  
فيا لك من كاذبٍ مُلْهِم !  
فقلتُ أعابُها : بل نسيتُ ،  
وفي الثغرِ كانتُ وفي المعصمِ  
فإن تُنكريها فما حيلني  
وها هي ذي شعلَةٌ في دمي

سَلِي شَفَتِيكَ بِمَا حَسَّتَاهُ  
مَنْ شَفَتِي شَاعِرٍ مُغْرَمٍ  
أَلَمْ تُغْمِضِي عِنْدَهَا نَظْرِيكَ ؟  
وَبِالرَّاحَتَيْنِ ، أَلَمْ تَحْتَمِي ؟  
هَبِي أَتْهَا نِعْمَةً نِلْتُهَا  
وَمَنْ غَيْرَ قَصْدٍ . . فَلَا تَنْدَمِي !  
فَإِنْ شِئْتَ أَرْجِعْهُهَا ثَانِيَا  
مُضَاعَفَةً لِلْفَمِ الْمُنْعَمِ  
فَقَالَتْ وَغَضَّتْ بِأَهْدَابِهَا :  
إِذَا كَانَ حَقًّا فَلَا تُحْجِمِ  
سَاغْمُضْ عَيْنِي كَيْ لَا أَرَاكَ ،  
وَمَا فِي صَنِيعِكَ مِنْ مَائِمِ  
كَأَنَّكَ فِي الْحُلُمِ قَبْلْتَنِي . .  
فَقُلْتُ : وَأَفْدِيكَ ، أَنْ تَحْلُمِي ! !



هذه القصيدة .. أو اللوحة الفنية من السَّهْلِ الممتع ، فهي خفيفة  
الإيقاع .. بعيدة المعاني .. مشرقة للصور .. تتسلسل معانيها كموجٍ نهرٍ في  
أسلوبٍ مشرقٍ الديباجة .. مترفٍ الألفاظ .. في تحاورٍ شوقٍ ودل ، وأسلوبٍ  
تخاطبٍ بين حبيبين من لغةِ القلوبِ والعيون ، ولغةِ الحبِّ اللَّتِي لَا يَفْهَمُ  
أَسْرَارَهَا إِلَّا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ احْتَرَقُوا فِي مَجَامِرِ الْحُبِّ بِخُورًا عَلَى مَذْبَحِ

الحب ، وكان الشاعرُ موفقًا وبارعًا ، حيثُ ختمَ حوارهُ بإشارةٍ ضوئيةٍ ، ورموزٍ حسيةٍ تنبؤك بخاتمةِ هذا الحوار .

تأملُ معي هذه المشاهد التَّحاوريةَ في علاماتِ استفهامٍ تساؤليةٍ ، تُشعركَ بإثارةِ تَنبُّهُ القلوبِ إلى هذه المشاهد ، حيثُ التساؤلُ التَّحاورِي بدأ بحديثِ قَبْلَةٍ ، والقَبْلَةُ تُشعلُ العواطفَ وتُلهبُ وهجَ الشَّوقِ ، وَكَانَ الرَّدُّ مِنَ الحبيبةِ - الإنكار - حَتَّى تُهيجَ العواطفَ المشبوبةَ ، فتشتعلُ كالجمر الغافي وراءِ ضبابِ الرمادِ المتوهجِ في دمه ودميها ، ويدللُ الشاعرُ عَلَى هَذَا التَّدلُّلِ شاهدًا حيًّا فيه تساؤلُ لَهْفَةٍ ، وعَارْمُ شوقٍ .. سَلَى شَفَتَيْكَ بِمَا حَسَنَاتُهُ مِنْ سِرٍّ لِحَبِّ عِنْدَمَا امْتَزَجَتِ الشَّفَتَانِ بِالْقَبْلِ النَّاعِمَةِ ، وَغَابَتَا فِي سَكْرَةٍ شِدَائِيَّةٍ ، كَأَنَّهُمَا فِي عَالَمٍ غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ وَرَاءَ اللَّامَحْسُوسِ ، وَكَيْفَ تَخَذَّرْتَ وَأَغْمَضْتَ عَيْنَيْهَا مَتَغَابِيَةً فِي دَلٍّ يَزِيدُ الْغَرَامَ غَرَامًا وَإِغْرَاءً !! لَاحْتِمَائِهَا بِالْكَفَيْنِ الْعَاجِبَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ ، وَالشَّاعِرُ يَعْرِفُ كَيْفَ يُثِيرُ مَكَامِنَ قَلْبِ الْمَرْأَةِ وَعَوَاطِفِهَا بِلُغَةٍ سَحَرِيَّةٍ ، فِي لَحْنٍ مُثِيرٍ ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ اسْتَرْقَتْهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْكَ .. فَلَا تَنْدَمِي وَسَاكِرُ هَذِهِ الْقُبْلِ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً مِنْ فَمٍ مَنْعَمٍ بِهِذِهِ الْقُبْلِ عَلَيْكَ ، فَهُنَا تَتَلَمَّضُ الشَّهْوَةُ ، فَيَفْرَحُ رَوْعُهَا ، وَتُغْمِضُ عَيْنَيْهَا فِي إِشَارَةٍ ضَوْئِيَّةٍ ، كَالشَّفَرَةِ بِالرِّضَا لَمَّا يَأْتِي بِهِ الْحَبِيبُ .. فَيَغِيْبَانِ فِي جَوْ غَرَامِي كَأَنَّهُمَا فَجْرَانِ يَتَرَاقِصَانِ فِي دُنْيَا حُلُمٍ مَعْسُولٍ ، فَتَحَوَّلَتِ الْبِقِظَةُ لِلوَاقِعِيَةِ إِلَى أَحْلَامٍ لَذِيذَةٍ ، فَكَانَ خَتَامُ آخِرِ مَقْطَعٍ نَبْرَاتٍ حَنَانِيَّةٍ فِي أُسْلُوبٍ يَلْجُ كَضَوْءِ نَيَّارٍ كَهْرِبَائِيٍّ إِلَى قَلْبِ حَبِيبَتِهِ بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ كَمَا يَقُولُونَ : ( فَقُلْتُ وَأَفْدِيكَ أَنْ تَحْلُمِي ) وَهَذَا التَّعْبِيرُ رَائِعٌ وَمُمْتَعٌ .



الشاعر / إيليا أبو ماضي



وُلد إيليا أبو ماضي في المحيثة بلبنان ، كما وجدته في بلاغة العرب في القرن العشرين ، جمع / محيي الدين رضا - مطبعة الرخمانية بمصر - وجاء في صفحة ١٧٠ : ولد في المحيثة بلبنان سنة ١٨٨٩م<sup>(١)</sup> ، وهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠م ، وهنا تشعُر بخطإ تاريخي ، ولعلها سقطت مطبعيةً أراد أن يقول تسعة وسبعين بعد الثمانمائة والألف ، وهو ميلاد أبو ماضي الواقعي ، إذ ليس من المعقول أن يُهاجر إلى مصر ، وهو ابن عام ، حيث أرخت هجرته في بلاغة العرب بـ ١٩٠٠م ، وفي شاعر وقصيدة إلى الأيب / مصطفى طلاس - صفحة ٦١٢ مجلد ٢ - أرخ هجرته إلى الإسكندرية عام ١٩٠١م .

وبعد أن ألقى عصا الترحال ، فتح له حانوتاً يبيع فيه السجاير والدخان ، وأشتغل بالأدب .. وتكب على الكتب ، وهذا التاريخ يكون فيه أبو ماضي قد بلغ من العمر عامين أو ثلاثة ، وهذا خطأ تاريخي ، كما تؤيد ما ذهبنا إليه الدراسة المستفيضة التي كتبها عنه زهير حمزة ، حيث جاء في دراسته في مقدمة مجموعة أشعار أبي ماضي ، التي قدم لها سامي حداد - مطبعة دار العودة .. سنة ١٩٨٢ - أنه هاجر إلى مصر وعمره إحدى عشر سنة ، فهذا دليل تاريخي يُثبت ما ذهبنا إليه من غلطة تاريخية فيما نون عنه في بلاغة العرب ، ولعلها كانت خطأ مطبعياً .. أو سهوة يراعية من المؤلف ، كما نصت بلاغة العرب : أنه قرض الشعر وهو في الرابعة عشر من عمره ، وقد بدأ يمارس الشعر في سماء الكنانة ، حيث منذ حط رحاله

(١) إذا قلنا بهذا التاريخ يكون عمره ٢١ عاماً حين هجرته ، ويكون ابن ١١ عاماً إذا قلنا أن مولده ١٨٨٩م ، وهجرته ١٩٠٠م إلى مصر .

على أرضها أشتغل بالتجارة ، وفتح له حانوتاً يبيع فيه السّيجار والدخان ، واتصل به الصّحفي أنطوان جميل ، وتبنّاه وشجّعهُ ، ونشر آثاره في مجلة الزهور ، وبعد فترة ترحّل إلى الولايات المتحدة وعمره قد تجاوز التاسعة عشرة ، ففتح جفنه على الدنيا الجديدة ، وتملّى من أسطر كتاب الحياة ، وتروّد من أفكار الشعراء والأدباء ، حتّى أصبح شاعراً مميّزاً .. له مدرسة تميّزه بطابعه وأسلوبه المتطور مع تطور القرن العشرين ، فكان من ألمع شعراء هذا القرن .

وتفلسف أبو ماضي في الحياة .. فقال شعراً .. فهو قمّة من قمم الألب ، وكنز من كنوز الضّاد ، غير أن هناك عليه مأخذاً ، كبعض تشكيكاته في الحياة وفي الموت والبعث ، كما أخذ عليه بعض الهنات اللغوية والنحوية والعروضية في بعض أشعاره .

وتكفي هذه الإشارة المقتضبة لما أشرنا له من ظلال ، مدّت أجنحتها في شعر أبي ماضي ، وأشعاره شاهدة على ما ذهبنا إليه ، فمن شاء فليرجع إلى ديوانه .. ففيه البرهان الواقعي ، وأبو ماضي لم يقتصر على الشعر بل كان عنصراً فعّالاً في الرّابطة القلمية ، ونجماً لم تطلع سماء الرّابطة في أفقها الشعري مثله ، كما أصدر صحيفة في نيويورك بالولايات المتحدة ، وصدرها بهذين البيتين : —

أنا لا أهدي إليكم ورقاً

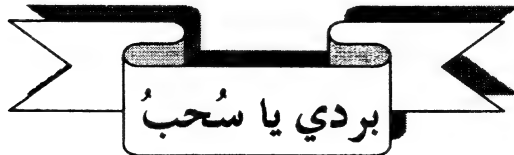
غيركم يرضى بحبر وورق

إنما أهدي إلى أرواحكم

فكراً تبقى إذا الطرس أحترق

فكانت تلك الصَّحِيفَةُ تحملُ أفكارَ كوكبةٍ تتعكَّسُ عليها  
وتحفظُها ، كما تحفظ المرأةُ الأَطْيَافَ مِنْ ثَمَارِ أَقْلَامِ نَجُومِ الرَّابِطَةِ  
القَلَمِيَّةِ ، الَّتِي أَنْشَأَهَا الْمُهَاجِرُونَ أَوْ الْمَغْتَرِبُونَ { جبران خليل جبران وإيليا أبو  
ماضي وميخائيل نعيمة ورفاقهم } وكانت هذه الصَّحِيفَةُ ترسمُ أدبًا جديدًا  
متطورًا ، وتعبِّرُ عَنْ خُلُجَاتٍ وَعَوَاطِفًا ، لِأَنَّهَا تَعَكَّسُ صُورَ فِكْرِ مَا تَنْتَاجُهُ هَذِهِ  
الرَّابِطَةُ ، كما ترك أبو ماضي آثارًا ، فأولُّ مجموعةٍ شعريَّةٍ أسماها تذكار  
الماضي ، طبعها في الإسكندرية بمصر بمساعدة أنطون جميل ، وديوان أبو  
ماضي الجزء الأول طبعه في مصر ، والجزء الثاني في نيويورك بالولايات  
المتحدة الأمريكيَّة ، وأصدر الجداول والخمائل بعد أن نضجت  
شاعريته وتطوَّرت تواكبُ شمس القرن العشرين ، وكان صدورهما بالولايات  
المتحدة ، وقد أحدثا صدًى عميقًا في دنيا العرب ، فمنهم المقرض ومنهم  
الناقد كالذُّكُور / طه حسين ، وأخيرًا مجموعةُ أشعارِ أسماها تَبْرًا  
وتراب ، لعلَّها نُشِرت بعد أن طُوِّيت حياته ، إذ لَمْ يَشْر لها زهير حمزة في  
دراسته المستفيضة المصدرة بديوان أبو ماضي ، وتوفي إيليا أبو ماضي  
١٩٥٧م .

ونُورِدُ لَهُ قصيدةً بعنوان ( بردي يا سَحْبُ ) وهذه القصيدة برغم ما  
فيها من صورٍ شعريَّةٍ ، إلَّا أَنَّهَا تحملُ فكرةً متناقضةً بين القسوة  
والرأفة ، الحذبِ على البشر والصواعق التي يتمناها أن تنزلَ عليه ، وأخيرًا  
يتمنَّى أن يكون هوَ ذلك الحطب الذي يحترق رمادًا في قلبِ العاصفةِ العتية : -



رَضِيتُ نَفْسِي بِقَسَمَتِهَا

فليـراوِذْ غـيري الشَّهْبَا

كُلُّ نَجْمٍ لَا اهْتِدَاءَ بِهِ  
 لَا أَبَالِي لِي لَاحَ أَوْ غَرْبًا  
 كُلُّ نَهْرٍ لَا ارْتِوَاءَ بِهِ  
 لَا أَبَالِي سَالًا أَوْ تَضَبًا  
 مَا غَدٌ، يَا مَنْ يَصُورُهُ  
 لِي شَيْئًا رَائِعًا عَجَبًا  
 مَا لَهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ  
 هُوَ كَالْأَمْسِ الَّذِي ذَهَبَا  
 إِسْقِنِي الصَّبَاءَ إِنْ حَضَرَتْ  
 ثُمَّ صِفْ لِي الْكَأْسَ وَالْحَبَّاءَ  
 لَيْسَ يَرُونَنِي مِقَالَكَ لِي  
 أَتُهَا الْعَقِيَانُ مَنْسَكَبَا  
 إِنَّ صَدَقًا لَا أَحْسُ بِهِ  
 هُوَ شَيْءٌ يَشْبَهُ الْكَذِبَا  
 لَا يَنْجِي الشَّاةَ مِنْ سَغَبٍ  
 أَنَّ فِي أَرْضِ السُّهَى عَشَبَا  
 مَا عَلَى مَنْ لَا يَطِيقُ يَرَى  
 نَوْرَ الْوَادِي أَوْ اكْتَأَبَا  
 مَا يَفِيدُ الطَّيْرَ فِي قَفْصٍ  
 ضَاقَ هَذَا الْجُرُّ أَوْ رَحَبَا  
 بَرْدِي، يَا سَحْبُ، مِنْ ظَمَائِي  
 وَاهْطَلِي مِنْ بَعْدِ ذَا ذَهَبَا

أَوْ فكوني غيرَ راحمةٍ  
 حمماً حمراءَ لا سُحْباً  
 ولأكنّ وحدي لها هدفاً  
 ولتكنّ نفسي لها حطّاباً  
 أنا من قومٍ إذا حزنوا  
 وجدوا في حزنهم طرباً  
 وإذا ما غايةً صعبت  
 هونوا بالتركِ ما صعباً



هذه لوحةٌ إبداعيةٌ فيها ألوانٌ من الفنّ الشّعري ، وأسلوبٌ رفيعٌ ، وخيالٌ مخصوصٌ ، وتعبيرٌ فيه أداءٌ من السّهل الممتع .. غير أنّنا نأخذُ على الشّاعر ما خلقه من جوٍّ أناني صارخٍ ، يُباينُ طبيعةَ الشّاعر .. حيثُ جاء الشّعْرُ كرسالةٍ تعطفُ على البشرية ، ونعيمًا يمدُّ ظلَّهُ - لا جحيمًا وهيبًا - يرسلُ حممهُ على الإنسان :-

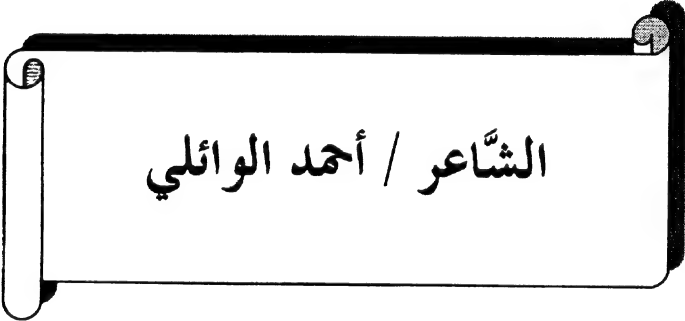
كلُّ نجمٍ لا اهتداءً بهِ  
 لا أبالي لاحَ أو غرُباً  
 كلُّ نهرٍ لا ارتواءً بهِ  
 لا أبالي سالَ أو نضباً

وهذه الفلسفة : قَدْ تَتَّبَعُ مِنْ أَشْبَاحِ وَأَفْكَارٍ ، تَتَوَلَّدُ فِي أَفْقِ الشَّاعِرِ مِنْ آرَاءٍ مُتَضَارِبَةٍ ، فَتَكُونُ فِي حُرُوفِهِ الشَّعْرِيَّةِ مَذَاهِبًا مُتَنَاقِضَةً ، أَوْ تَتَوَلَّدُ مِنْ حَيَاةٍ غَاضِبَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، لَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ كَادَاتٍ فِي مَسِيرَةِ رَبِّهِ ، فَتَعْبَسُ حَيَاتُهُ .. فَتَعَكَّسُ صُورًا فِي شَعْرِهِ ، فَيَعِيشُ فِي ضَبَابِ الْيَأْسِ وَالشَّكِّ ، فَأَيُّ نَجْمٍ لَا يَقْبَسُ مِنْ أَشْعَتِهِ ضَوْءًا يَسِيرُ عَلَيْهِ فِي مَذَلِّهِ حَيَاتِهِ الْخَاصَّةِ ، فَهُوَ لَا يُبَالِي بِهِ أَضَاءً .. أَمْ غَرَبَ .. وَإِنْ أَنْارَ لَغَيْرِهِ ، فَالشَّاعِرُ عَزَفَ عَلَى أَوْتَارِهِ عَلَى هَذِهِ الْمَقُولَةِ وَرَدَّدَهَا ، فَكُلُّ نَهْرٍ لَا ارْتِوَاءَ لَهُ مِنْهُ .. لَا يُبَالِي أَنْتَدِفِقَ ذَلِكَ النَّهْرُ أَمْ التَّحَفُ تَحْتَ الثَّرَى ؟! وَأَيُّ صَدَقٍ لَا يَحْسُبُ بِهِ ، هُوَ شَيْءٌ يَشْبَهُ الْكَذِبَ .

فَأَبُو مَاضِي يَرَسُمُ مِنْ أَفْقِ عِبْقَرِ صُورًا مِنْ صُورِ الْحَيَاةِ ، وَإِنْ جَاءَتْ فِي أَلْوَانٍ مُتَابِينَةٍ وَمُخْتَلَفَةٍ ، وَيَغْلُفُهَا بِرُمُوزٍ فِي إِشَارَاتٍ خَفِيَّةٍ ، وَيَسْتَيْقِظُ الشَّاعِرُ مِنْ دُنْيَا أُنَانِيَّتِهِ الصَّارِخَةِ ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى حَيَاةٍ إِنْسَانِيَّةٍ تَحْنُو عَلَى الْبَشَرِ فَيَخَاطِبُ السُّحُبَ طَالِبًا أَنْ تَكُونَ حَمَمًا ، وَلَكِنَّهُ يَكُونُ فِدَاءً وَقَرْبَانًا لِلْبَشَرِيَّةِ ، فَتَرْسُلُ هَذِهِ الْحَمَمُ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُ أَشْلَاءً كَالْحَطَبِ الَّتِي تَحْرُقُهَا النَّارُ ، وَهَذِهِ صُورَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ رَائِعَةٌ فِي مَظَاهِرِهَا وَمَحْتَوَاهَا .

وَيَخْتَمُ قَصِيدَتَهُ بِنَقْدٍ لَازِعٍ - فِيهِ تَوْجِيهٌ لِبَنِي الْإِنْسَانِ - مَبْطُنًا بِإِشَارَاتٍ سَاخِرَةٍ لَازِعَةٍ ، لِأَنَّ شَرِيحَةَ مِنْهُمْ .. إِذَا مَسَّهُمُ الْحَزْنُ ، وَجَدُوا فِي ذَلِكَ الْحَزْنِ طَرَبًا ، وَإِذَا مَا وَقَفَتْ أَمَامَهُمُ الصَّعَابُ .. ذَلَّلُوها بِتَقَاعُسِهِمْ وَاسْتِسْلَامِهِمْ ، وَتَهَوَّنَ مَا صَعِبَ بِتَرْكِهَا عَائِمَةً ، غَيْرَ مُحَاوِلِينَ التَّغْلُبَ عَلَيْهَا ، وَالتَّقَلُّبَ مِنْ قِبَضَتِهَا بِدُونِ أَنْ يَشْخَصُوا الدَّاءَ ، أَوْ يُشَخِّصُوهُ .. فَيَتَرَكُونَهُ يَفْتَكُّ بِهِمْ بِدُونِ أَنْ يَتَجَرَّعُوا الدَّوَاءَ ، وَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى تِلْكَ الصَّعَابِ .





الشاعر / أحمد الوائلي



الشاعر / أحمد الوائلي هُوَ : الشَّيْخُ أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود اللبني - الشهير بالوائلي - ولد بمدينة النجف الأشرف " حاضرة العلم والفكر والأدب " يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول أوائل عام ١٣٤٢ هـ ، كما وجدته في كتاب شعراء الغري .. المجلد الأول صفحة ٢٩٣ - مطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٧٣هـ - تأليف الأستاذ / علي الخاقاني ، ونشأ تحت ظل أبيه ، وفتح أبقانه في أفق يموج بألوان من صور الفكر والعلم والأدب ، وقد كتب عنه الأستاذ / داخل السيد حسن .. في كتابه { من لا يحضره الخطيب } صفحة ٢١٤ ، طبع مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ( بيروت - لبنان ) ، ولرخ مولده يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، وأدخل للكتاب .. وبعد الكتاب أنتسب إلى الحوزة العلمية ، وشرب من نعيمها ، ودرس للدراسات الأكاديمية ، ثم ألحق بمدرسة منتدى النشر ، وتخرج من كلية للغة سنة ١٩٦٢م ، ثم نال درجة الماجستير من جامعة بغداد ، ولم يرضه طموحه حتى أخذ الدكتوراه من جامعة القاهرة في الشريعة الإسلامية - قسم الاقتصاد الإسلامي - وأسبح الوائلي فكرياً وأدبياً ، ويصح أن نقول : أنه مدرسة سيارة ، كل فصل من فصولها مجموعة معارف ، وهو خطيب لا كالخطباء .. فهو اليوم المحاضر والخطيب الأول المشار إليه بالبنان في محاضراته القيمة الإرشادية ، وأسلوبه المتفرد ، الذي هو معارف من التاريخ والعلم والفكر ، ويهدف في أسلوبه الإرشادي إلى جمع كلمة المسلمين ولم شتاتهم ، فانت إذا استمعت له وهو يحاضر تحس بنقله إلى أفق فكري فسيح الأرجاء .. يموج بصور من الأدب والعلم ، وشروح من تفسير معاني القرآن الكريم ، وألواناً من أسرار الدين العظيم ، فهو فكر جوال

يحملُ رسالةً من الإيمان ، تتعكسُ أضوائها في محاضراته ، ويستمتعُ ويستلذُّ كلُّ مَنْ يَستمعُ لهذه المحاضرات ، ولم يكن الواصل خطيب فحسب .. بل كان أديباً له في دنيا الأدب فكرٌ عميقٌ ، تمثل في شاعريّة مبدعة خصبه ، جمع له من شعره مجموعة طبعها في بيروت ، أسماها ( إيقاع الفكر ) - طبعة دار الصفوة - عام ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ) ، فهي مجموعة من الشّعْرِ الرَّائع تصوّر خلجاته النفسية ، وخواطره ومُعاناته التي يُعانيها في غربته نزيه من جراح الأيام واللّيالي ، فالغربة في قسوتها ومرارتها .. لا تعطف على مَنْ يلبسها ويعيشُ ظرفها ، ولكنّ العبقرية تنصهر في بوتقة الألم ، وتتفجّر ينابيع من البيان السّاحر ومن الألم المبرح .

كما أن له شوطاً تألقياً في مهرجانات الشّعْرِ الأدبية ، وأشهرها مهرجان الشّعْرِ في بغداد ، وله قصيدة في الأمّ .. التي هي أتمنُّ كنز في الحياة ، كما نذكر آثاره التي عثرنا على أسمائها المدونة في بعض تراجمه ، وهي { هوية التشيع - أحكام السجون بين الشريعة والقانون - من فقه الجنس في قنواته المذهبية } وأوّل ما طبع له " تفسير علمي للقرآن " كما وجدته في كتاب ( من لا يحضره الخطيب ) ضمن سلسلة من هدي النجف ، وله ديوان مطبوع في جزأين ، والثالث هو ما أشرنا له سابقاً { إيقاع الفكر } ، ونحن هنا ننقلُ له أنموذجاً من شعره ، وهي قصيدة بمناسبة عيد الأم : -

أمي تجعّد وجهي وانقضى العمر  
ولم يزل ملء أنفي جيّك العطر  
عليه من لبن الشديين باقية  
ومن لعابي ومن أقدائه أثر

كم كنت ساعة إرضاعي أشدّ به  
 حتى يجيء بكفّي الخيط والوبر  
 لكي انجيه عن ثديي فتحضنه  
 كفي وأغرز أظفاري وأعتصر  
 أهوى إذا ما لحتُ الثدي منحدراً  
 كظامي الطير فوق التّبع ينحدر  
 هذا النعيم من الدّنيا بأجمعها  
 وما عدى ذاك حتى صفوها كدر  
 تلك البواكير في عينيّ صورتها  
 وعند صدرك من أشدائها خبر  
 أمي لحجرك عندي ألف مابغة  
 هيات يغرب معناها ويندثر  
 فيّ مقلتي خلوبٌ من ملامحها  
 وفي مخيلتي جنّاتها الخضر  
 دفء وفيض حنان ناعم ورؤى  
 جديدة الوجه مهما امتدت العصر  
 ومنبع يلتقي جذري ويسكب في  
 عمري فيورق عُود كاد ينكسر  
 غداة يجمعني زنادٌ ويلحفني  
 صدرٌ وبينهما أطوى وأنتشر  
 وفي شفاهك أنغام تهدهدني  
 غزيرة مثلما الشلال ينهمر

تصوغ لي ألف موال وتغرقني  
من الحنان وتشدو لي وتبتكر  
حتى أنام على حلم يترجمه  
تبسم فوق ثغري ناعم نضر  
أمي لو أمطعت إرجاع الزمان إلى  
الماضي لآثرت أن يبقى لي الصغر  
أعيش يوردني صدرٌ ويصدرني  
ثغرٌ ، فما أروع الإيراد والصدر  
وحين أطفو على نبعين من نغم  
ومن حنانٍ فأستجلي وأنغم  
بحيث كتفك أيكي إن لغوت وما  
لغوي باذنيك إلا ما شدا الوتر  
مباهج لو جنان الخلد تلمحها  
لأعلنت ها هنا الجنات والنهر  
أمي إذا كانت الجنات مصدرها  
من تحت رجلك فيما يذكر الخبر  
فما بصدرك من خير ومن كرم  
يظلّ أكبر مما تحبس الفكر  
يا للأمومة آفاق مقدسة  
أبعادها وعطاء ماله قدر  
تلك الكرائم لا تنسى وإن ضعفت  
بالذهن أشباحها أو غامت الصور

تعيش ذكراك أنغامًا ودالية  
 ما عاش عند البنين السمع والبصر  
 قد كنت أشبع من نوم وأنتِ إلى  
 جنب السرير عيون كلها سهر  
 النجم ملّ وما ملّت شفاهك من  
 تلك المواويل حتى يطلع السحر  
 الثدي يشبّني والصدر يغمرني  
 دفئا ومنك الطوى والقر يهتصر  
 وملء نفسك فيما تبذلين رضى  
 ومنحة ما بها منّ ولا ضجر  
 لله حجرك ، مهد إن غفوت به  
 فلا ضرار بذى الدنيا ولا ضرر  
 أماه يا ذكريات أستجير بها  
 غداة يجمعني والهم مؤتمر  
 تشاقها الروح كالرمل الجديد إذا  
 لاحت له ديمة أو رشّته الدرر  
 وأطمئن لذكراها كمؤمنة  
 إذ تطمئن بذكر الله لو ذكروا  
 وعندما طارق الآلام يطرقني  
 فلا ننام أنا والليل والقمر  
 ويستبد بروحي في شراسته  
 ليلٌ من النازلات السّود معتكر

أستاف روحك في عطر ووجهك فـ  
— بي بدر وأجلوك حتى يعذب السَّمر  
فأنت كعبة وحي لست أبرح في  
دهري أحج لذكراها وأعتمر  
أمي رعى الله حجرًا ضمني زمنًا  
ولفَّ جنحي من جنحيه معتجر  
وكرمَ الله مثواه وأكرمَه  
ورشه الأرج المطلول والمطر  
وحولَ الرحمات الغر وارفة  
من الظلال وحقلًا كلّه زهر  
حتى يرف على قبر يرف به  
طهرٌ ، فيورق فيما حوله الحجر  
أماه هذا جناح الذل أخفضه  
وجبهة في ثراك الطهر تنعفر  
وهذه أمنيّات لا حدود لها  
لكل أم ، بعيد الأم تدخر



وقفةً معي أيُّها القارئُ أمام هذه الرِّسْمَةِ ، الَّتِي تصوِّرُ أَثْمَنَ كَنْزٍ فِيهِ  
الحياةُ { الأم } لأنَّها الدَّفءُ والحنانُ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الحياةِ ، وَمِنْ مَعَانِ  
روحيةٍ تفرِّغُ لها الصَّغارُ فِي كُلِّ شِدَّةٍ تلوذُ بِذلك الحجر الطَّاهر ، ويرمزُ إلى  
صورٍ مِنَ الحياةِ بعيدةِ الأهداف ، فالأُمُّ هِيَ الدُّنْيَا إِنْ صَحَّ هَذَا التَّعْبِيرُ ، وَهِيَ

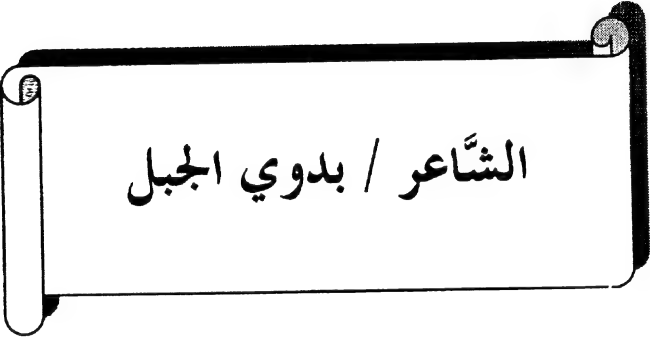


جَنَّةُ الدُّنْيَا ، وعلى برِّها تُثَابُ الأَبْنَاءُ ، وَقَدْ عَبَّرَ رَسُولُ الْإِنْسَانِيَّةِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَنْهَا بِكَلِمَاتٍ فِي حَدِيثٍ شَرِيفٍ ، وَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ كَلِمَاتٍ ، فِيهَا أَسْرَارٌ بَلِيغَةٌ .. وَمَعَانٍ عَمِيقَةٌ ( الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَهَاتِ ) .

فهذه القصيدة كالألبوم صورٍ ضَمَّ شَتَاتًا مِنْ أَلْوَانٍ وَمَنَاظِرٍ مُخْتَلِفَةٍ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي إِطَارٍ وَاحِدٍ يَصِفُ الْأُمَ ، وَمَا لَهَا مِنْ دَوْرٍ فِي الْحَيَاةِ ، فَإِنَّهَا مَنْشَأَةُ الْجِيلِ وَمُرَبِّيتُهُ ، وَالْمُهَذَّبَةُ وَالْمُشَذَّبَةُ لِأَخْلَاقِهِ ، فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ قَالَهَا شَاعِرُهَا فِي عِيدِ الْأُمِ وَتَكَرِيمِهَا ، وَمَنْ أَوْلَى بِهَذَا التَّكْرِيمِ وَالتَّجْذِيلِ : إِنَّهَا الْأُمُ .. فَأَيُّ بَلَاءٍ أَوْ حَادِثٍ نُنْيُوِي يَلُمُّ بِالطِّفْلِ .. أَوْ الْكَهْلِ .. أَوْ الشَّيْخِ .. يَلْجَأُ إِلَى هَذَا الْأَفْقِ لِلرَّحِيبِ الصَّدْرِ الْحَنُونِ ، فَيَسْتَرِيحُ فِي جَوْهٍ .. وَيَفْرُخُ رَوْعَهُ .. وَتَهْوَنُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْهُمُومُ بِبِسْمَةِ مَنْ حَنَّانٍ ثَغْرِ ، أَوْ يَتَظَلَّلُ بِظِلِّ مَنْ ظِلَالٍ نَعِيمٍ عَطْفٍ ، يَنْبَغُ مِنْ قَلْبٍ خَافِقٍ بِالْخُصْبِ حَتَّى الْفِدَاءِ ، وَتَسْكَبُ تِلْكَ الْقَلْبُ فِي مَسِيلِ أَنْ تَمُوتَ لِيَحْيَا بَعْضٌ مِنْهَا أَوْ كُلُّهَا ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

والقصيدة طَوِيلَةٌ تَرَبُّو عَلَى أَرْبَعِينَ بَيْتًا ، وَقَدْ حَفَلَتْ بِصُورٍ أَخَاذَةٍ جَذَابَةٍ ، فَعَلَى الْقَارِئِ الرَّجُوعُ إِلَيْهَا ، وَيَحْكُمُ بِنُوقِهِ وَرَأْيِهِ .  
... وَنَكْتَفِي بِهِذِهِ اللَّمْحَةَ لِتَحْلِيلِيَّةِ الْقَصِيرَةِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ .





الشاعر / بدوي الجبل



مُحمَّد سليمان الأحمد بنُ العلَّامة الشَّيخ سليمان الأحمد العالم اللغوي والفقير الدِّيني ، وُلِدَ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ سُلَيْمَانُ فِي هَذَا الْجَوِ عام ١٩٠٥م بقرية ( ديفة ) مِنْ أَعْمَالِ مَنْطَقَةِ الحفة فِي مَحَافِظَةِ اللانقبة بسوريا ، وَتَرَبَّى فِي هَذَا الْمَحِيطِ الْأَدْبِيِّ ، وَنَشَأَ عَلَى حُبِّ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِلْمِ وَتَعَالِيمِ وَالِدِهِ ، وَأَبْتَدَأَ دِرَاسَتَهُ الرَّسْمِيَّةَ فِي حِمَاة ، وَظَهَرَتْ مَوَاهِبُهُ وَذَكَاءُهُ مِنْذُ أَيَّامِ الدِّرَاسَةِ ، وَتَوَسَّمَ فِيهِ أَسَاتِذَتُهُ وَالْمُفَكِّرُونَ النُّبُوغَ وَالتَّفَوْقَ .

وَأَخَذَ يَكْتُبُ الشَّعْرَ حَتَّى جَمَعَ لَهُ مَجْمُوعَةٌ شِعْرِيَّةٌ كَوْنَتْ دِيوَانًا ، وَهُوَ الدِّيَوَانُ الْأَوَّلُ - طُبِعَ عام ١٩٢٥م - وَقَرَضَهُ الشَّاعِرُ / بشارَةُ الْخُورِي ، وَخَلِيلُ مَرْدَم ، وَمُحَمَّدُ كُرْدُ عَلِي ، وَعَبْدُ الْقَادِرِ الْمَغْرِبِي .. وَغَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَقَدْ تُخِذَ لَهُ أَسْمَاءٌ أَدْبِيًّا أَنْفَرَدَ بِهِ ، يَرْمِزُ لَهُ مِنْذُ ابْتِدَاءِ حَيَاتِهِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ عِلْمًا حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا ، وَهُوَ : بَدْوِي الْجَبَل ، وَأُثْبِتَ لَهُ هَذَا الْاسْمُ شَيْخُ لِلصَّحَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ / يَوْسُفُ الْعَيْسَى - صَاحِبُ صَحِيفَةِ " أَلْفُ بَاءٍ " .

وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ عام ١٩٨٠م ، فَتَرَكَ بَدْوِي الْجَبَلُ ثَرَوَةً فِكْرِيَّةً مِنْ الشَّعْرِ الْخَالِدِ ، الَّذِي يَجْعَلُهُ فِي قِمَمِ شُعْرَاءِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ ، مِنْ صُورٍ تَمُوجُ بِالسَّحْرِ وَالْأَدَاءِ الْفَنِّي .

نَخْتَارُ لَهُ مِنْ دِيْوَانِهِ قَصِيدَتَهُ الْعَصْمَاءَ ، الَّتِي أَلْقَاهَا فِي الْمَهْرَجَانِ الْأَلْفِيِّ لِذِكْرِ الْمَعْرِي ، وَيُقَالُ أَنَّ النُّكْتُورَ / طه حسين .. قَدْ هَتَفَ بِشَاعِرِهَا فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ عِدَّةَ هَتَافَاتٍ ، هَلْ أَنْتَ تُلْقِي قَصِيدَةً .. أَمْ أَطْرُوحَةً ؟! وَسِوَاءِ صَحَّتْ هَذِهِ الْقَوْلَةُ أَوْ لَمْ تَصَحْ ، فَهِيَ قَصِيدَةٌ عَصْمَاءُ مِنْ الْقَصَائِدِ الَّتِي تَتَفَرَّدُ بِأَسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الشَّعْرِ الْحَدِيثِ الْمَعَاوِرِ .

حَلِيَّ النَّدِيِّ كَرَامَةً لِلرَّاحِ  
 عَجَبًا أَتُسَكِّرُنَا وَأَنْتَ الصَّاحِي  
 لَكَ فِي السَّرَائِرِ بَدْعَةٌ مَرْمُوقَةٌ  
 أَلَسَ الْمُقِيمِ وَجَفْوَةُ الثُّزَاحِ  
 مَجْدٌ كَأَفَاقِ السَّمَاءِ إِذَا انْتَهَتْ  
 مِنْهُ نَوَاحٍ بَادَهَتْ بَنَوَاحِي  
 الدَّهْرُ مِلْكُ الْعَبْقَرِيَّةِ وَحَدَهَا  
 لَا مِلْكُ جَبَّارٍ وَلَا سَفَّاحِ  
 وَالْكُونُ فِي أَسْرَارِهِ وَكُنُوزِهِ  
 لِلْفِكْرِ لَا لِيُوغِي وَلَا لِسِلَاحِ  
 ذَرْتَ السِّنُونَ الْفَاتِحِينَ كَأَنَّهُمْ  
 رَمَلٌ تَنَاوَلَهُ مَهَبٌ رِيَّاحِ  
 لَا هَذُلُحُ الدُّيَا وَيَصْلُحُ أَمْرُهَا  
 إِلَّا بِفِكْرِ كَالشُّعَاعِ صُرَاحِ  
 مَرِحَ عَلَى كَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَهْلِهَا  
 يَلْقَى شِدَائِدَهَا بِأَزْهَرِ ضَاحِ  
 خَيْرُ الْعَقَائِدِ فِي هَوَايَ عَقِيدَةٌ  
 شَمَاءُ ذَاتُ تَوْتُبٍ وَجِمَاحِ  
 تَبْنِي الْحَيَاةَ عَلَى هُدًى إِيْمَانِهَا  
 وَالْعَقْلُ مُثْبِتٌ غَيْرُهَا وَالْمَاحِي  
 سَكْرَى مِنَ الْحَقِّ الْمُدِلِّ وَرُبَّمَا  
 لَقِيَ الْخُتُوفَ فَحَادَ عَنْهَا الصَّاحِي

سُكِرُ الْعَقِيدَةِ أَيْنَ مِنْ آفَاقِهِ  
سُكِرُ الْغُيُونِ وَأَيْنَ سُكِرُ الرِّاحِ  
مَلَكَ الْحَيَاةَ فَخَلَفَ كُلَّ نَبِيَّةٍ  
لِلْيَاسِ يَكْمُنُ مِنْهُ أَلْفُ طِمَاحِ  
شَرَفُ الْمَعَارِكِ بِالْجِرَاحِ وَبِالرَّدَى  
فَبَدَارَ قَسْطُكَ مِنْ أَذَى وَجِرَاحِ  
وَأَحْمِلْ بِكَفِّكَ الْحَيَاةَ تَحْدِيَا  
مِنْهَا لِأَوَّلِ مُغْتَدٍ بِالسَّاحِ  
الْعُمُرُ مِنْ غَيْبِ الْقَضَاءِ خَبِيَّةٌ  
فَانْسُطْ مَصُونٌ كُنُوزِهِ بِالرَّاحِ  
لَا تَشْكُ مِنْ قِصَرِ الْحَيَاةِ فَرُبَّمَا  
أَغْنَتْ إِشَارَتُهَا عَنِ الْإِفْصَاحِ  
سِيفُ الْحَيَاةِ إِذَا اكْتَفَيْتَ بِمَتْنِهِ  
أَغْنَاكَ مُوجَزُهُ عَنِ الشُّرَاحِ  
وَأَخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَيَّةً مَرْمُوقَةً  
بَيْنَ النُّجُومِ عَلَى الْأَدِيمِ الصَّاحِي  
لِلْمَوْتِ فِي اللَّجَجِ الْعَمِيقَةِ رَهْبَةً  
شَمَخْتَ بِسُؤْدَدِهَا عَلَى الصَّخْضَاحِ  
حَوَّطْتَ بِاللَّهِ الْعَقِيدَةَ مِنْ أَذَى  
خَرَقَاءَ فَاجِرَةِ الْيَمِينِ وَقَاحِ  
سَكِرْتَ عَلَى كَرَمِ النَّدِيِّ وَعَرَبَدْتَ  
فَالْيَوْمَ لَا خَمْرِي وَلَا أَقْدَاحِي

لَهُوَ الْعِوَنُ وَلَا أَقُولُ قَذَاةَهَا  
وَكُلُّ تَكْلَفٍ زَهْوَةٌ الْمُجْتَاحِ  
مُتَرَجِّحُ الْعِطْفَيْنِ مِنْ خِيَلَيْهِ  
مَاذَا تَرَكْتَ لِغَارَةٍ وَكَفَّاحِ  
اللَّهُ يَغْلَمُ مَا أَرَدْتُ شَمَائِلَةً  
بِمُصَرَّعَيْنِ مِنَ الْعِيَاءِ طِلَاحِ  
تَأْبَى الشَّمَائِلَ فِي الضَّعِيفِ شَمَائِلِي  
وَتَعِفُّ عَنْ شِلْوِ الْجَرِيحِ صِفَاحِي  
وَأَنَا الَّذِي وَسَّعَ الْهُمُومَ حَنَائِلُهُ  
وَبَكَى لِكُلِّ مُعَذِّبٍ مُلْتَاحِ  
شَقَى لِمَنْ حَمَلَ الشَّقَاءَ كَأَنَّمَا  
أُتْرَاحُ كُلِّ أَخِي هَوَى أَتْرَاحِي  
غَسَلَ الْأَسَى قَلْبِي وَحَسْبُكَ بِالْأَسَى  
مِنْ غَاسِلٍ حَقَّقَ الْقُلُوبَ وَمَاجِي  
وَوَدِدْتُ حِينَ هَوَى جَنَاحُ حَمَامَةٍ  
لَوْ حَلَقْتُ مِنْ خَافِقِي بِجَنَاحِ  
حُبٍّ قَدْ أُنْتَظِمَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ  
أَسَدَ الشَّرَى وَحَمَامَةَ الْأَذْوَاحِ



وقفة أيها القارئ أمام هذه اللوحة الغنية ، التي تجسّد شاعريّة عصماء  
تنساب أنسياب النهر في معانيها وحروفها وصورها الضوئية ، فهي كاللؤلؤ



من طيوفِ الشَّمسِ انسكبت على مرآةٍ تموجُ بالأخيلةِ والظلالِ .. في نجوى  
روحٍ إلى روحٍ ، في همساتٍ روحيةٍ يُرسلُها الشَّاعرُ نجاوى ، كموجاتٍ  
كهربائيةٍ إلى روحِ المعري في نكراه الألفية .

حَلِي النَّدِي كَرَامَةٌ لِلرَّاحِ

عَجَبًا أَتُسَكِّرُنَا وَأَنْتَ الصَّاحِي

تأملٌ معي هذا التعبيرُ الفنِّي ، همساتٍ في نبراتٍ تعبيريةٍ في  
تراكيبٍ كأمواجٍ ضوءٍ ، تتسلسلُ في وثبةٍ ألفتائيةٍ من وثباتِ العبقريةِ ، عَجَبًا  
كيف يُسَكِّرُ النائِمُ الصَّاحِي ؟! ولكنَّ الشَّاعرَ خلقَ هَذَا الجَوْ .. فجعلَ النائِمُ  
صَاحِي ، وَهُوَ الَّذِي يَذْكُرُ مَنْ فِي الْحَفْلِ .. يَذْكُرُهُمْ بِفِكْرِهِ وَأَدْبِهِ وَتَرَاثِهِ الَّذِي  
لا يموتُ ، إِنَّهُ الْفِكْرُ الَّذِي يُسَكِّرُ الْأَرْوَاحَ ، وَهَذَا التَّعْبِيرُ مِنْ تَعَابِيرِ الْفَنِّ  
الرَّفِيعِ الَّتِي تَنْدُرُ صُورُهَا .

لَا تَشْكُ مِنْ قِصْرِ الْحَيَاةِ فَرُبَّمَا

أَغْنَتْ إِشَارَتُهَا عَنْ الْإِفْصَاحِ

سِفْرُ الْحَيَاةِ إِذَا أَكْتَفَيْتَ بِمَتْنِهِ

أَغْنَاكَ مُوجَزُهُ عَنْ الشُّرَاحِ

إِنَّ هَذَا الْأَدَاءَ الْفَنِّيَّ يَصُورُ لَنَا عَمْرَ الْإِنْسَانِ بِعَطَائِهِ الْخَصْبِ ، الَّذِي  
هُوَ كَالرَّبِيعِ ، أَوْ بِجَذْبِهِ الَّذِي هُوَ كَالْخَرِيفِ .. وَلَيْسَتْ الْمَقَايِيسُ بِطَوَّلِ الْحَيَاةِ أَوْ  
قِصَرِهَا ، إِنَّمَا هِيَ بِمَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ فِكْرٍ ثَرٍ ، وَلَعَلَّ إِشَارَةَ رَمْزِيَّةٍ تُغْنِيكَ  
عَنْ مَسْلَسِلٍ مَطْوَلٍ ، لَا يَفْصَحُ عَنْ جَوْهِرٍ مَا فِيهِ مِنْ شُرُوحٍ عَلَى مَتُونٍ مَسْهَبَةٍ

ثَقِيلَةُ الْأَلْفَاظِ وَالظَّلَالِ ، فَلَرُبَّمَا سَفَرٍ مُّوجِزٍ بَيْنَ دَفْتِيهِ الْوَأْنُ مِنَ الْعَبْرِ قَدْ يُغْنِيكَ  
عَنْ مَسْهِبَاتِ الْكُتُبِ .

وَيَخْتَمُ لِلشَّاعِرِ / بِدَوِي الْجَبَلِ هَذَا الْفَصْلَ لِيَبْدَأَ بِهِمْسَةً  
رُوحِيَّةً ، يَهْمَسُ بِهَا فِي أُذُنِ الْمُعَرِّي فَاسْمَعْ هَذِهِ النُّجُوى : -

إِيَّاهُ رَهْمِينَ الْمُحْسِنِ أَلَمْ يَأْنِ  
إِطْلَاقُ مَأْسُورٍ وَفَكَ سَرَاحٍ  
ظَفِرَتْ بِرَحْمَتِكَ الْحَيَاةَ وَصُنَّتْهَا  
عَنْ كُلِّ نَاعِسَةِ الْجُفُونِ رَدَاحٍ  
أَتَضَيِّقُ بِالْأُنْثَى وَحُبُّكَ لَمْ يَضِيقْ  
بِالْوَحْشِ بَيْنَ سَبَابِيبٍ وَبَطَّاحٍ  
يَا ظَالِمَ الثُّفَاحِ فِي وَجَنَاتِهَا  
لَوْ دُقْتُ بَعْضَ شَمَائِلِ الثُّفَاحِ  
عِطْرُ أَحَبِّ مِنَ الْمُنَى وَغِلَآلَةِ  
بِذْعٍ فَمِنْ وَهَجٍ وَمِنْ أَفْرَاحٍ  
هِيَ صُورَةٌ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
عَزَّتْ نَظَائِرُهَا عَلَى الْأَلْوَاحِ  
مَنْحَتٌ بِقُدْرَتِهِ النَّعِيمَ وَلَوْ لَأَنْتِ  
أَنْوَارُهُ جَلَّتْ يَدُ الْمُنَاحِ  
لَيْتَ الْهُمُومَ الْعَبَقْرِيَّةَ هُدَيْدَتِ  
بِحَنَانِ طَيِّبَةِ اللَّمَى مِنْ مَرَاكِحِ  
لَوْ أَتَاهَا نَزَلَتْ عَلَى نَعْمَى الْهَوَى  
نَزَلَتْ مُدَلَّلَةً بِأَكْرَمِ سَاحِ

حَرَّمَ عَلَى غُسْرِ الزَّمَانِ وَيُسْرِهِ  
 وَحَمَى أَمِينَ السِّرِّ غَيْرُ مُبَاحٍ  
 مَا أَحْوَجَ الْعَقْلَ الْحَكِيمَ وَهَمُّهُ  
 وَسِعَ الْحَيَاةَ لِصَبَوَةٍ وَمِرَاحٍ  
 وَلِمَنْ تُدَلِّلُهُ وَتُسَكِّرُ رُوحَهُ  
 عِنْدَ الْهَجِيرِ بَظِلِّهَا النَّفَاحِ  
 أَتَى إِذَا ضَاقَتْ سَرِيرُهُ نَفْسِهِ  
 طَلَعَتْ بِآفَاقٍ عَلَيْهِ فِسَاحٍ  
 تَسْقِي الْهُمُومَ إِذَا وَرَدْنَ حَنَانَهَا  
 بِمُعْطَرٍ كَالسَّلْسِيلِ قِرَاحٍ  
 وَتَرُدُّهُنَّ عَرَائِسًا مَجْلُوءَةً  
 كَنَدَى الصَّبَاحِ وَكُنْ غَيْرَ صَبَاحٍ  
 لِلْعَبْقَرِيَّةِ قَسْوَةً لَوْلَا الْهَوَى  
 عَصَفَتْ بِكُلِّ عَقِيدَةٍ وَصَلَحِ



هذه نجوى فيها رقة وقسوة من الشاعر / بدوي الجبل إلى  
 الفيلسوف الشاعر / أبي العلاء المعري .. الذي حرّم على نفسه لذّة متعة في  
 هذه الحياة بعد الإسلام { أنى } تهدد أحلامه ، وتضمّد جراحه ، وتخفف  
 آلامه ببسمة من شفتين صغيرتين قرمزيتين ، تبسم له فتبدّد ليل آلامه وتشيع  
 الدفء في مخدعه ، وتطرّد أشباح الوحشة المتمددة في سماء بيته ، غير أن  
 المعري وقف من الأنثى موقفاً غريباً شاذاً يخالف الطّبيعة الإنسانية ، والغريزة

الجنسية ، فظلم المرأة - تلك التفاحة - ولم يتذوق من أثمارها ، ولم يتفياً بظلِّ شمائلها ، وعاش بعيداً عن أجواء هذه الجنان .. محروماً من ينبوع حنانها ، يتقلب في جحيم عزلة قاسية بين محبسين ، لم ينعم بهذه النعمة التي هي فيض من اللطاف فضل الخالق على عبده ، وهذا الشذوذ الغريب تراكم عليه ضباب التاريخ ، ولم يبحث لنا الباحثون عن سرِّه .. فلم نستشف من بين أنقاضه حقيقة هذا الشذوذ والانحراف .. فحُب الجنس غريزة طبيعية في البشر ، أودعها الله في الذكر والأنثى ، فهل هذا الانحراف عن الأنثى مرض نفسي ؟! أو مرض في الأجهزة الجنسية ؟! فأكبر الظن أن المعري أصيب بإحدهما .. إذ لا يأتي هذا الصدوف الجنسي المخالف للطبيعة البشرية ، إلا على ركيزة من ركائز العوامل النفسية ، أو على خلل في الأجهزة الجنسية .. فألبس نفسه ملاءة حيكت من بغض الأنثى ، فصاغ قولته في اعتذار تافه { أنه لم يتصل بالحياة الزوجية لأنه لا يريد أن يجني على أحد } وهذا رأي يسخر منه العقل ، وتضحك منه الأيام ، وهل والده جنى عليه لما كان سبباً في مجيئه في هذه الحياة ، ولو لم يأت لخسر الفكر شخصية فذة ، وعبقريّة من عباقرة الزمن تدور مع الزمن ، أم هي نعمة كبرى من الخالق على المعري ونكر لأبيه ؟.

ولا أريد أن أطيل مع المعري هذه المحاورة ، التي سجّلت فيها رأيي بصراحة ووضوح ، وقد يقول بعض الأدباء أو المفكرين : كيف صح لك أن تتجرأ في رأيك وتقسو على هذا العملاق الفيلسوف الشاعر الكبير ؟! ولكني أقول لا إرهاب في الفكر ، وكلمتي هذه أقصد منها تحقيق التاريخ ، وللقارئ حرية الرأي .

الشاعر / عمر أبو ريشة



عُمر أبو ريشة : علّم من أعلام الأدب الجديد .. أسهم في الحركة الشعرية المتطورة بأسلوب غنائي ، وديباجة مُترفة متسلسلة كأضواء القمر في أمواج النهر ، وشارك بشعره في أنراح العرب وأفراجها .

ونشأ أبو ريشة وولد عام ١٩١١م في مدينة عكا بفلسطين ، غير أن والده سجّله بين من ولدوا في { منبج } عام ١٩٠٨م ، وعمر أبو ريشة ينتمي إلى عشيرة بدوية ( الموالي ) وهي ثلاثة عشيرتي ( الطوقان والمهنا ) وشيوخ العشائر الثلاث يُدعون ( البوريشي ) ، وكانت بين جده والأتراك خصومة فأسروه ، وتعلّم أبو ريشة في الجامعة الأمريكية ببيروت ، ثم سافر إلى لندن لدراسة الأصبغة .. فبدأ نشاطه الفكري وحماسه العربية ، فردّ على مقال فيه افتراءً وتخرساً على العرب ، وأتصل عام ١٩٣٦م بإمام مسجد { ووكلي } بلندن ، وهو / عبد الغفار .. عشق للغة العربية وأسلم ، ولازم أبو ريشة مجلسه وتلمذ على يديه ، فأخذ من أستاذه هذا الحب في اللغة العربية ، وإن كان عربياً فبرزه في عشقه للغة العربية ، فأتقن عمر سبع لغات وهي ( الإنجليزية والفرنسية - الألمانية - البرتغالية - التركية - الأسبانية - الأردية ) فحاضر وكتب بأربع لغات منها ، ويقال عنه أنه لم يجد ما يُضارع اللغة العربية في جمالها ودقّها .

وتقلّد الشاعر مناصب دبلوماسية بدولة سورية ، وسفر لها في النمسا وتشيلي والهند .. ومثلها في الأمم المتحدة ، ويُعدّ أبو ريشة من أعلام القرن العشرين الذين حافظوا على الأسلوب الشعري ، وحاربوا السريالية والميعة والتخنث لأخر لحظة من حياته ، حتّى انطفأ نجمه وخبا ضوؤه عام ١٩٩٠م .

وترك أبو ريشة ثروة من الشعر يصدق عليها كلمة شعر { ديوانه  
من عمر أبو ريشة شعر ، وغيت في مآتم { ويُطالعك العنوان .. فيه اعتزاز  
وفخر يدل به ، ولم أعثر له على غير هذه المجموعتين ، ولا أعرف هل ترك  
كتب نثرية أو شعرية غير هاتين المجموعتين .  
وسنورد له قصيدة من ديوانه ( من عمر أبو ريشة شعر ) : -

قفي قدمي ! إن هذا المكان ،  
يغيب به المرء عن حسه  
رمالاً ، وأنقاض صرح هوت  
أعاليه تبحث عن أسه  
أقلبُ طرفي به ذاهلاً  
وأسأل يومي عن أمسه  
أكانت تسيل عليه الحياة ،  
وتغفو الجفون على أنسه  
وتشدو البلابل في سعده  
وتجري المقادير في نحسه  
أأستطق الصخر ، عن ناحتيه ،  
وأستنهض الميت من رمسه  
حوافر خيل الزمان المشتت  
تكاد تحدث عن بؤسه !  
فما يرضع الشوك من صدره  
ولا ينعب البوم في رأسه



وتلك العناكب مذعورة

تريد التفلّت من حبسه

لقد تعبت منه كفّ الدمار ،

وباتت تخاف أذى لمسّه

هنا ينفض الوهمُ أشباحه

وينتحر الموتُ في بأسه



وقفّة معي مع هذه اللوحة الفنيّة ، التي هي من لوحات الفن  
الشّعري ، فهي تصوّر ظللاً رومانياً فيه صورٌ وآياتٌ من العبر من الماضي  
للحاضر .

ولم يكن أبو ريشة من شريحة الشعراء الذين يتباكون على  
الطلول ، ويسكبون الدموع على أحجارٍ بالية صماء .. لا تسمع ولا تردُّ  
جواباً ، إنّما هي وقفّة تصويريّة تخالف أسلوب الشعراء الذين قلّدوا تقليداً  
أعمى من قبلهم ، في الوقوف والتباكي على تلك الأطلال .. وقفّة متفجّع  
وقيّدوا حرفهم في دائرة محيطيّة ضيقة ، لا تخرج في تصويرها ووصفها عن  
ظواهر الأحجار الصمّاء ، والأطلال البالية التي عفّ عليها الزّمنُ وأصبحت  
من الدواري ، ولم يُشر حرفهم إلى ما وراء الخطوط ، التي تكمن وتتمثّل فيها  
طيوف الأمس وحياتهم من رغدٍ ونعيم ، لو من بؤسٍ وشقاءٍ إلا على ندرة .

فأبو ريشة .. في هذه القصيدة : كان فنّاناً موفقاً يرسمُ ما وراء  
خطوط هذا الطلل ، من مجدٍ وفنٍّ معماريٍّ ، وحياةٍ زاخرةٍ تموجُ بالألوان من  
صور العبر التاريخيّة التي انطوت رسوماً في تلك الأحجار ، لتُشيرُ إلى  
بقايا من طيوف مجدٍ غُت كما يغفو جفنُ الحياة وراء اللامنظور ، وقد سبق لي

أَنْ كَتَبْتُ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِالذَّاتِ ، فِي مَوَازِنَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقْطُوعَةِ الشَّاعِرِ  
الْكَبِيرِ وَالْعَالَمِ الْفَذِ { الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ } فِي إِحْدَى كُتُبِي ( أَضْوَاءٌ مِنَ النِّقْدِ فِي  
الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ) وَلَاحِظْتُ عَلَى أَبِي رِيْشَةَ مَأْخِذًا ، وَتِلْكَ الْمَوَازِنَةُ .. هُوَ بَيْتٌ  
خَانَهُ فِيهِ التَّعْبِيرُ ، حَيْثُ كَانَ تَعْبِيرُهُ تَقْلِيدِيًّا مَوْرُوثًا ، لِأَنَّهُ أَضَافَ إِلَى الزَّمَانِ  
حَوَافِرًا : -

### حَوَافِرُ خَيْلِ الزَّمَانِ الْمَشْتِ

تَكَادُ تَحْدُثُ عَنْ بُؤْسِهِ !

كَيْفَ يَصِحُّ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَجْعَلَ لِلزَّمَانِ حَوَافِرًا ؟! وَالزَّمَانُ يَسِيرُ سِيرَ  
الْبَرْقِ .. أَوْ سُرْعَةَ الضَّوئِ ، وَلَوْ كَانَ سِيرُهُ بِحَافِرِ خَيْلٍ لَكَانَ سِيرُهُ بَطِيئًا ، فَهَذَا  
التَّعْبِيرُ وَهَذِهِ التَّرْكِيْبَةُ اللَّفْظِيَّةُ مِنْ تَرَاثِ الْمَاضِي ، يَجْرِي فِي شَرَايِينِهِ مَجْرَى  
الدَّمِ كَمَا أَشْرْنَا سَابِقًا ، وَلِمَاذَا لَمْ يُعَبَّرْ كَمَا عَبَّرَ الشَّاعِرُ لَامْرَتَيْنِ فِي وَصْفِهِ  
الزَّمَانِ فِي وَصْفَةٍ فَنِيَّةٍ .. وَتَعْبِيرٍ بَلِيغٍ : -

### يَا زَمَانًا يَمُرُّ كَالطَّيْرِ مَهْلًا

طَائِرٌ أَنْتَ وَيَكُ قَفَ طَيْرَانِكَ

فَالْقَصِيدَةُ فِي صَوْرِهَا وَتَرَكَيبِهَا ، كَانَ الشَّاعِرُ فِيهَا مُوَفِّقًا ، وَقَدْ  
خَصَّصْتُهَا بِدَرَسَةٍ فِي مَوَازِنَةٍ كَمَا أَشْرْتُ ، فَلَا أَحِبُّ أَنْ أُعِيدَ حَوْلَهَا النِّقَاشُ .

الشاعر / التجاني يوسف بشير



الشاعرُ / أحمدُ التجاني بن يوسف بن بشير بن الإمام جزري  
الكتيبي ، والكتيابُ بيتٌ مشهور من بيوتِ السودان .  
وُلدَ في مدينة أم درمان عام ١٩١٠م ، وأدخله أبوه الكتّاب ، ودفعَ به  
أبوه إلى خلوةِ عمه / محمد الكتيابي ، وحفظ القرآنَ وأدخل المعهد العلمي { بأم  
درمان } إلاَّ أنَّه فصل منه بعد جدالٍ أدبي بين طائفتين متحزبتين لأحمد شوقي  
وحافظ إبراهيم ، وكانَ هوَ من أنصارِ أحمد شوقي ، فألفوا عليه حكاياتٍ ممَّا  
أضطر مديرُ المعهد إلى فصله فكتب الشعرَ ، إلاَّ أنَّه ذبل كما تنبلُ الزهرةُ  
على غصنها الوريق في ميعه للربيع ، فانطفأ كما ينطفأ النجمُ في ربيعِ العمرِ  
في عام ١٩٣٧م ، وترك وراثته مجموعةً شعريَّةً أسماها ( إشراقة ، من  
العوامل التاريخية والمرآة الزمنية ) ، وهوَ لم يترك غير هذه المجموعة ، وهذه  
المجموعة تُعدُّ من طبقة الشعراء المبتدئين ، وليس فيها أسلوبٌ شعريٌّ ، أو  
نشوةٌ روحيةٌ تهزُّ الأرواحَ بفعلِ سحريٍّ ، وتكهربُ القلوبَ بتياراتِها المعنويةِ  
إنَّما هيَ إشاراتٌ ، يحاولُ شاعرُها أنْ يُخلِّفها بكلماتٍ رمزيةٍ ، لكنَّه لا يرقى إلى  
ذلك الجوِّ ، فيسِفُ عن ذلك الأفق ، ويهبطُ بأسلوبه المبتذل .  
ونورِدُ له قصيدةٌ من خير ما كتبه في رأيي : -



أهكذا - عوفيت - يا فاتر

يملاً دنياءك الهوى الأسر ؟

يا ثائر العينين من شاخص  
مفزع مطلعته الساحر  
أواجف أنت ؛ أمستعرض  
حبًا طواه الأبد الجائر ؟  
بالكون جفناك وما أفلتا  
من حرق سمح بها الناظر  
والكوثر العذب مدى أدمع  
ولهى نماها اللؤلؤ الماطر  
كل جلال الحسن أو سحره  
في دمة يخطفها الخاطر  
أو لفنة عجلي وفي وثبة  
يفتأ مجنونًا بها الشاعر  
نعيدك الله فما هذه الر  
وعة واللوعة يا ما كر  
نشدتك القربى وما ذلك الـ  
هابط والصاعد والحادر ؟  
ماذا بجنبك أفض .. إنما  
تضممر ما أعيت به (( عامر ))  
أهكذا أنت حريب الهوى  
ملء يديك الوتر الخائر  
يثقلك الحب فتقضي أسى  
وأنت - فديت - أمرؤ قاصر

ليست هذه القصيدة من الأسلوب الشعري بمكان ، إنما هي تركيبات مبتذلة ، ويصدق عليها كلمة شاعرها في أحد تركيباته التعبيرية ، كتعبيره بالوتر الخائر .. فأنها خائرة ليس فيها دفق حيوي ، ولا صوراً فكرية ، وهناك بعض المؤاخذات طرأت خلافاً في بعض أوزان الأبيات كهذا البيت : -

بالكون جفناك وما أفلتا

من حرق سمح بها الناظر

فإن عجزه عاجز عن صدره ، وقد فُصمت عظمته .. فالعجز غير مستقيم .

والكوثر العذب مدى أدمع

ولهى نماها اللؤلؤ الماطر

تأمل معي هذه التركيبات في هذا البيت ، كمدى أدمع .. وكتسمية اللؤلؤ الماطر ، إنه خيال صحراوي جاف ، وليس فيه جو شعري ، فهو يشبه الكلمات المصففة المنثورة ، التي لا ترمز إشاراتٍ إلى معنى عميقاً .

نعذك الله فما هذه الر

وعة واللوعة يا ماكر

وهذا البيت في تراكيبه يشبه لغة ابن الشارع .. حينما ينادي على بضاعته ، وهو مكسور فُصلت عظمته .

والشاعرُ في ديوانهِ إشراقةٌ ، لم يُحلق في تلكِ الجوِّ بجناحين ، يُسابق  
الطيور ، ونكتفي ببعض هذه الملاحظات والنقيدات ، التي هي خفيفة  
الظل ، ونعتذرُ عن الشاعر عن الخللِ الوزني .. ربما يكونُ من الطباعة .



الشاعر / أبو القاسم الشابي



أبو القاسم بن محمد ، أبوه محمد بن بلقاسم ، ولد به في قرية الشلبية عام ١٩٠٩م من ضواحي تونس ، ووالده كان أحد القضاة في سلك القضاء التونسي الرسمي ، والشابي برغم إنطواء ظلّ شبابه ، وهو في ميعة الفجر لم يتجاوز السادسة والعشرين .. كان له دورٌ خطيرٌ في الفكر العربي ، حيث قال شعراً يتفجّرُ براكين من الألم واللوعة - صادق المعاناة - لما ألمَّ به من أمراضٍ لم تُعَظْ به عن نشاطه الفكري ، بل مدته بثورةٍ عارمةٍ تتأججُ كتأججِ الحياة ، فكان ينفخُ الدنيا بقصائده المأساوية ، والتبرمية .. فيها صورٌ من ألوان التشاؤم ألواناً وألواناً ، وتُصل بمدرسة الفكر بمدرسة أبو اللو بالقاهرة ، وعكف على أدب المهجر الجديد مضافاً إلى التراث القديم ، ونشرَ في الصحف العربية كالصحف المصرية واللبنانية والتونسية ، فشعره برغم الصور التشاؤمية والأطياف الليائسة ، والآلام المتدفقة من الأحزان .. كان غناءً عذب اللحن ، رفيق الجرس .. فيه موسيقى وتصويرٌ من صور الرومانسية الحديثة ، ويسيلُ رقةً كالنسائم ، ويعبقُ أعطاراً كالورود ، كما كتب أبو القاسم الشابي كتاباً غير مبمّوعته الشعرية أسماه ( الخيال الشعري عند العرب ) ولمْ أطلع عليه ، وقدّ جمع الشابي من شعره مجموعة قبل موته أسماها ( أغاني الحياة ) وكانت هذه التسمية حقاً ، فهي أغنية صوتٍ يُزجرُ مع الحياة ، ويعصفُ مع العواصف .

وقد انطفأ ، وخبا هذا الكوكب ، وأخرس هذا الصداحُ في وكره عام ١٩٣٤م ، وسنوردُ له أنموذجاً من ديوانه ( أغاني الحياة ) المطبوع بدار الفكر العربي ببירות - لبنان - الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م - :

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا  
سعيدًا بوحديتي وانفرادي  
أصرف العمر في الجبال ، وفي الغابات  
بين الصنوبر الميِّادِ  
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف  
نفسي عن استماع فؤادي  
أرقبُ الموتَ ، والحياةَ ، وأصغِي  
لحديث الآزال والآباد  
وأعْنِي مع البلبَل في الغاب ،  
وأصغِي إلي خريِر الوادي  
وأناجي النجومَ والفجرَ ، والأطيَّارَ  
والنهرَ ، والضياءَ الهادي  
عيشةً للجمال ، والفن ، أبعيها  
بعيدًا عن أمَّتي وبلادي  
لا أعْنِي نفسي بأخْزانِ شعبي  
فهو حيّ ، يعيش عَيْشَ الجمادِ !  
ومحسبي من الأسى ما بنفسي  
من طريفٍ مُسْتَحْدَثٍ ، وتِلاد  
وبعيدًا عن المدينة ، والناس ،  
بعيدًا عن لغو تلك النوادي  
فهو من معدن السخافة والإفك  
ومن ذلك الهُراء العادي

أَيْنَ هُوَ مِنْ خَرِيرِ سَاقِيَةِ الْوَادِي  
 وَخَفَقِ الصَّدَى ، وَشَدُو الشَّادِي  
 وَحَفِيفِ الْغُصُونِ ، نَمَّقَهَا الطَّلُ  
 وَهَمْسِ النَّسِيمِ لِلْأُورَادِ ؟  
 هَذِهِ عَيْشَةٌ تَقْدِّسُهَا نَفْسِي  
 وَأَدْعُو لِمَجْدِهَا ، وَأُنَادِي



وَقَفَّةٌ تَأْمَلِيَّةٌ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْمَأْسَاوِيَّةِ ، الَّتِي  
 تَتَّبَعْتُ مِنْ فَوَادٍ دَامَ يَنْزُ جُرُوحًا ، فَهُوَ فِي نَجْوَاهُ يُنَاجِي رُوحَ الطَّبِيعَةِ ، وَيَسْتَأْنِسُ  
 بِالْوَحْدَةِ وَالْعِزْلَةِ ، وَيُغْنِي مَعَ الْعَصَافِيرِ عَلَى الدُّوْحِ ، وَيُسَامِرُ النُّجُومَ ، وَيَهْتَفُ  
 بِرُوحِهِ الشَّارِدَةِ فِي ضُبَابِ الْأَحْزَانِ وَالشَّجُونِ ، قَارَأَ مِنْ مَآسِي وَطَنِهِ .. لِأَنَّهُ  
 يَرَاهُ مَيِّتًا ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا جَامِدَ الْحَسَنِ .. لَا يَشْعُرُ .. لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 الْجَمَادِ ، وَهَلِ الْجَمَادُ يَتَحَرَّكُ ؟!

كَمَا نَأْخُذُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الشَّابِي فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كَلِمَةً ، أَوْ  
 بِالْأَخْصِ تَرْكِيبَةً لَمْ تَخْلُقْ جَوْ شَاعِرِيَا : -

عَيْشَةٌ لِلْجَمَالِ ، وَالْفَنِّ ، أَبْغِيهَا  
 بَعِيدًا عَنِ أُمَّتِي وَبِلَادِي

إِنَّ كَلِمَةَ { أَبْغِي } لَمْ تَضْفِ عَلَى الصُّورَةِ لِمَسَاتِ فَنِيَّةٍ ، وَلَا رَسْمَةً  
 تُجَسِّدُ الْمَشْهَدَ فِي صُورَةٍ شَعْرِيَّةٍ وَجْوَ سَحْرِي .

والقصيدة هيَ من شعر أبي القاسم الشابي الرُّوماني ، الذي يدورُ  
شعره في فلكٍ واحدٍ .. الغُربة ، العُزلة ، الطَّبيعة ، الوحدة ، الفجر ، اللَّيل .

... هَذَا مَتْنٌ تَلْخِصِيّ لِمَا يَدُورُ فِي مَحِيطِ دِيْوَانِ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّابِيِّ .

الشاعر / عبد الله البردوني





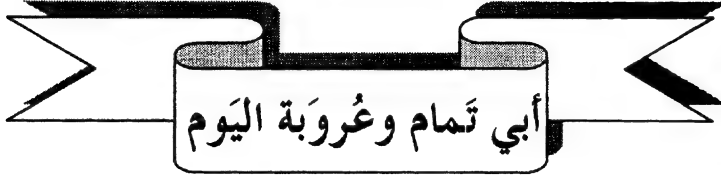
الشاعر / عبد الله البردوني اليمني .. وُلِدَ فِي زَمَار عام ١٩٢٦م ، وتلقى تعليمه في زمار ، ثم في صنعاء .. حيث تخرّج من دار العلوم عام ١٩٥٢م ، وعيّن مدرساً فيها للأدب العربي ، وهو كفيفُ البصرِ نكبيّ الفؤاد ، غير أنّه عاش على صعيدِ بلادٍ لا تحفلُ بأدبائها ومفكرها ، كما تحفلُ شقيقاتها { القاهرة ، بغداد ، دمشق ، بيروت ، المملكة العربية السعودية } في القرن العشرين بشعراءٍ لهم شهرتهم ودويهم في المحافل الأدبية ، وللصحافة العربية .

ولكن الشاعر / البردوني .. برغم ما لاقى من إهمالٍ من قومه ، لا يرتفعُ لمستواه الفكري ، برغم ذا وذلك ظهر على السّاحة الأدبية كعلمٍ من أعلام الفكر ، فأبرز اليمن بشعره وجعلها في صفّ الشّقيقات ، فلا عجب : فاليمنُ مهدُ العروبة والعربِ وهم من قلبِ أبناء الضّلال ، فالبردوني أسهم في هذه الحركة الفكرية الجديدة ، فألفَ كتاباً ( رحلة في الشّعرِ اليمني قديمه وحديثه ) طبع لأول مرة عام ١٩٧٢م ، وهو خلاصةُ عمرٍ ودراسةُ عشرين عاماً في الشّعر اليمني - قديمه وحديثه - مع نظرة عميقة للحركة الوطنية من خلال الشّعر ، وله كتابٌ ( قضايا وطنية ) طبع عام ١٩٧٧م ( واليمنُ الجمهوري ) .

مجموعاته الشّعريّة : { من أرض بلقيس - في طريق الفجر - مدينة الغد - لعيني أم بلقيس - السفر إلى الأيام الخضر - وجوه دخانية في مرايا الليل - زمان بلا نوعية - ترجمة رملية لأعراس الغبار } .

وقد نعاه الأبناء والكتّاب اليمنيون ، حيث وافقه للمنيّة فجأة بالسكتة القلبية ، صباح يوم الاثنين ٣٠ / ٨ / ١٩٩٩م .

كما نُورِدُ له أنموذجًا من شعره ، وهي القصيدة التي ألَّفَها شاعرُها  
في أحد المؤتمرات الأدبية ، ونشرتها مجلة الآداب البيروتية ، وكان المحررُ لها  
سهيلُ إدريس ، فهي قصيدةٌ حازت رضا الأدباء والمفكرين : -



ما أَصْدَقَ السَّيْفُ ! إِنْ لَمْ يَنْضَهُ الكَذِبُ  
وَأَكْذَبَ السَّيْفُ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ الغَضَبُ  
يَبِضُّ الصَّفَائِحَ أَهْدَى حِينَ تَحْمِلُهَا  
أَيُّدٍ إِذَا غَلَبَتْ يَغْلُو بِهَا الغَلَبُ  
وَأَقْبَحَ النَّصْرَ ... نَصَرَ الأَقْوِيَاءِ بِلَا  
فَهْمٍ .. سِوَى فَهْمٍ كَمْ بَاغُوا .. وَكَمْ كَسَبُوا  
أَذْهَى مِنَ الجَهْلِ عِلْمٌ يَطْمِئِنُّ إِلَى  
أَلْصَافِ نَاسٍ طَعَفُوا بِالْعِلْمِ وَأَغْتَصَبُوا  
قَالُوا : هُمُ البَشَرُ الأَرْقَى وَمَا أَكَلُوا  
شَيْئًا .. كَمَا أَكَلُوا الإنسانَ أَوْ شَرِبُوا  
مَاذَا جَرَى .. يَا أَبَا تَمَّامٍ تَسْأَلُنِي  
عَفْوًا سَأْرُوِي .. وَلَا تَسْأَلُ .. وَمَا السَّبَبُ  
يَذْمَى السُّؤَالَ حَيَاءً حِينَ نَسَأَلُهُ  
كَيْفَ أَحْتَفَتُ بِالْعِدَى حَيْفًا أَوْ التَّقَبُّ  
مَنْ ذَا يُلَبِّي ؟ أَمَّا إِصْرَارُ مُعْتَصِمٍ  
كَلَّا وَأَخْزَى مِنَ الأَفْشِينَ مَا ضَلُّوا

الْيَوْمَ عَادَتْ غُلُوجُ الرُّومِ فَاتِحَةً  
 وَمَوْطِنُ الْعَرَبِ الْمَسْلُوبِ وَالسَّلْبِ  
 مَاذَا فَعَلْنَا ؟ غَضِبْنَا كَالرَّجَالِ وَلَمْ  
 نَصُدِّقْ .. وَقَدْ صَدَقَ التَّنْجِيمُ وَالْكَتُبُ  
 مَاذَا تَرَى يَا أَبَا تَمَّامٍ هَلْ كَذَبْتَ  
 أَحْسَابُنَا ؟ أَوْ تَنَاسَى عِرْقَهُ الدَّهَبُ ؟  
 غُرُوبَةُ الْيَوْمِ أُخْرَى لَا يَنْتُمُ عَلَى  
 وَجُودِهَا أَسْمٌ وَلَا لَوْنٌ .. وَلَا لَقَبُ  
 تَسْعُونَ أَلْفًا لِعُمُورِيَّةٍ اتَّقِدُوا  
 وَلِلْمُنَجِّمِ قَالُوا : إِنَّ الشُّهُبَ  
 قِيلَ : انْتَظَرُوا قِطَافَ الْكَرَمِ مَا انْتَظَرُوا  
 نُضِجَ الْعَنَاقِيدُ ... لَكِنْ قَبْلَهَا التَّهَبُّوا  
 وَالْيَوْمَ تَسْعُونَ مِائُونَ وَمَا بَلَغُوا  
 نُضِجًا ... وَقَدْ غَصِرَ الزَّيْثُونُ وَالْعِنَبُ  
 تَنَسَّى الرُّؤُوسُ الْعَوَالِي نَارَ نَخْوَتِهَا  
 إِذَا امْتَطَاهَا إِلَى أَسْيَادِهِ الدَّنَبُ  
 حَبِيبُ وَأَفَيْتُ مِنْ صَنْعَاءَ يَحْمِلُنِي  
 نَسْرٌ وَخَلْفَ ضُلُوعِي يَلْهَثُ الْعَرَبُ  
 مَاذَا أَحْدَثَ عَنْ صَنْعَاءَ يَا أَبَتِي ؟  
 مَلِيحَةٌ عَاشِقَاهَا : السَّلُّ وَالْجَرَبُ  
 مَاتَتْ بِصُنْدُوقٍ وَضَّاحٍ بِلَا تَمَنِ  
 وَلَمْ يَمُتْ فِي حَشَاهَا الْعِشْقُ وَالطَّرَبُ

كَانَتْ تُرَاقِبُ صُبْحَ الْبَغْتِ .. فَانْبَعَثَتْ  
 فِي الْحُلُمِ .. ثُمَّ ارْتَمَتْ تَغْفُو وَتَرْتَقِبُ  
 لَكِنَّهَا رَغَمَ بُخْلِ الْغَيْثِ مَا بَرِحَتْ  
 حُبْلَى وَفِي بَطْنِهَا قَحْطَانُ أَوْ كَرَبُ  
 وَفِي أَمْسٍ مُقْلَتِيهَا يَغْتَلِي يَمَنٌ  
 ثَانٍ كَحُلُمِ الصَّبَا .. يَنْأَى وَيَقْتَرِبُ  
 حَبِيبُ تَسْأَلُ عَنْ حَالِي وَكَيْفَ أَنَا  
 مُبَابَةٌ فِي شِفَاهِ الرِّيحِ تَنْتَحِبُ  
 كَانَتْ بِلَادُكَ رَحْلاً ظَهَرَ نَاجِيَةٌ  
 أَمَا بِلَادِي فَلَا ظَهَرَ وَلَا غَبُ  
 أَرَعَيْتَ كُلَّ جَدِيدٍ لَحْمَ رَاحِلَةٍ  
 كَانَتْ رَعْتُهُ وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْسَكِبُ  
 وَرُحْتُ مِنْ سَفَرٍ مُضْنٍ إِلَى سَفَرٍ  
 أَضْنَى .. لِأَنَّ طَرِيقَ الرَّاحَةِ التَّعَبُ  
 لَكِنْ أَنَا رَاحِلٌ فِي غَيْرِ مَا سَفَرٍ  
 رَحْلِي دَمِي .. وَطَرِيقِي الْجَمْرُ وَالْحَطَبُ  
 إِذَا امْتَطَيْتَ رَكَاباً لِلنُّوَى فَأَنَا  
 فِي دَاخِلِي .. أَمْتَطِي نَارِي وَأَغْتَرِبُ  
 قَبْرِي وَمَامَاهُ مِلَادِي عَلَى كَتِفِي  
 وَخَوْلِي الْعَدَمُ الْمَنْفُوخُ وَالصُّخْبُ  
 حَبِيبُ هَذَا صَدَاكَ الْيَوْمَ أَنْشِدُهُ  
 لَكِنْ لِمَاذَا تَرَى وَجْهِي وَتَكْتَسِبُ ؟

مَاذَا ؟ أتعجبُ مِنْ شَيْءٍ عَلَى صِغَرِي ؟  
 إِنِّي وَلِدْتُ عَجُوزًا .. كَيْفَ تَعْتَجِبُ ؟  
 وَالْيَوْمَ أَذْوِي وَطَيْشُ الْفَنِّ يَغْرِفُنِي  
 والأربعونَ عَلَى خَدَّيْ ثَلَاثَ هَبْ  
 كَذَا إِذَا ابْتِغَى إِنْسَاغُ الْحَيَاةِ عَلَى  
 وَجْهِ الْأَدِيبِ أَضَاءَ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ  
 وَأَنْتَ مَنْ شِئْتَ قَبْلَ الْأَرْبَعِينَ عَلَى  
 نَارِ الْحَمَاسَةِ تَجْلُوهَا وَتَنْتَخِبُ  
 وَتَجِدِي كُلَّ لَصٍّ مُتَرَفٍّ هَبَّةً  
 وَأَنْتَ تُعْطِيهِ شِغْرًا فَوْقَ مَا يَهْبُ  
 شَرُفْتَ غَرُبْتَ مِنْ وَالٍ إِلَى مَلِكٍ  
 يَحْتُكُ الْفَقْرُ .. أَوْ يَقَادُكَ الطَّلَبُ  
 طَوَّفْتَ حَتَّى وَصَلْتَ الْمَوْصِلَ انْطَفَأَتْ  
 فِيكَ الْأَمَانِي وَلَمْ يَشْبَعْ لَهَا أَرْبُ  
 لَكِنَّ مَوْتَ الْمَجِيدِ الْقَدْ يَبْدَأُ  
 وَلَادَةً مِنْ صِبَاهَا تَرْضَعُ الْحَقَّابُ  
 حَيْبُ مَا زَالَ فِي عَيْنِكَ أَمِثْلَةٌ  
 تَبْلُو .. وَتُنْسَى حَكَايَاهَا فَتَنْتَقِبُ  
 وَمَا تَزَالُ بِخَلْقِي أَلْفُ مُبْكِيَةٍ  
 مِنْ رَهْبَةِ الْبُوحِ تَسْتَحْيِي وَتَضْطَرُّ  
 يَكْفِيكَ أَنْ عِدَانَا أَهْلَدُوا دَمَنَا  
 وَنَحْنُ مِنْ دَمِنَا لَحْمُو وَنَحْتَلِبُ

سَحَائِبُ الغزو تَشُونِنَا وَتَحْجُبُنَا  
يَوْمًا سَتَجِبُ مِنْ إِرْعَادِنَا السُّحُبُ ؟  
أَلَا تَرَى يَا أَبَا تَمَّامٍ بَارَقْنَا  
إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تُحْتَجَبُ



هذه قصيدة كان لها في دنيا الأدب العربي صدى ، واحتفلت بها  
الصحافة العربية ، ويجد القارئ بين كلماتها صوراً من اللفظة والوطنية  
والحماس تنساب في أحرفها ، وتُصور لفظ الشاعر تنوب حشرات للقضية  
الفلسطينية ، وإلى وطنه اليمن .. حيث يُعبّر بهذا التعبير : -

حَبِيبُ وَافَيْتُ مِنْ صَنْعَاءَ يَحْمِلُنِي  
نَسْرٌ وَخَلْفَ ضُلُوعِي يَلْهَثُ الْعَرَبُ  
مَاذَا أُحْدِثُ عَنْ صَنْعَاءَ يَا أَبَتِي ؟  
مَلِيحَةٌ عَاشِقَاهَا : السُّلُ وَالْجَرَبُ  
مَاتَتْ بِصُنْدُوقٍ وَضَّاحٍ بِلَا تَمَنٍ  
وَلَمْ يَمُتْ فِي حَشَاهَا الْعِشْقُ وَالطَّرَبُ

إنَّ هذا المقطع صورة متحركة ، أو شريط سينمائي .. ينقلك إلى  
رؤية واضحة في صورة الشَّعر الذي يمس واقع الحياة ، في تجسيد للألم  
والحزن الفئاك ، وينتقل الشاعر مفاجأة .. كنقلة من النقالات الزمنية من ربيع  
شبابه إلى خريف شيخوخته ، وهو لا يزال يعيش على عتبة الربيع للمآسي التي  
تسلسلت صوراً ، في مناظر شريطه .. فكأنه في الشيخوخة فيصفها : -

مَاذَا ؟ أتعجبُ مِنْ شَيْبِي عَلَى صِغَرِي ؟  
إِنِّي وَلِدْتُ عَجُوزًا كَيْفَ تَعْتَجِبُ ؟  
وَالْيَوْمَ أَذْوِي وَطَيْشُ الْفَنِّ يَغْرِقُنِي  
وَالْأَرْبَعُونَ عَلَى خَدَّيْ تَلْتَهَبُ  
كَذَا إِذَا ابْيَضَ إِنْبَاغُ الْحَيَاةِ عَلَى  
وَجْهِ الْأَدِيبِ أَضَاءَ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ

وهذه اللقطة من اللقطات المَرَّة ، الَّتِي تصوِّرُ حياة الأديب العربي  
الَّتِي يَعِيشُهَا وَيُعَانِي مِنْ إِهْمَالِهِ ، فِيلْعَقُ الْأُمُرَيْنِ { الْفَقْرَ وَالْإِهْمَالَ } ، وَهُوَ  
فِي اكْتِنَازِ شَبَابِ فِكْرِهِ ، وَلَكِنَّهُ مُحَطَّمُ الْأَرْكَانِ .. مهتم العمر ، فالبردوني يرى  
نفسه منذُ ولادته على صعيد الدنيا - ولد شيخًا - فكيف به والأربعون تلتهبُ  
على جبينه وخديه ، ولكن الله عَوَّضَهُ عَنْ هَذَا الشَّبَابِ الْفِينَانِ ، الذَّأْوِي بِشِعَاعِ  
الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ ، الَّذِينَ لَا تَتَطَفَّئُ شِعْلَتُهُمَا .. وَيُظَلِّلْنَ يَضِيئَانِ الدُّرُوبَ لِلْأَجْيَالِ .





الشاعر / سميح القاسم



وُلدَ الشَّاعِرُ بِمَدِينَةِ الزَّرْقَاءِ بِالْأُرْدُن - عام ١٩٣٩م - مِنْ أُسْرَةٍ قُرُوبِيَّةٍ ، وَأُرْتَحِلَ مَعَ أُسْرَتِهِ إِلَى بَلَدَةِ الرَّامَةِ بِفِلَسْطِين ، وَأَكْمَلَ دِرَاسَتَهُ الْإِبْتِدَائِيَّةَ بِمَدَارِسِ الرَّامَةِ ، وَالتَّحَقَّقَ بَعْدَ مَدْرَسَةِ الرَّامَةِ بِالثَّانَوِيَّةِ النَّاصِرَةِ ، وَعَمَلَ فِي سَلَكِ التَّعْلِيمِ .. إِلَّا أَنَّ شَعْرَهُ النَّاثِرَ كَانَ مَدْعَاةً لِتَسْرِيحِهِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَأَسْهَمَ فِي صَحِيفَتِي ( الْغَدُ وَالْإِتِّحَادُ ) ثُمَّ عُيِّنَ رَئِيسًا لِتَحْرِيرِ مَجَلَّةٍ ( هَذَا الْعَامُ ) عَامَ ١٩٦٦م ، وَعَمَلَ رَئِيسًا لِإِتِّحَادِ الْكُتَّابِ الْعَرَبِ ، وَالْإِتِّحَادِ الْعَامِ لِلْكَتَّابِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ ، كَمَا أَسْهَمَ فِي تَأْسِيسِ مَنَظْمَةِ الْأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ .

وَتَارِيخُهُ سُلْسُلَةٌ نَضَالٍ مِنْ نَضَالِ الْمَوَاجَهَةِ ، فَقَدْ عَذِبَ وَسُجِنَ فَزَادَهُ تَقَاوُلًا ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ بَعْدَ اللَّيْلِ نَهَارًا ، وَأَنَّ نَكْبَةَ يَوْمِ الْخَامِسِ مِنْ حَزِيرَانٍ يَرَاهَا وَلَادَةٌ جَدِيدَةً لِلْعَرَبِ ، فَهُوَ مُتَقَائِلٌ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ .

وَقَدْ جُمِعَتْ أَشْعَارُهُ عَامَ ١٩٧٣م فِي دِيْوَانٍ ( سَمِيحُ الْقَاسِمِ ) ثُمَّ كُتِبَ رِوَايَةً ( إِلَى الْجَحِيمِ أَيُّهَا اللَّيْلُ ) وَهِيَ أَشْبَهُ بِالتَّرْجُمَةِ الذَّائِيَّةِ .  
وَأَنَا لَمْ أَقِفْ عَلَى الْمَجْمُوعَةِ الشَّعْرِيَّةِ .. وَلَا الرِّوَايَةِ ، وَإِنَّمَا أُسْجِلُ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ كِتَابِ { شَاعِرٌ وَقَصِيدَةٌ } لِلْأُسْتَاذِ / مُصْطَفَى طَلَّاسَ ، وَيُضَيَّفُ الْأُسْتَاذُ ( لَا يَزَالُ يَقَاوِمُ بِرُوحِ الشَّاعِرِ النَّاثِرِ ) وَفِي شَعْرِهِ كَمَا يُقَالُ صَرَخَاتٌ جَرِيئَةٌ ، تَتَعَيَّ مِنْ خَانَ الْوَطَنِ ، كَمَا رَحَّبَ بِالْإِنْتِفَاضِ الْفِلَسْطِينِيِّ وَكَتَبَ فِيهَا قَصِيدَةً ، كَمَا كَتَبَ ( الْقَصِيدَةُ الشَّامِيَّةُ ) الَّتِي تُجَسِّدُ حُبَّهُ لِلْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ ، وَتَقَانِيهِ لِلْقَضِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ .. وَهِيَ تَرَبُّو عَلَى اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ بَيْتًا ، نَخْتَارُ مِنْهَا قِسْمًا كَنُموذَجٍ مِثَالِي : -

## القصيدة الشامية

ظَمِيءٌ وَأَنْتِ الْكَأْسُ وَالصَّهْبَاءُ  
يَا شَامُ ، فَلْيَتَحَلَّقِ الثَّدْمَاءُ  
حَكَمَ الْقَضَاءُ بِغَرَبَةٍ مَغْبُونَةٍ  
فَقَضَى الْكَفَاحُ بِأَنْ يَتِمَّ لِقَاءُ  
وَأَبَيْتُ . لَا مَتَسَلَّلًا مُتَخَفِّيًّا  
لَكِنْ بِمَا يَتَخَيَّلُ الْخِيَلَاءُ  
شَفَقَتِي مِنْصَةً أُمِّي ، وَهَدِيرُهَا  
نُورٌ تَرَاهُ الْأَعْيُنُ الْعَمِيَاءُ  
لَيْتَكَ ! هَا أَنْذَا أَعَانَقُ إِخْوَتِي  
ظَمُونًا يُسَاقِيهِ الْعِنَاقُ ظِمَاءُ  
أَوْ مِنْ مَلَامٍ لَوْ عَصَبْنَا جُرْحَنَا  
وَحَنَنْتُ عَلَيْنَا لَيْلَةً قَمَرَاءُ ؟  
لِي فِيكَ مِنْ فَجْرِ الْخَلِيقَةِ مَجْلِسٌ  
تَمَلَّتْ بِطَيْبِ أَرْجِيهِ الْأَرْجَاءُ  
وَبَغِيرِ فَوْحِ الْعِزِّ فِي جَنَابَتِهِ  
ضَنَّ اللِّسَانُ بِأَنَّكَ الْفِيحَاءُ  
وَانْفَضَّ مَجْلِسُنَا بِقُدْرَةِ قَادِرٍ  
وَعَلَا عَلَى أَقْدَارِنَا الضُّعْفَاءُ  
بِضِّ صَنَائِعُنَا .. وَسَاءَ صَنِيعُهُمْ  
سَوْدٌ وَقَائِعُنَا وَبِي سَوْدَاءُ

خَضِرُ مَرَابِعِنَا .. وَأُفْقِي قَاحِلٌ  
وَهُمُ الْمَوَاضِي .. مِنْ دَمِي حَمْرَاءُ  
وَعَدَوْتُ فِي وَطَنِي كَأَن تَرَابَهُ  
صَخْرٌ .. وَمَاءَ عَيُونِهِ الْخُنْسَاءُ  
وَأَتَيْتُ بِي وَجَعَ أَبْنُوكَ بَعْضَهُ  
فَعَسَى تُخَفِّفُ وَطْأَهُ صُعْدَاءُ ..  
مَنْ جَمَعَ الْأَضْدَادَ حَوْلَ تُخُومِنَا  
فَبَغَى الْبُغَاةَ وَعَرَبَدَ الدُّخْلَاءُ ؟  
وَبَأَيِّ قِسْطَاسٍ يُرَاجِحُ عَدْلَنَا  
وَحَشُّ الْبَحَارِ ، وَحَيَّةُ رَقَطَاءُ ؟  
قَدَرْتُ عَلَى الْوَهْنِ الْمَكْبَلِ قُدْرَةً  
وَعَنَّا لَتَجَّارِ الدِّمِّ الْفُقَرَاءُ  
وَسَلَّمْتُ لِي يَا شَامُ دُونَ سَلَامَتِي  
وَمَكْشَتٍ فَلْتَبْدِلِ الْأَنْبَاءُ  
غَبَرْتُ أَمِيَّةً فِي زَمَانٍ غَابِرٍ  
لَا بَأْسَ إِنَّا الصَّفْوَةُ الْجُلَسَاءُ  
صَبَّيْ حُمَيَّا الْمَجْدِ فِي لَهَوَاتِنَا  
فَلَكُمْ عَطِشْنَا ، وَالْخَنَا سَقَاءُ  
كَرُمْتَ أَصُولُ أَنْتِ بَعْضُ فُرُوعِهَا  
فَلْتَنْضِجِ الْأَثْمَارُ كَيْفَ تَشَاءُ

وقفةً أيُّها القارئُ أمامَ هذه القصيدة ، التي صاغها شاعرُها من روحِ  
وطنيَّةٍ تنبضُ بالحياة ، وتتطايرُ شرراً من اللَّهفةِ والغيرةِ والحماسِ إلى الوطنِ

العربي ، وَلَمْ تمنعه غربته المغبونة كما عبّر شاعرُها ، من أن يقف صارخاً في أُنْ العُرب بهذه الصَّرخة المدوية ، الَّتِي ترتفعُ أصدَاؤها .. فتملأ الفضاء .  
وهذا اللون من الشَّعرِ يؤيِّدُ رؤيتنا لما ذهبنا إليه ، من أنَّ الشَّعرَ عنصرٌ له تأثيرٌ في الحياة الاجتماعية والفكرية في سيرها السياسي .. والوضع البيني ، فمهما تطوَّرت الحياة في تطوُّرها المُجدُّ السريع .. لا يزال الشَّعرُ يتخلَّلُ نراتها ، ويجري في شرايينها ، ويمدُّها بألوانٍ من دفعاتِ العزمِ إلى ميدانِ هذه الدُّنيا الصَّاخبة .. الهائجة المائجة .

ونأخذُ على الشَّاعر مأخذاً في هذه القصيدة ، كبعض التراكيب اللفظية الَّتِي لا ترتفعُ إلى الجوّ الشَّعري ، والقصيدة تفقدُ في أسلوبها الأسلوب الشَّعري ، وجوهر البلاغة ، والهزّة الكهربائيّة .. الَّتِي تُشعِّرك بالنشوة ، برغم ما فيها من تجسيدِ فكرٍ وطني ، وصرخةٍ عارمة .

الشاعر / محمد خليفة العيد





الشاعر / محمد العيد بن محمد علي بن خليفة .. من محاميد سوف  
المعروفين بالمناصير ، من أولاد سوف .

ولد في عين البيضاء عام ١٩٠٤م ، وأدخل مدرستها الحرة .. فدرس  
القرآن الكريم والدروس الابتدائية ، وعام ١٩٢١م غادر بسكرة إلى تونس  
للدراسة في جامع الزيتونة ، وفي عام ١٩٢٣م عاد إلى بسكرة وشارك في  
النشر ببعض الصحف ( كالإصلاح - وصدى الصحراء - والمنتقد  
والشهاب ) مضافاً إلى عمله الصحفي يقوم بالتعليم .

وعام ١٩٢٧م دُعي إلى عاصمة الجزائر ، ليعلم بمدرسة  
الشبيبة الإسلامية الحرة ، وترقى فأصبح مديراً للمدرسة ، وأسهم في  
تأسيس جمعية المسلمين في الجزائر ، وأستغل هذه الفترة لينشر أعماله  
الشعرية .

وفي عام ١٩٤٠م غادر العاصمة { الجزائر } إلى بسكرة ، ومنها  
إلى باتنة ، ليقوم بالإشراف على مدرسة التربية والتعليم حتى عام  
١٩٤٧م ، وبعدها عُيّن لإدارة مدرسة العرفان عام ١٩٥٤م .  
وعند اندلاع ثورة الجزائر ضد الفرنسيين ، أغلقت المدرسة وزُج  
به في السجن ، ثم أُفرج عنه .. وفُرضت عليه الإقامة الجبرية في بسكرة  
مسقط رأسه .

وقد توفاه الله عام ١٩٧٩م عن عمر يناهز الخامسة  
والسبعين ، قضاها في خدمة الجزائر والعروبة والإسلام .

كما نُورِد له أنموذجاً من قصيدته ، التي هي بعنوان ( استرح  
شعرك ) التي تربو على واحد وستين بيتاً : -

## أستوح شعرك

استوح شعرك من حنايا الأضلع  
 واستجل في القسمات حسن المطلع  
 وصنع التحيّة نضرة رقافة  
 كالورد ، وأرفغها لهذا المجمع  
 قل للجزائر وهي أم مرضع  
 مثل اللبوءة أي أم مرضع  
 أبناؤك الأشبال فيك تزاوروا  
 وتزاءروا في الغيل منك بمسمع  
 تأبى الجزائر أن تغم بتفعها  
 من لئس يسعى للأعم الأنفع  
 قلبت أنواع الجهاد فلم أجد  
 كجهاد محتسب به متطوع  
 يا موطناً لي خصبه ونعيمه  
 وله هواي على المدى وتشيعي  
 مضطاي الباهي الظليل ومخرفي  
 الزاهي ومشتاي الجميل ومرتعي  
 ما زال جُبك ناشياً مترعرعاً  
 في ناشي بجوانيحي مترعرع  
 أفسمت لو خيرتني في مضرع  
 ما اخترت إلا في سيلك مضرعي

إِسْأَلُ أَجِبْ وَأَمْرُ أَطِعْ وَاصْرُخْ أَغِثْ  
 وَاصْفَحْ أُنِبْ وَاسْمَعْ أَقُلْ وَانصَحْ أَعِ !  
 هَا أَنْتَ فِي وَسْطِ الزَّعَاذِرِ ثَابِتٌ  
 بَاقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمْ تَنْزَعْزِعْ  
 إِفْرِيقِيَا أَخْتُ الْحِجَازِ دِيَّانَةً  
 وَرَبِيبَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ الْأَمْنَعِ  
 قِفْ بِي عَلَيْهَا بُرْهَةً نَنْصَحْ لَهَا  
 أَنْ تَسْتَعِدَّ لِيَوْمِهَا الْمَتَوَقَّعِ !  
 الْعِلْمُ سُلْطَانُ الْوُجُودِ فَسُدِّ بِهِ  
 مَنْ شِئْتَ أَوْ دُذِّ عَنْ حِيَاضِكَ وَادْفَعْ  
 قُلُوبَ الْجَزَائِرِ أَنْشِئِي كُلَّيَّةً  
 تَمْحُو جَهَالََةَ شَعْبِكَ الْمَتَسَكِّعِ  
 الْفَجْرُ يُؤْذِنُ بِالطُّلُوعِ فَارْحَبِي  
 بِالْثُورِ غِبَّ ظِلَامِكَ الْمَتَقَشِّعِ  
 فِرْدَوْسُكَ الْمَفْقُودُ سَوْفَ يَرُدُّهُ  
 مَنْ رَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ يَوْمًا لِيُوشِعَ  
 حَتَّى أَرَى فِيكَ الْمَسِيطِرَ عَادِلًا  
 وَأَرَى لَدَيْهِ الْحَقَّ غَيْرَ مُضَيِّعِ  
 وَأَرَى عَلَى الْأَفْطَارِ عَرْشَكَ سَائِدًا  
 مِنْ تَحْتِ تَاجِ الْقُلُوبِ مُرْصَعِ  
 فَأُزِيحَ عَنْ نَفْسِي مَرَارَةَ يَوْمِهَا  
 وَأُزِيحَ عَيْنِي مِنْ حَرَارَةِ أَدْمُعِي

قَدْ كَذَبْتُ أَجْفَرُ الشُّعْرَ لَوْلَا أَنَّ لِي  
 بِالشُّعْرِ بَعْضَ تَعْلِيلٍ وَتَمْتَعُ  
 فِي كُلِّ رُكْنٍ رَاصِدٌ مُتَسَمِّعٌ  
 عَنِّي بِجَانِبِ رَاصِدٍ مُتَسَمِّعٍ  
 لَا دُخْرَ كَالْأَعْمَالِ عِنْدَ صَلَاحِهَا  
 فَاجْعَلْ مِنَ الْأَعْمَالِ دُخْرَكَ أَوْدَعُ



أستمع معي أيها القارئُ إلى هذا الصَّوتِ الوطني ، المنبعث من  
 جراحاتِ فؤادٍ .. من قَلْبِ شَعْبٍ ثَائِرٍ ، يعيشُ على كَفِّ العواصفِ وفي  
 قَلْبِهَا ، كسفينَةٍ تتقاذفُها الدَّمَاءُ تحتَ أزيزِ الطائراتِ ، وهديرِ مدافعِ  
 الاستعمارِ الفرنسي .

فالجزائرُ البطلةُ الثائرةُ : فهيَ التي حطَّمتْ كبرياءَ  
 الفرنسيين ، حتَّى أخضعت فرنسا لإرادة هذا الشعب ، التي هَذِهِ القصيدةُ صدَّى  
 من أصداءِ ثورتهِ ، وَكَانَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ القصيدةِ متفائلاً بشروقِ شمسِ  
 الحرية ، ونحرِ اللَّيْلِ المبطِّنِ سماءَ الجزائر ، الَّذِي يعقبُهُ فجرٌ باسمٍ .. وصَبَحَ  
 مشرقٌ : -

الْفَجْرُ يُؤْذِنُ بِالطُّلُوعِ فَرَحْجِي  
 بِالثَّوْرِ غِبَّ ظِلَامِكَ الْمَتَقَشِّعِ  
 فَرْدَوْسُكَ الْمَفْقُودُ سَوْفَ يَرُدُّهُ  
 مَنْ رَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ يَوْمًا لِيُوشَعَ

ويختتمُ الشاعرُ هذا المقطعَ ببدءِ توجيهي للتمسكِ بعقيدةِ الإسلامِ ، برغمِ المغرياتِ التي زرعها الغربُ تحتَ ظلالِ استعمارهِ ، من أَلغامِ زرعها لتفتكُ بالمسلمين .. وترزعزعه عن عقيدتهم ، فهوَ برغمِ هذه المحاولاتِ والإغراءاتِ ، فهوَ باقٍ على عقيدتهِ ( ثابتٌ على الإسلامِ ) لا ترزعزعه عواصفُ المغرياتِ ، ويضربُ مثلاً في ثباتِ المسلمين ، فيرى الجزائرَ التي هي قطعةٌ من أفريقيا ، هي أختُ الحجازِ في العقيدةِ والدينِ - لا تفارقُها - وإنَّ الأعمالَ الصَّالحاتِ هي الكنزُ المذخورُ { فنعم هذا الكنزُ } . ... وقبل أنْ نختمَ هذا التعليقَ ، نأخذُ على الشاعرِ مأخذاً : حيثُ أنَّ هذه القصيدةَ لمْ ترتفعْ إلى الأسلوبِ الشعريِّ ( الذي نُسَمِّيه شعراً ) برغمِ ما فيها من حماسٍ ، ودفعةٍ وطنية .



الشاعر / سعيد عقل





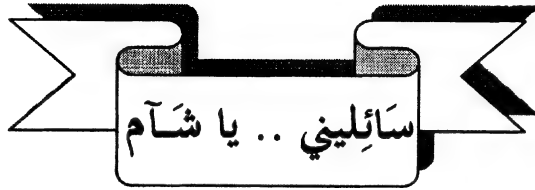
سعيد عقل : شاعرٌ من أصحابِ المدرسةِ الرَّمْزيَّةِ ، الذين أوغلوا في هذه المدرسة ، حتَّى تغلَّفوا واختفوا وراء هذه الرَّمْزيَّة " كما يختفي النجم وراء الضباب .. أو الكف وراء القفاز " ، وانسابت من كلماتهم إشارات لا تكادُ أن تبين أو تفصحُ عن سرِّ ما في الجوهر ، الذي جاء به المفكرُ في أطروحةٍ لشاعرٍ أو كاتبٍ ، هدفهُ الرسالي إيصالها للجمهور من القُرَّاء ؛ فلماذا يكتبون ؟! ولماذا لا ينطون على أنفسهم ، ويعيشون في أجواء رموزهم .. إذ لا فائدة من هذه الأطروحات ؟! لأنها لا تفتحُ حروف رموزٍ لهذه الفكرة وتوصلها للأذهان ، أو : كيف يكونون أصحابٍ منهجٍ ، يحملون أمانةً لتبليغِ النَّاسِ ما فيها من بياناتٍ صورٍ ، تتطوي على المعاني والأهداف ، التي صاغها فكرُ ذلك الشَّاعرِ أو الكاتبِ ، ليرسلوها فكرةً واضحةً كضوءِ القمر .. أو طيوفِ الشَّمسِ البنفسجية ، فيشربُ من ضوءِ كؤوسها القارئُ ؟! وعلى الشَّاعرِ والكاتبِ أن يبلغ خواطرهُ في رسمَةٍ ، تبينُ للهدف تلك الكلمات التعبيرية ، وإلاَّ كان حرفهُ لا يتعدَّى محيطهُ الذاتي .

ولا يستطيع القارئ أن يتسلَّل في تلك الحرف الأخضر ، ليصل إلى روح الكاتب أو الشَّاعر فيترجمه ، لأنَّ الحرف في بلاغته - يرسم - روح ذلك الشَّاعر أو الكاتب ، فنصل لها عن طريق حرفهِ ، ونكتب عَنْهَا وعن حياته ، وما كان فيها من خيرٍ أو شرٍّ ، فسعيد عقل أختار لنفسه هذه الرَّمْزيَّة ، فجلَّ شعره نما وعاش غرسهُ في صعيدِ هذه المدرسة .

وُلد في { زحلة } مدينة الجمال ، وهي مدينة من مدن لبنان عام ٩١٢م ، وقَد كتب من الحرفِ كتبًا ، فألَّف مجموعاتٍ شعريَّة وقصصية

أشهرُها ( رندلي - المجدلية ) وأصدر مسرحيتين شعريتين هما ( بنتُ  
يفتاح - قدموس ) .

ونختارُ له مقطع من قصيدته ( سائليني يا شَام ) التي تربو على  
سبعين بيتاً : -



سائليني حينَ عَطَرْتُ السَّلَامَ |  
كَيْفَ غَارَ الْوَرْدُ وَاعْتَلَّ الْخُزَامُ  
وَأَنَا لَوْ رُحْتُ أَمْتَرُضِي الشُّدَا  
لَانْتَنَى لِبَنَانٍ عِطْرًا ، يَا شَامَ  
ضِفْتَائِكَ ارْتَاخًا فِي خَاطِرِي ،  
وَاحْتَمَى طَيْرُكَ فِي الظَّنِّ وَحَامَ  
نُقْلَةً فِي الزُّهْرِ أَمْ عِنْدَلَةً  
أَنْتِ فِي الصُّحُورِ وَتَصْفِيقُ يَمَامَ ؟  
أَنَا إِنْ أَوْدَعْتُ شِعْرِي مَكْرَةً  
كُنْتَ أَنْتِ السَّكْبَ أَوْ كُنْتَ الْمُدَامَ  
رُدُّ لِي مِنْ صَبَوْتِي ، يَا بَرْدَى  
ذِكْرِيَّاتِ زُرْنِ فِي لَيْلَا قَوَامَ  
لَيْلَةَ ارْتَاخِ لَنَا الْحَوْرُ فَلَا  
غُصْنٌ إِلَّا شَجَّ أَوْ مُسْتَهَامَ

وَتَهَاوَى الضُّوْءُ إِلَّا نَجْمَةً  
سَهَرَتْ تُطْفِئِي أَوَامًا بِأَوَامٍ  
سَأَلْتَنِي فِي دَلَالٍ قُبْلَةٍ  
يَغْصِرُ الدَّهْرُ بِهَا كَأْسَ غَرَامٍ  
وَارْتَمَتْ يَكْسِرُ مِنْ هُدْبٍ لَهَا  
مُسْتَهْبِ الطُّولِ حَيَاءً وَاحْتِشَامٍ  
وَجِئْتُ صَفْصَافَةً مِنْ حُسْنِهَا  
وَعَرَا أَغْصَانُهَا الْخُضْرَ سَقَامٍ  
فَحَسَرْتُ الشَّعْرَ عَنْ جَبْهَتِهَا  
أَسْأَلُ الْحُسْنَ أَفِي الْأَرْضِ أَقَامَ ؟  
وَتَأَلَّيْتُ أَمْلِي خَاطِرِي  
قَبْلَ أَنْ يَحْجُبَهَا ضَمُّ الْهَيْامِ  
أَوْ لِيَخُوفِ بِي عَلَى ثَانِيَةِ  
سَوْفَ تَمْضِي فَمَنْ يَ الْعُمَرُ حُطَامِ  
لَمْ تَدْعَ لِي شِقْوَةَ أَحْيَا بِهَا  
وَرَنْتَ يَمْرُؤُ عَيْنَيْهَا ابْتِسَامِ  
أَوْمَاتَ لِي ... فَاَمْحَى كُلُّ سَنَى  
مُرْهَقٍ ، غَيْرَ فَمٍ عَذَبِ الْمَلَامِ  
وَإِذَا قُبُلُنَا فَرُّ إِلَى  
عَالَمٍ أَبْهَى وَسُكْنَى فِي مَنَامِ  
تَقِفُ النُّجْمَةُ عَنْ دَوَرِهَا  
عِنْدَ تَغْرِينِ وَيَنْهَارُ الظَّلَامِ

طَوْفِي بِي ذِكْرِيَاتِي ، طَلْقَةً  
وَاعْتَمِي أَطْيَابَ ذِيَاكَ الْوَيْثَامِ  
وَأَمْرَحِي بَيْنَ دِمَشْقٍ وَحِمَى  
تَلَكُمُ الصَّفْحَةَ فِي رَفْعَةِ هَامِ  
خَطَّهَا صَيْدٌ أَبَاةَ غَضَبُوا  
حَقَّهُمْ ، وَالْحَقُّ غَضَبٌ أَوْ حِمَامِ  
غَالِبُوا السَّيْفَ عَرِيقًا حَدُّهُ  
فَانْتَنَى السَّيْفُ وَفِي الْحَدِّ اخْتِدَامِ  
هَذِهِ الْغُوطَةُ أَوْفَى ثُرْبَةٍ  
بِهِمْ أَمْ جَبَلُ النَّبِكِ الْقُدَامِ ؟  
كَمْ فَتَى بَاتَ فِرَاشًا سَرَجُهُ  
نَامَ وَالْكَفُّ عَلَى سَيْرِ اللَّجَامِ !  
وَفَتَاةٍ خَلَعَتْ أَسْوَارَهَا  
تَشْتَرِي حَلِيًّا لَهَا غَيْرَ كَهَامِ !  
وَشُجَاعٍ لَمْ يَسْغُهُ غُمْرَةٌ  
رَاحَ يَحْيَا سَعَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ !  
أَسَدَ الثُّورَةِ ! وَسُدَّتُمْ ثَرَى  
هُوَ مِنْ مَشْرِقِنَا الْأَرْضُ الْحَرَامِ  
طَيَّبَتْهُ مِنْ جَنُوبٍ نَفْحَةٌ  
عَبَقَتْ مِنْ ضَارِبٍ فِي الْأَفْقِ سَامِ  
جَبَلٌ يَجْمَعُ فِي أَصْلَابِهِ  
دَعَا السَّفْحَ إِلَى عِزِّ السَّنَامِ

الثَّرَابَاتُ بِهِ أَهْلٌ وَقَا

وَمَحَكُ يَزْنُ الْحُرَّ الْهُمَامُ



هذه قصيدة وصف الشاعر فيها منابع سوريا ومرايعها الخضراء ، فهو يطوف بك على مناظرٍ تتفجرُ بالخيال ، وتسمو بالمعنويات الروحية لما تمرُّ به من جناتٍ خضراء ، وعذوبة أجواءٍ صافيةٍ تحلو لك فيها الإقامة والحلم اللذيذ ، فشاعرُها يمرُّ بك على واقعٍ مُشاهدٍ محسوسٍ ، وبرغم ما فيها من تجسيدٍ مناظرٍ طبيعِيَّةٍ .. فإنَّها لم تخلو من مسحةٍ طابعٍ من ظلالِ الرَّمْزيَّةِ الواضحة ، فالرَّسْمَةُ تُغْلَفُ بعضَ أحرفِ خطوطِها بالإشارات الرَّمْزيَّةَ ، التي تُشيرُ من وراءِ آفاقٍ مضبَّبةٍ بأهدافٍ ، لا تكادُ تطلُعُ من وراءِ تلك السُّحبِ الكثيفة ، وتعبِّرُ عن مفاهيمٍ ترمزُ لها تلك الكلمات بمعانٍ ، لا تُقرأ من مرآةٍ فكرٍ يتموِّجُ على صورٍ مرآةٍ ، تموِّجُ بالألوان والظلالِ الظَّليلة : -

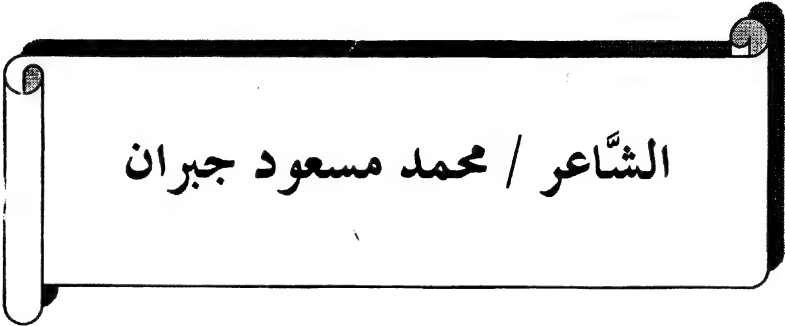
سَأَلْنِي فِي دَلَالٍ قُبْلَةً

يَغْصِرُ الدَّهْرُ بِهَا كَأْسَ غَرَامٍ

إنَّ ظلال هذا البيت وما بعده من مقطعٍ ، فيه إشارة رمزيَّة إلى سوريا .. لا إلى الكعاب ، فالرَّمْزيَّةُ هنا : ليست مُغلَّفةً بالغموض الَّذِي لا يفهمه حتَّى كاتبِها ، فإذا سألتهم عن محتوى ما كتبوه من شعرٍ أو نثرٍ ، كانت الإجابة من جنسِ المقولة - مغلقة باللامفهوم - فإذا كان المفكِّرُ هدفه من أطروحته إيضاح ما فيها من أسرارٍ ، لتبليغ تلك الرسالة لمجتمعهِ أو للأجيالِ

الآتية ، وهي لا تترك .. أو بالأحرى لَمْ تتضح لها الأهداف المناسبة في تلك الحروف الخضراء ، فما الهدف من تلك الرسالة ؟ والأجدرُ بمنشئها أن تتوقع في محيطه ، ويغرقها موجُ الزَّمنِ ، وما وجدت رسالة الفكرِ إلا لتعالج ما في الحياة من صورٍ اجتماعية متباينة الألوان .. وآلامٍ نفسية وسياسية ، فكان عنصرًا حيًا له دورٌ مؤثرٌ في الحياة ، وقَدْ بقي حيًا يعيشُ في ميدانِ الحياة ، ويُصارع الحياة ويؤثر في روحها وجسدها ما دام هُوَ شاعرًا ، برغم جنته أو قفمه .. فهو في انطلاقته { صباحُ فجرٍ } ينحرُ الليلَ ، وشمسٌ تمزقُ الضبابَ .

... ونكتفي بهذه اللّوحة .



الشاعر / محمد مسعود جبران





محمّد مسعود جبران : وُلِدَ عام ١٩٤٦م في مدينة طرابلس الغرب بلّيبيا ، وتلقّى تعليمه في طرابلس ، وحصل على دبلوم مدرسة الصحافة من مدارس المراسلات المصرية ١٩٦٢م ، وتخرّج من معهد المعلمين بطرابلس عام ١٩٦٨م ، وحصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة طرابلس ١٩٧٥م ، ونال درجة الماجستير في الأدب العربي من جامعة الفاتح ١٩٨٢م ، وهو الآن يعدّ لنيل درجة الدكتوراه في جامعة محمد الخامس .

كما عمل مدرّساً في التعليم العام ، وعضو هيئة التدريس في التعليم الجامعي عام ٦٨ - ١٩٩١م ، وكان أمين التحرير المساعد لمجلة البحوث التاريخية ، وشارك في الندوات الأدبية والعلمية في ليبيا وخارجها .

مؤلفاته : { أحمد الفقيه حسن ( الحفيد ) - محمد كامل بن مصطفى - مصطفى بن زكري - أحمد الفقيه حسن ( الجلد ) - سليمان الباروني } .

آبَ الفؤاد إلى أفيائها طرباً  
 واستروح السحر من أنسامها رطباً  
 قد عللنتني من الأمواه صافية  
 كأنها الراح تعلّي فوقها حبّاً  
 أعبُ من نهرها ألطاف مرشفها  
 مثل اللجين ينسّي صفوها التعباً  
 عروسة الكون تاهت في ملاءتها  
 ففاح من نشرها ما كان محتجباً

يا درة الشرق في أخلاقها عقلت  
وفي بنيتها فصاروا مثلها نجبا  
زهر المشارب إن تمسّك عارفة  
من العوارف تلق الخير والحسبا  
يا نكهة الشام في أغوارها برقت  
شم الفوارس أفدي جيشها اللّجبا  
بنو أمية ماسوا في مساربها  
كباشق الطير يمضي في الفضى عجا  
هل تذكرون صلاح الدين إذ زحفت  
منه الزحوف جهادا تدحر الصلبا  
سنايك الخيل تمضي من مضاربها  
توري العثير إذا ما أقبلت لهبا  
في مجتلى الفخر ترنو من منارتها  
على المدائن تُسدي للعلا قشبا  
أنهلتُ روعي من أسوارها نُحتت  
إذ أكبر الدهر منها معقلا أشبا  
على القباب من الماضين مزدهر  
وفي المآذن أَلقت للسناسل شبا  
تُزهى دمشق وفي الأمصار مغتبط  
قد هزها الكبر من تاريخها نسبا  
فتلك أرباضها بالزهر كاسية  
ريح الخزامى يُساري بينها قسبا

أشَم من عطرها أنفاس مَنبجها  
قد راقني قدها إذ عانقت حلبا  
يا جلق المجد ما في المشرقين يد  
تدافع الشام عما كان قد ركبا  
أتى بتاج من الأضواء فانتظمت  
ربوعه الفيح من أبهائه خصبا  
يا روعة الشام في قسيون ما فتئت  
هفا المشوق إلى رياك فانبجست  
في خافقيه من الآمال ما طلبا



إنَّ الحياةَ الأدبيةَ في صعيدِ ليبيا ، لم يكن لها الدورُ في سماءِ الفكرِ  
كالشقيقات { كالكنانة وبغداد وبيروت ودمشق } فكانت قليلة الظلِّ .. منكمشةً  
منطويةً في آفاقها ، لا تلوحُ من تلك الأفقِ بإصبعٍ تُشيرُ إلى صورٍ من ألوانِ  
أدبيَّةٍ ، وتسقي العقول من كأسها الشفافِ قطراتٍ من أشعةٍ شمسِها ، وقد  
أردتُ أن أترجم لأحدِ أدبائها وشعرائها - ممثلةً في هذا الشاعر - وقد يكونُ  
مغموراً عند رجال الفكر ، وقد يكونُ علماً ، فالدعايةُ الإعلاميةُ للأدبِ العربي  
باهتة اللون ، لم تعنِ بمفكرِها وأدبائها ، وأستثني الشقيقة مصر .. لأنها تقدِّرُ  
مفكرِها من رجالِ العلمِ والأدبِ ، حيثُ لا يضيعُ المفكرُ أو الأديبُ ، الذي  
ينبت على صعيدها غرسةٌ تتعهدُها ، حتَّى تنمو وتُصيرُ كالسَّنديانة .. ويمتدُّ  
عنقُها عاليًا .

وبعد هذه التوطئة ، نعود لقصيدة الشاعر الليبي .. أو بالأحرى  
العربي ، فهي قصيدة لا ترتفع إلى نروة الشعر - بما هو شعر - ولا تسف كل  
الإسف إلى السفح ، وإن تخللتها مقاطع عليها مأخذ ، ولكن بمجموع لونها  
كما أشرنا إليها سابقاً .

الشاعرة / فدوى طوقان



الشاعرة / فدوى طوقان : كَانَ لها صدَى في دنيا الألب ، وحفلت  
بها الصحافة ، وأعدت عنها الدراسات في نجوم ألوان من مفكرين كثر ، على  
اختلاف أدواقهم ومقاييسهم الأدبية ، وهي من الشاعرات الرومانسيات .. التي  
صبغت شعرها بمسحة طابع تراجيدي - أي حزين - فشعرها يسيل أوتاراً  
باكية وتتفجّر ألحان شجى ، تتدفق على منبج اليأس في أكثر صور  
دواوينها ، وتفاؤل في ظل بصيص ينساب من خلال أشعارها .

ولدت فدوى طوقان عام ١٩١٧م بفلسطين ، فتلقت تعليمها الابتدائي  
في مدينة نابلس ، وثقّت نفسها عن طريق القراءة ، وألحقت بدورات في  
اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي ، وعضوة في مجلس أمناء جامعة النجاح  
بنابلس ، حضرت العديد من المهرجانات ، والمؤتمرات العربية والأجنبية .



{ وحدي مع الأيام - وجنتها - أعطنا حبا - أمام الباب  
المغلق - الليل والفرسان - على قمة الدنيا وحيداً - تموز  
والشيء الآخر - رحلة صعبة - رحلة جبلية } .

### - مذكرات -

حصلت على جائزة رابطة الكتاب الأردنيين عام ١٩٨٣م ، وجائزة  
الزيتونة الفضية من إيطاليا ، وجائزة درع الريادة الشعرية من  
الأردن ، وصدرت عنها دراسات من عدة مفكرين ومفكرات وأديبات .

## الشاعرة والفراشة

هناك فوق الربوة العاليه  
هناك في الأصائل الساجيه  
فتاة أحلام خيالِيّة  
تسبح في أجوائها النائيه  
الصمت والظل وأفكارها  
رفاقها ، والسرحة الحانيه  
حياتها قصيدة فِدّة  
منبعها الحسُّ ونيرانه  
وحلم محيّر تائِه  
من قلق اللهفة ألوانه . .  
حياتها بحر نأى غوره  
وإن بدت للعين شطآنه  
رنت فتاة الشعر مأخوذة  
بصور الطبيعة الخالبه  
والأفق الغربي تطفو به  
ألوانه الوردية اللاهيه  
كأنه أرض خرافيّة  
هوت إليها شمس الغارب  
ودّت وفيها لهفّ كامح  
لو تأخذ الكون إلى صدرها



تحضنه وتشبع الروح من  
آياته الكبرى ومن سحرها  
تعانق الأرض .. تضمُّ السما  
تقبّل الغيوم في سيرها  
ودفعت بعينها في المدى  
تنهبه بالنظرة الواغلة  
ما أجمل الوجود ! واستغرقت  
في نشوة فائضة شاملة  
تلتهم الكون بإحساسها  
بقلبها ، بروحها الداهلة  
ما أجمل الوجود !! لكنها  
أيقظها من حلو إحساسها  
فراشة تجذّلت في الثرى  
تودعه آخر أنفاسها  
تموت في صمت كأن لم تفض  
مسارح الروض بأعراسها ..  
دنت إليها وانثنت فوقها  
ترفعها مشفقةً حانية :  
أختاه ، ماذا ؟ هل جفاك الندى  
فمت في أيامك الزاهية ؟  
هل صدّ عنك الزهر ؟ هل ضيّعت  
هواك أنسامَ الربى السارية ؟

كم أشعلت روحك حمى الصبى  
 وأنت سكرى بالشذى والرضاب  
 طافرة بين رياض الهوى  
 راقصة فوق الربى والهضاب  
 توشوشين الزهر حتى يُرى  
 منفعلاً من هذيان الشباب  
 كم بلبل بالورد ذي صبوة  
 ألهمت فيه الغيرة الساعره  
 كم زنبق عانقته كم شذى  
 رؤيت منه روحك الفائره . .  
 فأين منك الآن دنيا الهوى  
 وأين أحلام الهوى الساحره !!  
 ماذا ؟ تموتين ؟ فواحسرتا  
 على عروس الروض بنت الربيع  
 أهكذا في فوران الصبى  
 يطويك إعصار الفناء المريع  
 وحيدة ، لا شيعتك الربى  
 ولا بكى الروض بقلب صديق ؟  
 اختاه لا تأسى فهذي أنا  
 أبكيك بالشعر الحنون الرقيق  
 قد أنطوي مثلك منسية  
 لا صاحب يذكرني أو رفيق

أواه ! ما أقسى الردى ينتهي  
بنا إلى كهف الفناء السحيق !  
واضطربت أعماقها مثلما  
دوّم إعصارٌ بقلب الخضم  
وانتفضت مذعورة في أسى . .  
وارتعدت مرعوبة في ألم . .  
فلم يكن يصدّم أحلامها  
إلا روى الموت وطيف العدم  
وحدّقت في غير شيء وقد  
حوّمت الأشباح في رأسها  
لا صور الوجود خلاّبَةً  
تبعث النشوة في نفسها  
ولا روى الخيال رُفافة  
تخدّر المحموم من هجسها  
ودفق الليل كبحر طغى  
فانحدرت تحت عباب المساء  
تخبط في الدرب وقد غمغمت  
شاخصة المقلة نحو السماء :  
يا مبدع الوجود ، لو صنته  
من عبث الموت وطيش الفناء ! .



هذه قصيدة وصفية لصور الطبيعة الخلابة ، والفراشة الجميلة  
الخفيفة الظل ، التي ينسكب في جناحيها ألوان من طيوف الشمس ، ففدوى  
أبدعت في هذه القصيدة وصافة ، غير أنها لم تخرج من ظل مأساتها ، التي  
تعيش تحت أجوائها الكئيبة المبطنة بغمام الحرمان ، واليأس القاتل يتمدد في  
كلمات قصائدها ، لا تكاد أن تفلت من قبضته قصيدة ، كما أنها أفلتت من قيد  
وحدة القافية ، فتعدّد القافية يخلق أجواء حرّة .. يتنفّس الشاعر الأكسجين  
ملء رئته ويطير فيها بجناحين قويين .

فالقصيدة .. من ديوان وحدي مع الأيام ، وهذه التسمية تُشعرك بما  
ورائها من حزن عميق ، يعوم في نفس الشاعرة ، ويتراقص أشباحاً  
مخيفة ، ولكن نأخذ عليها مأخذاً { هو من هنات الغلطات } التي لا يتنبّه لها  
البشر في قولها : -

يا مبدع الوجود ، لو صنته

من عبث الموت وطيّش الفناء ! .

هذا منطق لا يليق الخطاب به - من عبد مملوك إلى مالكة - خالق  
السّموات والأرض .. خالق الإنسان .. خالق كل شيء ، فالموت هو رحمة  
بالبشر ، وحكمة من حكيم عليم .. ولولا الموت لفسدت الحياة ، ولكن حكمة  
الله التي تخفى على بعض العقول الضريرة ، لم تدرك سرّ الموت ، فإنّها  
نقطة من عالمٍ فإن إلى عالمٍ خالدٍ ، ليُثاب فيه المحسن ، ويجزى فيه المسيء .

... هذا ما أردنا إيضاحه لرفع الملابس .

الشاعر / عبد الرحمن عبد الوافي



وُلد الشاعر / عبد الرحمن عبد الوافي في فجيج بالمغرب - عام ١٩٤٦م - وتلقَى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مسقط رأسه ، ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى مدينة سلا عام ١٩٦٣م ، لمتابعة تعليمه الثانوي ، وألتحق بالمدرسة العليا للأستاذة ، وبعد عامين حصل على دبلوم في اللغة العربية عام ١٩٦٧م ، ثُمَّ حصل على إجازة في الأدب العربي عام ١٩٧٨م ، وعلى شهادة الدروس الجامعية العليا عام ١٩٨٥م ، وعلى دبلوم الدراسات العليا عام ١٩٨٨م ، ويعُدُّ الآن لنيل دكتوراه الدولة في موضوع ( الاتجاهات الأساسية في النقد المسرحي بالمغرب ) .

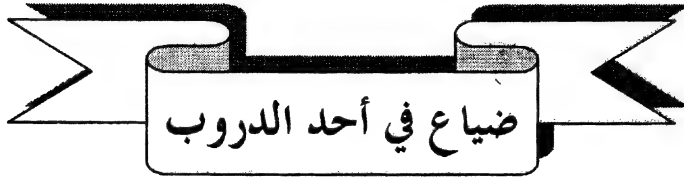
عمل مدرسًا بالمدارس الإعدادية ، ومفتشًا بالتعليم الثانوي ، وهو الآن أستاذ مساعد بكلية الآداب بالمحمدية ، ومسئولٌ عَنِ الملحق الثقافي لجريدة الراية ، وعضو اتحاد كتّاب المغرب منذ سنة ١٩٧٥م ، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ عام ١٩٨٨م ، ورئيس ومؤسس جمعية البلاغ الجديد للثقافة والفن بالمحمدية .

نشر شعره في العديد من الصحف والمجلات المغربية مثل ( العلم ، والراية ، والمشكاة ، والفرقان ) ولكنه لم يستطع نشر إنتاجه الشعري لأسباب مادية .

مؤلفاته : ( بائية الإضراب والصحو - فصول من مأساة أخت في الله اسمها سرايفو ) .

فالمغرب الشقيق : له دورٌ أسهم في الفكر الأدبي .. بيد أن آثاره لم تكن منتشرة على صعيد الحياة الفكرية العالمية { كالشقيقة الكبرى مصر } أو كبيروت ودمشق وبغداد ، فهو منكمشٌ على ظلٍ خفيفٍ يمتدُّ في سمائه ، ولعلَّ

الدعاية الإعلامية لم تعطه عناية ، حتَّى تصل أصدائه كما وصلت أصداء هذه المدن الحضارية العريقة في الحضارة ، ولا إلى أفق الجزيرة .. التي لعبت دوراً منذ فجر التاريخ ، ومن سمائها أشرقت شمس الرسالة ، فغطت كل حضارة .. وجاءت بمعجزات وحضارات لم يكن العالم يعرفها من ذي قبل ، ولم تدر في خلدِه يوماً ما ، فأعطت الحياة حياةً جديدةً ، وألبستها من الأفكار والعلم والأدب ما عجز عنه الأولون ، واستفاد من هذا الضوء المعنوي الآخرون ، ونُورِدُ له قصيدة : -



تحت مصباح فضوليٍّ لئيم  
ينقش الحزن على روعي الأصم  
ها هنا بين دروب لم تنزل  
تذكر الأمس البعيد المنصرم  
قبعت نفسي تناجي نفسها  
وتداري المآ فيها اضطرم  
هي ولَهَى أبداً ما تأتلي  
ترقب الدنيا بخوف وندم  
هي سكرى أبداً في شغف  
هي حيرى هزها كف الألم  
عبث طاغ على أذياه  
ارتمى اللاشيء فيه وجثم



وفراغ هائل في عمقه  
يرسب الحاضر في لون العدم  
كره النور طويلاً فرمى  
بفؤادي في كهوف من ظلم  
فإذا القلب سجين ، وإذا  
عالم الناس تفاهات جسم  
ياله وحشاً ضريراً ساحقاً  
لعظامي ، شارباً دمعاً ودم  
راقصاً فوق بقايا جثتي  
ساخراً يلهو ، فهلاً قد رحم ؟  
أنت يا نفس شرع ثمل  
عارك الموج طويلاً وانحطم  
فأبك يا أشلاءها دنيا هوى  
وبقايا غُمرٍ مثل الحلم  
واشهدي أنني أذبت العمر في  
آهة حرّى ودمع وندم  
وبأنّي ملهم من وتري  
نغمًا يقى إذا العمر انصرم



هَذَا نَغَمٌ مِنَ الْأَنْغَامِ الْحَزِينَةِ الْبَاكِيةِ ، وَمَا أَكْثَرُ الْحَزَانَا لِلَّذِينَ يَبْكُونَ  
وَيَنْدَبُونَ حَظَّهُمُ الْعَاثِرَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، فَالشَّاعِرُ يَرَسُمُ وَيُجَسِّدُ دُنْيَا مِنَ الْأَلَمِ

اكتوى بها ، حتّى طغى به الألم إلى التبرّم من هذا الوجود ، فيُنعي حياته الذّاتية  
بشجوى وحزنٍ .. وآهاتٍ حرّاءٍ .. ودموعٍ خُطّت من أحرفٍ ملتهبةٍ  
باكيةٍ ، والشّعزُ الحزين : هو أحبُّ لنفسى ، ولشريحةٍ من البشر .. فالحزنُ دائماً  
يواكبُ النفس البشرية ، ويطغى على السرورِ ، والآلامُ تبتلعُ الأفراح في يَمّها  
الخضم .. الهائج المائج .

ونأخذُ على الشّاعر بعض الإسفاف ، في بعض الشرائح من  
مقطعه ، وتكرار الصور .. حتّى تكاد أن تكون صورةً واحدةً .

الشاعر / محمد فال عبد اللطيف



الشَّاعِرُ / محمد فال عبد اللطيف ، وُلِدَ عام ١٩٥٢م في  
المندوزة ( ولاية الترازة - موريتانيا ) وتلقَّى تعليمه الابتدائي والثانوي  
في ولاية الترازة ، ثُمَّ التحق بعد حصوله على البكالوريوس ( شعبة  
الفلسفة ) بالمدرسة الوطنية للإدارة في انواكشوط ، ثُمَّ التحق بالمدرسة  
الوطنية ( السلك الطويل ) وتخرَّج فيها بشهادة متريز في العلوم  
المالية .

وتتقلَّ في وظائف بلاده .. فعمل والي إقليم مساعدا ، ثُمَّ حاكم  
مقاطعة ، ثُمَّ في ديوان وزير المالية ، ثُمَّ عمل مديراً للشؤون السياسية في  
وزارة الداخلية .. ثُمَّ مديراً للجماعات المحلية ، ثُمَّ مستشاراً للوزير  
الأول ، وهو المنصب الذي يشغله الآن .

له مؤلفات ورسائل متعددة المشارب - لم تجد طريقها للنشر - منها  
{ فتاوى الشياطين - رحلة إلى فرنسا - شرح قصيدة الجرادة الصفراء - الوجبات  
الخفيفة } .

إنَّ هَذَا صوتُ شاعرٍ ، ينبعثُ من سماءِ بلادٍ مغمورةٍ ( موريتانيا ) لم  
يكن لها دورٌ في عالم الفكرِ .. أو الأدبِ .. أو العلمِ .. كشقيقاتها " القاهرة  
وبغداد وبيروت ودمشق والجزيرة العربية وبقية الشقيقات " ولكنَّها قد ترسلُ  
سماؤها موجاتٍ من ومضاتٍ في ذلك الليلِ الدَّاجي .

... فافتبسنا من هذه السَّماءِ هَذَا الشَّاعر ، لنقدمه للقراء مغفلاً

بإنتاجه ، وللقارئ الحكم له أو عليه : -



رب مجد يُبنى من الطين أما  
مجد قومي فلم يكن من طين  
صهوات الجياد كانت حصونا  
لهم وهي من حسان الحصون  
وظلال البُود أحلى لديهم  
من ظلال النخيل والزيتون  
واعتوا بالعلوم ينون فيها  
ويُبينون أحسن التبیین  
بشيوخ تنهى وتأمُر بالعدل  
على وفق شرعها المسنون  
لا يزالون ظاهرين على الحق  
على رغم ملحدٍ في الدين  
حفظوا الملة القويمة من كل  
عدوٍّ مُداجن وظنين  
فهي كالجنة النضيرة في الربوة  
ذات العذب الزلال المعين  
فهي تؤتي ثمارها كل حين  
من أتاها وأكلها كل حين  
وشباب يأبى الدنيّة يسعى  
سعي لا جاهل ولا مفتون

من أبيّ حامي الحقيقة بالعرض  
ضنين ، بالنفس غير ضنين  
مؤمن بالغيوب لم يتقيد  
بخرافات ذي الضلال المبين  
معرض في الأمور عن كل ريب  
آخذ في الأمور ذات اليمين



هذه قصيدة تعرض أنموذجاً لشاعرٍ من شعراء موريثانيا ، والشاعرُ  
في هذه القصيدة يدافع عن أهداف العروبة ، ومبادئ الإسلام ، ويصفُ مجدهم  
الضخم .. الذي هو شعلة من ضوء الإسلام ، فقد رفع الإسلام العرب إلى  
أعلى أوج ، لكنَّهُ في الأفق الشعري في القصيدة التي هي بين يدينا كأنموذجٍ  
فكري ، لم يصل الشاعرُ إلى جوٍّ شعري ، وهو يسيرُ على عكازةٍ  
ضعيفة .. واهية القوى .. محطمة الأركان ، ما عدا فاتحة القصيدة : -

رب مجد يُبنى من الطين أما  
مجد قومي فلم يكن من طين

فهذا البيت : لعلك تستشوق منه رائحة الشعر .. لولا تصدُّك  
عكازة وهي كلمة ( أما ) فقد جاءت في غير موقعها ، فعكَّرت الجوَّ الشعري .

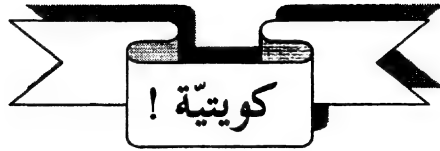




الشاعرة الدكتورّة / سعاد الصّباح



صوتٌ ينبعثُ من أفقٍ ناعمٍ ، من قلبِ صحراءٍ جافٍ - لا ماء فيها  
ولا زرع { الكويت } - أرض الذهب الأسود .. أنه صوت سعاد  
الصباح ، فهي تمثلُ وتحكي الحياة النسائية الجديدة ، وتدافعُ عن حقوقِ المرأةِ  
الكويتية ، كنخلةٍ فارعةٍ تمدُّ عنقها تطاولُ السماء ، وكرياحٍ عاصفٍ  
تزفرُ في قلبِ الصحراءِ ، وما قصيدتها بعنوان ( كويتية ) إلا دليلٌ على هذه  
الرؤية ، فاستمع معي وهي تتحدثُ في مقاطعها : -



يا صديقي :

في الكويتياتِ شيءٌ من طباعِ البحرِ ... فأدرُسُ  
- قبلَ أنْ تَدْخُلَ في البحرِ - طباعي ...

يا صديقي :

لا يغرُنكَ هُدُوءِي ... فَلَقَدْ  
يُولَدُ الإِغْصَارُ مِنْ تَحْتِ قِنَاعِي ...  
إِنِّي مِثْلُ الْبَحِيرَاتِ صَفَاءً ...  
وَأَنَا النَّارُ ... بَعْصَفِي وَانْدِلَاعِي .

يا صديقي :

إِنَّ عَصَرَ النَّفْطِ مَا لَوَّنِي

لَا وَلَا زَغَزَعَ بِاللَّهِ اقْتِنَاعِي  
أَنْتَ لَوْ فَتَشْتِ فِي أَعْمَاقِ رُوحِي  
لَوْ جَدْتَ اللَّوْلُوَ الْأَسْوَدَ مَزْرُوعاً بِقَاعِي

يَا صَدِيقِي :

يَا الَّذِي أَعَشَّقُهُ حَتَّى نُخَاعِي  
كُلُّ مَا حَوْلِي فُقَاعَاتٌ مِنَ الصَّابُونِ وَالْقَشِّ ...  
فَكُنْ أَنْتَ شِرَاعِي ...

يَا صَدِيقِي :

الْكُوَيْتِيَّةُ + لَوْ تَفْهَمُهَا - نَهَرٌ مِنَ الْحُبِّ الْكَبِيرِ ...  
وَالْكُوَيْتِيَّةُ إِعْصَارٌ مِنَ الْكُحْلِ ... حِمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَمْطَارِ كُحْلِي وَعُطُورِي ...  
وَالْكُوَيْتِيَّةُ تَهْوَاكَ بِلَا عَقْلِ .. فَهَلْ تَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ شُعُورِي ؟ ..  
فَأَنَا فِي عَضْبِي عُودٌ ثِقَابٍ ...  
وَأَنَا فِي طَرَبِي ... غَزَلُ الْحَرِيرِ ...

يَا صَدِيقِي :

الْكُوَيْتِيَّةُ تَبْقَى صَامِتَةً  
فَمَتَى تَقْرَأُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ ؟  
فَتَمَدَّدُ تَحْتَ أَشْجَارِ حَنَانِي .. وَتَعَطَّرُ بِبَخُورِي ..  
فَعَلَى أَرْضِكَ أَلْقَيْتُ بُدُورِي  
وَعَلَى صَدْرِكَ تَمَتَّدْتُ جُدُورِي ...

يَا صَدِيقِي :

الْكُوَيْتِيَّةُ أَرَخَتْ شَعْرَهَا اللَّيْلِيَّ كَالْجِسْرِ ،  
فَلَا تَعْبَأُ بِحُرَّاسِي ... وَجُنْدِي ... وَسُتُورِي ...

وَالْكُوَيْتِيَّةُ مَلَّتْ مِنْ غُبَارِ (( الطُّور )) .. وَاشْتَاقَتْ إِلَى ظِلِّ الْبَسَاتِينِ ،  
 وَإِقْبَاعِ النُّوَافِيرِ ، وَأَصْوَاتِ الطُّيُورِ ...  
 وَالْكُوَيْتِيَّةُ فِي مَعْرَكَةٍ كُبْرَى مَعَ التَّارِيخِ لَمْ تُخْشَمْ ... فَهَلْ أَنْتَ نَصِيرِي ؟  
 الْكُوَيْتِيَّةُ سَمَّتْكَ أَمِيرًا ... يَا أَمِيرِي ...  
 فَتَصَرَّفَ بِمَقَادِيرِ الْعُصُورِ ...  
 وَتَصَرَّفَ بِمَصِيرِي ...  
 يَا صَدِيقِي :  
 أَنَا أَلْفُ امْرَأَةٍ فِي امْرَأَةٍ ...  
 وَأَنَا الْأَمْطَارُ ، وَالْبَرْقُ ، وَمُوسِيقَا الْيَنَابِيعِ ، وَتَعْنَاغُ الْبَرَارِي ...  
 وَأَنَا النَّخْلَةُ فِي وَحْدَتِهَا ...  
 وَأَنَا دَمْعُ الرِّبَابَاتِ ... وَأَحْزَانُ الصَّحَارِي ...  
 يَا صَدِيقِي :  
 يَا الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ مَنَدِيلِهِ ضَوْءَ النَّهَارِ ...  
 يَا الَّذِي أَتْبَعُهُ حَتَّى انْتِحَارِي ...  
 كَمْ تَمَنَيْتُ بِأَنْ تُصْبِحَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ قُرْطِي أَوْ سِوَارِي ...  
 يَا صَدِيقِي :  
 إِنِّي اخْتَرْتُكَ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ ...  
 فَهِنْنِي ... عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِي !!



بين يديك أيُّها القارئُ هذه القصيدة ، الَّتِي هِيَ لِشَاعِرَةِ أَمِيرَةٍ مِنْ  
 الْأَمِيرَاتِ ، وَلَكِنَّكَ عِنْدَمَا تَقْرَأُ قَصِيدَتَهَا .. تَحْسُ بِطَابَعِ شِعْبِي يَنْسَابُ فِي  
 كَلِمَاتِهَا ، مَغْلَفٍ بِحُبٍّ إِلَى نِسَاءِ مُوَاطِنَاتِهَا الْكُوَيْتِيَّاتِ ، وَيَرْسُمُهُ مَجَسَّدًا

كالطبيعة بلا رتوش ، فالشاعرة ترسم ذاتها نقية لم تلوثها غيمات النفط ، بل هي فارعة كنخلة باسقة تعانق السماء ، وعلى ضفتيها البحر .. في قاعه اللؤلؤ .. فهي تسير في خضم الحياة بقلع ، وتهب من وراء قناعها العواصف ، وحمانا الله من كحلها وعطرها ، لأن عطور وكحول النساء الماكرات اللاتي يحولن الحياة إلى نعيم أو جحيم ، وبعبارة مختصرة مفيدة أنك تلمس في هذه القصيدة نبضات قلب حي ، وإشعاعات تموج في كلماتها .

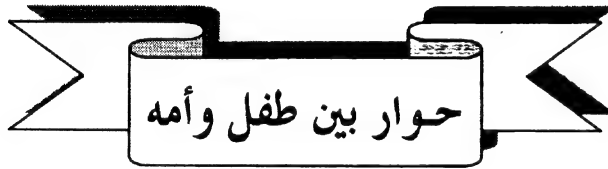
الشاعر / محمد الأنصاري





الشاعرُ / محمد الأنصاري ، وُلد في مدينة الخور بقطر عام ١٩٤٥م ، ودرس في المعهد الديني الابتدائي والثانوي ، ثُمَّ دخل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وحصل على الشهادة الجامعية في الشريعة عام ١٩٦٨م ، وتقل في سلك الحكومة في قطر ، من رئاسة المحاكم الشرعية إلى وزارة التربية والتعليم ، إلى مدير الشؤون الثقافية والشؤون الفنية لمؤسسة الرعاية التربوية ، ودار التقويم القطري ، وللمكتب التنفيذي لشؤون الأشقاء الكويتيين .

مؤلفاته : ( إلى ولدي عام ١٩٨٦م - مسافة عام ١٩٩١م ) ، ونورد له أنموذجاً من شعره : -



( ماما ) لقد حار البصرُ  
واستنفدت مني الفِكرُ  
من أين يأتي لي أبي  
( بالكيك ) في شكل القمر ؟  
من أين يأتي بالطعام  
وبالفواكه والخضر ؟  
أماه من يعطي أبي  
تلك الدراهم والدرر ؟

كم قد بحثت لكي أراه  
 فما رأيت له أثر  
 ما لي أراه مفارقي  
 طول النهار بلا سفر؟  
 أمي ! أجيبني ! إنني  
 قد حرت في تلك الصور  
 قالت له الأم الرؤوم  
 وقد كسا الوجه الخفر  
 لولاه بعد إلها  
 ما كنت أنت من البشر  
 فهو الذي قد شاء ربني  
 أن تكون له الأثر  
 وهو الذي يا مُهجتي  
 ربّاك من عهد الصغر  
 ففضله بعد المهيمن  
 كنت من أهل الظفر  
 فقد اشترى لك ما تريد  
 من الطعام بلا كدر  
 وسقاك أعذب ما يباع  
 من الشراب وما جهر  
 قد كان يلبسك الحرير  
 وذاك أغلى ما ستر

وإذا مرضت دعا الطبيب  
وكان يستحلي السهر  
كم مرة أعطاك ما  
تقتات وابتطن الحجر  
أمضى الحياة مكافحا  
من أجل نجل قد يبر  
يسعى لكسب القوت من  
قبل الصباح بلا ضجر  
ويعود بعد مغيب شمس  
وهو محني الظهر  
يأتي وقد خارت قواه  
لجهد يوم قد عبر  
فلقد تراه بحاجة  
للارتخاء إذا حضر  
وإذا رآك كأنه  
قاد الكتائب وانتصر  
ينسى لرؤيتك الشقاء  
وكل جهد قد خطر  
بل قد يبش إذا رآك  
بوجهه الضاوي الأغمر  
وكانه دخل الجنان  
وفاز فيها بالنظر

يحنو عليك إذا رأى  
منك القواد قد انكسر  
ولربما يبكي إذا  
كانت أمورك في خطر  
قد كان خير معلم  
بالحزم والفضل اشتهر  
وهو الذي يحمي حماك  
من التجاوز والضرر  
ويذود عنك مكافحا  
ويصد طوعا كل شر  
ولقد هداك معلما  
وغداك من علم بهر  
أعطاك جل حياته  
وسقاك من بحر زخر  
رباك تربية الرجال  
ومن رآك فقد يسر  
وإذا انتهت من العلوم  
وشاء ( بابا ) واقتدر  
يهدي إليك ( عروسة )  
تبنى بها أنقى الأسر



هذه قصيدة ترسمُ حديثَ قصّةِ تحاورية بين أبْنِ وأُمِّه ، أدارها شاعرُها على تساؤلاتٍ وأجوبةٍ ، تتمحورُ في عذوبةٍ ورقّةٍ مناسبةٍ في أحرفِها ، كانسيابِ موجاتِ النهرِ ، وممّا يزيدها حسناً { قصرُ التحاور } بين طفلٍ يتطلّعُ إلى الحياةِ ، من غلافِ كمانمه إلى فجرٍ يُولدُ من صدرِ أمِّه ، بيد أنّا نأخذُ على الشّاعرِ بعضَ المآخذِ كبعضِ القوافي ، حيث كانت نابيةً تصدمُ الذوقَ ، عندما ينتهي لها مثلُ السفرِ ، وما جهر الأغر انكسر .. فأنّه قد انكسر فيه الذوقُ والحاسةُ الفنية .

... أقرأ معي هذه الأبيات الأربعة التي أشرنا إليها وهي بين

يديك : -

مالـي أراه مفارقـي

طول النهار بلا سـفر ؟

وسقاك أعذب ما يباعُ

من الشراب وما جهـر

بل قد يبشُّ إذا رآك

بوجهـه الضاوي الأغر

يحنو عليك إذا رأى

منك الفؤاد قد انكسر

وهناك أبياتٌ في هذه القصيدة غيرُ موفقةٍ ، وخان الشّاعر فيها التعبيرُ ، وقَدْ دللنا على ذلك بما عيّنناه من أنموذجٍ - تلك الأربعة أبياتٍ - للتدليلِ على الرّؤية التي رأيناها ، وقررناها في منهجية نقدٍ هادفٍ سليمٍ ، وعلى القارئ الحكم بحرية الذوق والرأي ، ولا نفرض رأينا على القراء .. وكلُّ له ما يراه .





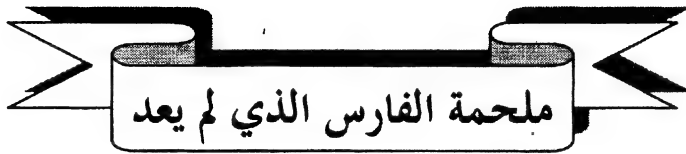
الشاعر / ناصر البدري





الشاعر / ناصر البدري ، ولد عام ١٩٧٣م في البله بسلطنة  
عُمان ، وحصل على بكالوريوس في التربية الرياضية عام ١٩٩٤م ، نشر  
شعره في الصحف المحلية والخليجية مثل ( عمان - الشبيبة - الوطن - الخليج  
الإماراتية ) .

مؤلفاته ودواوينه الشعريّة : ( قصائد للاحترام الأخير عام  
١٩٩٣م ) أشترك في بعض المسابقات وفاز بها .  
... نُورِدُ له أنموذجًا من شعره : -



" بكائية " :

كم قد مضى

يا فارسَ الوجع المحمل بانتظار الشمس ..

يا شبقَ الفصول

كم قد مضى

من رحلة الوطن القتل

للبعث أنت سللت نفسك من رماد الانشطار

للبعث أنت سلكت ذات الدرب

نحو الشمس

لكن لا مطار  
وحقائب التوديع إذ ثقلت عليك  
رميتها  
وشوائب الإجهاد مذ علقت بثوبك  
لم تزل تنمو  
وأخرى تستعيذك أن تكون لها رفيق  
ها أنت يصفعك الطريق  
ها أنت موقوف ومنسي بذات الوقت  
لكن للطلول  
أثرٌ عليك ..  
وللمسافات احتفاء وانتشاء  
وخطوط وجهك ..  
رسم كفك ..  
كل خط فيك يشكو الانتماء  
ها أنت أنفاس من الإجهاد يأكلها الأفول  
وروائح الأسفار أنت  
وأنت إتيان الشقاء  
فإلى متى هذا السباق .. إلى متى  
وجميع من خلّفت مدوا الكف  
وانظروا ..  
حتى إذا جاء الربيع تعدّلوا للانحناء  
فلتزمهم مزقا ..

ولا تبك

واقبل تعازي الليل :

إن الشمس لن تلد الضياء .. !

**" خطاب الفارس إلى فرسه "**

سنة تمر على سنة

سنة تمر

نتقاسم الخبز المملح والشراب المر

كي نقوى على التصعيد ضد الأزمه

ولها نصر

على الطواف - ولات يا فرسي العثور على

بقايا السوسنه -

فمضي ...

ونأمل أن نعود .. تعود ذات الأمكنه

لكنها - أسفا - تعود مُمعدنه

ولها سهيل

- ليس مثل سهيلك الفجري ... لا -

يتقاسم النغمات .. يجبرها تخر

آه وتسقط كل زيف الأحصنه

ونعود يا فرسي إذا غربت سنه

ليرى كلانا قد تساقط موطنه ... !

**" خطاب الفارس إلى مدينته "**

جديدا أعود

- مقرا بكل الخطايا القديمه -

إليك وبعض اشتياقي جريمه  
و حين اللقاء .. أرى دونك الناس  
من كل فج تهادوا  
وكان النداء : -  
" وأذن ... "

### " خطاب الفارس إلي حبيبته "

#### " خطاب أول : "

ولأنني يوما أردتك نخلة شرقية الثمر  
وأردت أن أهديك آنية من الفخار  
يلهو طفلنا الآتي بها  
وتكون لي زوادة السفر ..  
وأدوك تحت شوارع المطر  
وسقوك من دمهم  
فأثبت خصرك الأسماء والأحلام  
وامتزجت بك الدنيا  
فكان الخصب .. ثم الموت كان  
آه وامتزج الشقاء على الشقاء  
فإلى اللقاء .. إلى اللقاء إلى اللقاء .. :

#### " خطاب ثان : "

جهاتك تحتلني .. فلنقل ؟  
- لكي لا نضيع -

بأنك لوئ السماء .. وأني الربيع  
وأن الفراشات كي تستمد لك الدفء ..  
تمتص مني الصقيع  
وأن المسافات لو أبعدتنا - لها الحكم -  
أن اللقاء الشريد ..  
سيورق للمعصم الغضّ فيك السوار  
وأن النهار  
سيملي على الشمس بعض الرسائل  
ومني إليك  
سيملي على الشمس ... " كوني البريد "  
وكوني له  
إذا ما أتاه الجواب جليدا جليد  
سلاما سلاما ... !

### " خطاب الفارس إلى صديقه القديم "

ظلمناك يوما  
ذبحناك يوما  
وجئناك بالعدر بعد الفوات  
وماذا يفيد الذي كان .. (( لو لم يكن ))  
رماد المسافات ملك مشاع  
وكل المنافي وطن  
فإن جئت يوما - بلا راحتيه -  
إليك ببعض الورود الزهية

تقبل هداياي

إن الهدايا - رفيق الممرات - بعض الشجن

وحاول بصمت

تباعا تهرّب ماضيك فيّه

فما كنت منهم

ولكنهم حين مدوا يديهم

مددت يديّه

وقد كان جهلاً

من الجهل يا صاحبي ما قُتل ...

نعم ما قتل .. ! نعم ما قتل .. !



إنّ هذا الشّعْر هوَ من لونِ شعْرِ الحداثَةِ ، وليس كلُّ حداثَةٍ ممجوجةً  
وغير معبرةٍ عن ما وراءِ ما تشيرُ له تلك الأُحرفُ الخضراءُ ، ولكنْ أكثرها  
عاجزةٌ عن ما تشيرُ له من هدفٍ ، ولا تصلُ إلى الأداءِ الفنّي ، والأصالةِ  
الشّعريّةِ الفنيّةِ ، التي تُترجمها اللّغةُ العربيّةُ .. مشتملةً على عناصرٍ أربعةٍ  
( الموسيقى - الفن - الغناء - التصوير ) فإذا لبست الكلمةُ هذه العناصرَ  
الأربعةَ ، تمحورت وانبثقت في أداءٍ شعريّ فنّيٍّ ، فهي في موازين الأذواقِ  
السليمةِ .. إنّ كانت من الحداثَةِ ذا التفعيلةِ ، أو من العمودي الكلاسيكي ، أو  
الرؤمانسي ذو الأوزانِ والقوافي المتعددة ، التي تخلقُ جرساً موسيقياً فيُعَدُّ في  
موازين الشّعْر ، ولا أزن الشّعْر بمقاييسٍ عاطفيّةٍ تتحازُ للقديم أو  
الجديد ، فالشّعْرُ هوَ النفاةُ وعاطفةٌ ، وهزّةٌ ككهربائي يسري في النفوس  
في نشوةٍ روحيةٍ : -

الشعر في حيث النفوس تلذه

لا في الجديد ولا القديم العادي

... أو تعبير آخر : -

الشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة

أو حكمة .. فهو تقطيع وأوزان

أنا لا أحدد الشعر بمفاهيم ، أو بمسبار يسبر تلك الأعماق .. إنما هو هزة من الروح إلى الروح تهز كيانه سامعه ، وينفذ إلى قلبه كما تنفذ النسمات العليلة الباردة على جسمه ، فلا يحدد بحدود .. ولا يقاس بموازين ، فغناء الساقية شعر ، والوردة الجميلة قصيدة من أبدع القصائد ، والجمال البشري قصائد من أحسن قصائد الإبداع ، وهي في نروة الفن ، لأن أبداعها خالق السموات والأرض ، والطبيعة السافرة بألوانها وأفواها شعر بليغ ناطق بالسكر والجمال .

ولابد من إشارة إلى شعر التفعيلة : كيف ولد وجاء للغة العربية ؟ فلعنه عندما امتزجت الثقافة الغربية بالثقافة العربية ، تبلور هذا اللون في الشعر العربي .. حيث ترجم الشعر الغربي وأدبه ، فامتزجت الثقافتان في بوتقة من بوتقات الفكر ، وتولد من اللونين هذا اللون من الشعر .

وفي الحقيقة لا نريد أن نظلم اللغة العربية وتاريخها ، فقد سبق شعراؤها إلى هذا اللون من الأدب ، فالتقاة إلى ما وراء الزمن الماضي .. وعودة إلى تاريخنا الأصيل ، فقد سبق لهذا اللون { شعر التفعيلة } شعراء .. كالعلامة الدمستاني ، لا على سبيل الحصر في قصيدته المشهورة والمعروفة بحرم الحجاج : -

## أحرم الحجاجُ عن لذاتهم بعض الشهور وأنا المحرمُ دأباً ناحراً هدي السرور

ولا ننسى الفتوحات الإسلامية ، فبعد فتح الأندلس وإشراقه شمس الإسلام في سمائها ، امتزجت الثقافة العربية في الثقافة الأندلسية ، فتولّد الشعْرُ الموشح .

ولعلَّ شعْر التفعيلة تفرّع من ظلال الشعْر الموشح ، فالشّعْرُ ذوقٌ وفنٌّ ، وتصويرٌ يصورُ هذه الحياة في لوحاتٍ زيتيّة ، وهوَ العنصر المؤثر في الآفاق الفكرية ، والمجتمعات الشعبيّة .. وهوَ الثّولاب المحرّك لقلب الدنيا ، يطوفُ بها ويجتازُ على روابيها ، فيحرّكها كما تحرّكُ نأمةُ النّسيم أغصان الشجر ، أو يمر كعاصفة تهدّ القصور .. وتغسل الأدران .. وتكسرُ الأشجار ، هذه لمحة تعريفية عن الشعْر وما فيه من أقسام .

ونعودُ للقصيدة التحاورية ، التي كانت لنا فاتحة هذه اللّحة التعريفية ، فنوجزُ عنها تعريفٌ مختصرٌ في حروفٍ مختصرة ، فمن حيث أنّها شعْر .. فإنّ الشّاعر لم يوفّق في سبك أسلوبيها ، وفي أداء تعبيره الفنّي ، فكان موضوعها خيراً من شعْرِها ، ولو عاد الشّاعرُ السبكة ووفق .. لكان خيراً له .



الشاعر / هاشم الموسوي



الشاعرُ / هاشم السيد حسين الموسوي ، وُلد عام ١٩٤٥م في دبي ، حصل على الثانوية العامة مِنْ الدوحة بِقطر عام ١٩٨٦م ، وبكالوريوس آداب من قسم اللغة العربية .. جامعة بغداد عام ١٩٧٢م ، وشهادة الدراسات العليا المتخصصة في الدبلوماسية ، وإدارة المنظمات الدولية من كلية الحقوق بجامعة جنوب باريس ، ومسجل الدكتوراه بنفس الجامعة ، تمَّ تعيينه في السلك الدبلوماسي والقنصلي بوزارة الخارجية بأبي ظبي عام ١٩٧٢م بدرجة سكرتير ثالث ، ثمَّ تدرَّج في وظائف الخارجية حتَّى درجة وزير مفوض .. شارك في العديد من الأمسيات الشعرية داخل الدولة وخارجها ، نشر الكثير مِنْ قصائده في صحف الإمارات ( الاتحاد - الوحدة - الفجر ) وفي مجلات ( الدبلوماسي - درع الوطن ) كما نشر بعض قصائده ضمن كتاب ( محاضرات الموسم الثقافي ) لوزارة الإعلام الإماراتية عام ١٩٨٠م / ١٩٨١م .

دواوينه الشعرية : له ديوانٌ ينتظرُ النشر بعنوان ( حرق ) يشتملُ على أربعين قصيدة ، نُورِدُ له نموذجًا مِنْ شعره .. قصيدة تحت عنوان : -

## حكاية حب

حسناً ، هل لي أن أحكي حكاياتي  
منغمت على أوتار آهاتي  
ومرسلات على ألحان سامرة  
تُضفي طيوها على تلك الخطيئات

تعطر الليل والأحلام واهبة  
لفتية الحي نورا من غواياتي  
حكاية الحب يا حسناء ملهبة  
قلبي كأن الهوى حكمٌ على ذاتي  
إنني فُتنت وما لي عنك مزدجر  
هواك روحي وأحلامي ولذاتي  
إنني عشقت ففاض الدمع منهمراً  
يسقي القلوب الحيارى في متاهاتي  
إنني عشقت فألهبت الحياة جوًى  
حولي عليك وأرسلت ابتهالاتي  
سكبت روحي على ذاك الجمال ولم  
أظفر بغير دموع من معاناتي  
تنفّسَ الورد والريحان من ولهي  
وردت زفرتي كلُّ الفراشات  
سلي عن الوجد أطيفاً تؤرقني  
فعند ساحلها ترسو رواياتي  
أشركت كل نجوم الليل في ولهي  
حملتها كل آلامي وأنا تي  
طرزت في حبك الأحزان قافية  
حبلى بكل غريب من تفاهاتي  
صفاء عينيك يا حسناء ألهمني  
فتي وصعد من شجوي وآهاتي

تراقص الحرف ريانا على شفتي  
رويت حرفي وحطمت اعتباراتي  
لم تدركي أن في نابي لهيب أسي  
سيان عندك مأساتي وملهاتي  
إذا تلفتُ قصدا لم تعي أبدا  
أن الحقيقة كانت في التفاتاتي  
يا فتنة الروح يا أصداء ما سمرت  
عنها الحياة على قيثار رعشاتي  
تمهلي إن في عينيك أغيتي  
تغفو على محجر يهوى شكاياتي  
في وجنتيك بقايا من دمي وهبت  
لك الدلال بوحى من رسالاتي  
وفي دلالك سحر قد برى جسدي  
وفي شفاهك شيء من خطيئاتي  
أرى جدائل شعر منك زاهية  
فتخفق الروح في دنيا الخيالات  
وتخفق الروح في دنيا بلا زمن  
وهكذا الحب لا ماض ولا آت  
حكاية الحب يا حسناء ما ختمت  
لكنما من هنا تُحكى حكاياتي



إِنَّ لَوْنًا مِنْ ضُرُوبِ الشَّعْرِ كَمَا عَرَفَهُ الْأَدْبَاءُ الْقَدَامَى ، وَقَسَّمُوهُ  
 إِلَى عِدَّةٍ شَرَائِحَ فِكْرِيَّةٍ ، فَمِنْهُ لَوْنُ الْغَزْلِ .. أَوْ النَّسِيبِ .. أَوْ التَّشْيِيبِ ، فَهُوَ  
 عِنَصْرٌ مِنْ عِنَاصِرِ الْحَيَاةِ ، تَتَمَاوَجُّ فِي أَنْغَامٍ أَوْتَارٍ ، عَزَفَ عَلَيْهَا التَّائِهُونَ  
 الْهَائِمُونَ فِي أَمْوَاجٍ مِنْ مَوْجَاتِ الْحُبِّ ، يَسْتَعَذِبُونَ فِيهَا الْعَذَابَ وَيَحْتَرِقُونَ  
 بِخَوْرٍ فِي مَجْمَرِ الْجَمَالِ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْفَنُّ فَنًّا جَدِيدًا ، لِأَنَّهُ وُلِدَ مَعَ الْإِنْسَانِ  
 الْأَوَّلِ تَوَاقُفًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، إِذْ لَا حَيَاةَ بِلَا حُبٍّ .. وَلَا حُبَّ بِلَا حَيَاةٍ ، فَهُوَ نَبْعُ  
 نَمِيرٍ أَفَاضَهُ اللَّهُ مَكُونَ الْبَشَرِيَّةِ لِيَعْمَرَ هَذَا الْكَوْكَبَ بِكُلِّ مَعْنَى الْعِمَارِ ، وَيَذْكُرُ  
 فِيهِ أَسْمَ الْخَالِقِ الْمُنْعَمِ ، فَكَانَ الْحُبُّ غَرْسَةً فِي قَلْبِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ تَشَبُّهُ  
 مَعَهُ ، كُلَّمَا شَبَّ لِيَنْفَتِحَ عَلَى أَسْرَارِ جَمَالِ هَذَا الْكَوْنِ ، وَفِي عُنْوَانِهِ حَوَاءُ  
 الْمَلْهَمَةِ .. هِيَ قَصِيدَةٌ مَقَاطِعُهَا { الْعَيْنِ وَالشَّعْرِ } وَقَافِيَتُهَا { النِّهْدِ  
 وَالصَّدْرِ } ، فَكُلَّمَا كَبُرَتْ وَتَدَوَّرَتْ كَانَتْ أَرْقَ شَعْرِ غَزْلٍ أَبْدَعَ مِنْ كُلِّ  
 قَصِيدَةٍ ، وَالْحُبُّ لَيْسَ جَدِيدًا - أَوْ حَادِثًا - كَمَا أَشْرْنَا لَهُ ، فَهُوَ عَلَى عَمَقِ  
 أَصَالَةٍ فِي قَلْبِ هَذِهِ الدُّنْيَا ، لِأَنَّهُ كَيَانُ الْحَيَاةِ ، وَأَحَدُ أَسْرَارِ بَقَاءِ النُّوْعِ  
 عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْدَعَهُ فِي  
 رُوحِهِ { لِأَبْنَائِهِ .. لِأَبْوِيهِ .. لِزَوْجِهِ .. لِرَحِمِهِ .. لِإِخْوَانِهِ } فَالْحُبُّ سِرٌّ  
 عَمِيقٌ ، وَحَرْفٌ مَخْضُوضٌ لَهُ نِقَاطٌ وَإِشَارَاتٌ ضَوْئِيَّةٌ ، تَدُقُّ عَلَى الْعَقْلِ  
 وَالْأَفْكَارِ ، فَمِنْ سَمَاءِ هَذَا اللَّوْنِ وُلِدَ الشَّعْرُ الْغَزْلِيُّ ، فَكَانَ تَعْبِيرًا عَنْ مَا  
 يَخْتَلِجُ مِنْ عَوَاطِفٍ ، فَهَذِهِ الْعَوَامِلُ أَسْتَلْذَهُ الْبَشَرُ عَلَى اخْتِلَافِ  
 شَرَائِحِهِمْ ، وَحَتَّى أَبْنِ الشَّارِعَ الْعَامِيَّ يَسْتَلْذُ الشَّعْرَ الْغَزْلِيَّ ، وَيَسْرِي فِي  
 كَيَانِهِ .. وَيَهْزُهُ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُ أَوْ لَا يَشْعُرُ ، لِأَنَّهُ تَعْبِيرٌ عَنْ حُبٍّ يُتَرَجَّمُ مَا  
 يَمُوجُ فِي نَفْسِهِ مِنْ مَيُولٍ عَاطِفِيَّةٍ ، أَمَّا الْإِنْسَانُ الْمُتَّقِفُ .. فَهُوَ يَتَفَعَّلُ  
 بِذَوْقِهِ السَّلِيمِ إِلَى آفَاقٍ وَصُورٍ ، يَمُوجُ بِمَعَانِي الْحُبِّ الرَّفِيعَةِ .. فَالْحُبُّ نَبْتَةٌ  
 طَاهِرَةٌ مُقَدَّسَةٌ ، وَبِتَعْبِيرٍ أَدَقِّ : إِنَّ الْحُبَّ كَيَانُ الْحَيَاةِ .

ولابدّ من إشارة - ولو مقتضبة - إلى قصيدة الشاعر  
الموسوي ، فهي عاطفة مشبوبة تتدفق من سماء واقع صدق .. تجسّد حب هذا  
الشاعر في موجاتٍ لهيب ، وحرفٍ أجيد سبكه .







الشاعر / تقي البحارنه



الشاعر / نقي محمد البحارنة : ننقل سيرته حرفياً من كتابه  
{ أوراق ملونة } المطبوع بمطبعة فخر اوي بالبحرين ( النماة ) الطبعة الأولى  
١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

- ولد في البحرين في مدينة النماة عام ١٩٣٠م .
- تلقى تعليمه في مدارس البحرين وبغداد .
- درس الأدب ، والاقتصاد ، والشؤون العربية والإسلامية .
- شارك في أنشطة الأندية الوطنية والثقافية والاجتماعية .
- زاول الأعمال الحرّة ، وأصبح عضواً في مجالس إدارة عدد من المصارف وشركات التأمين ، وغرف التجارة والمؤسسات المالية .
- شغل منصب سفير البحرين في مصر ، ومندوبها الدائم لجامعة الدول العربية عام ٧١ / ١٩٧٤م .
- شارك في مؤتمرات ، وندوات ثقافية واجتماعية وأدبية واقتصادية .. محلية وعربية .
- كتب مقالات ودراسات في الشعر والأدب والاقتصاد ، والشؤون العربية والإسلامية ، في صحف البحرين والمجلات العربية .
- أرّخ سيرة ( نادي العروبة ) خلال خمسين عاماً ، ونشرها في كتاب صدر عام ١٩٩٢م .
- عضو مجلس الشورى ، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس .. منذ عام ١٩٩٣م .
- له ديوان شعر مطبوع باسم ( بنات الشّعـر - أوراق ملونة نثر ) .

## صاحب القصر

رُبَّ قَصْرٍ شَادَهُ مِنْ شَيْدَا  
وَابْتَغَاهُ لِمَنَاهُ مَقْصِدَا  
رَقِصَ الْأَنْسِ عَلَى مَسْرَحِهِ  
وَانْتَشَى بِالْكَأْسِ حَتَّى عَرِبِدَا  
وَعَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى مِنْ فَوْقِهِ  
آمَرًا ، فِي حُكْمِهِ مَنْفَرِدَا  
كَمْ عَلَى سَاحَاتِهِ فَاتِنَةٌ  
سَجَبَتْ ذِيلاً وَأَرْخَتْ مَقُودَا  
وَعَلَى الْأَيْكَةِ فِي جَنَاتِهِ  
بَلْبَلٌ غَنَّى ، وَطِيرٌ غَرَّدَا  
وَالْجَوَارِي حَائِمَاتٌ حَوْلَهُ  
تَحْمِلُ الْبُشْرَى .. إِذَا مَدَّ يَدَا  
وَحَوَاشِي خُدَمٍ هَارِعَةٍ  
نَقَصَتْ حِظًّا وَفَاقَتْ جِلْدَا  
وَالْحَشَايَا مَلَّ مِنْهَا جَنْبُهُ  
فَارْتَضَى خَصِرَ الصَّبَايَا مِسْنَدَا  
وَالْتَصَاوِيرَ عَلَى جِدْرَانِهِ  
رَصَدًا قَامَ عَلَيْهِ شَاهِدَا  
حَدَّقَ الطَّرْفَ بِهَا مُسْتَنْطِقًا  
وَتَأَمَّلَ سِرَّهَا مُسْتَرَشِدَا

فهي تحكي قصصاً لم يروها  
 من روى سيرته أو مجّدا  
 أترى حمر الليالي نهلت  
 من جراحات الضحايا موردا  
 أم ترى الضجّة في أرجائه  
 هي للأنات والشكوى صدى  
 ظالم يقبض كفيّه إذا  
 طالب الحق أتى مسترفدا  
 مرّغ العزّة في شهوته  
 وعلى المستضعفين إستأسدا  
 هام بالدينا وما أتعس من  
 حسب الإنعام فيها سرمدا  
 فمضى عنها ولمّا يشتفي  
 غلّة أو يرتوي منها صدى  
 وليالي الأنس صارت عبرة  
 لمن استعبر منها واهتدى



إنَّ مِنْ عناصرِ الشَّعْرِ { شَعْرُ الموعظةِ أو الإرشادِ } أو مَا يَصَوِّرُ  
 لنا قصة حياة غفت في ذاكرة الدهر ، أو على أطلالٍ تبعثر عمدُها  
 وجدرُها ، ولمْ يبقِ إلّا ظلالٍ باهتة .. أو وصفُ قصرٍ .. لا يزالُ طافحاً  
 يموجُ بألوانِ النعمِ والمزخرفات ، ويغفو على سرّره الجمالُ في حوائه

الملهمة ، فالشَّعْرُ قَدْ يَجِيءُ صَوْرًا متحرِّكةً تسمُرُ السامِعَ لها ، وتشدُّه  
بما فيها من مقولةٍ بإعجابٍ ، كالصورة التي في هذين البيتين  
للشاعر / أحمد شوقي .. نكاد نمسّها باليد ، ونشهدا بالعين في شَعْرٍ  
متحرِّك - كشريط سينمائي يشاهده الثُّنَّاط - فذلك هو الشَّعْرُ : -

ما أنتي يا دنيا أرؤيا نائم  
أم ليلُ عرسٍ أم بساطُ سلافٍ  
نعمائك الريحانُ إلا أنه  
مست حواشيه نقيعُ زعافٍ

إنَّ هذه المقولة تصوِّرُ الحياةَ في صورةٍ متحرِّكةٍ ، وهذه التوطئة  
كمدخلٍ لقصيدة شاعرنا الأستاذ / تقي البحارنة .. فقصيدته التصويرية لحياة  
قصرٍ يموجُ بدنيا ألوان السَّحَرِ والجمال ، ويرفُ فيها عالمُ الزهرِ والزنبقِ  
والعمارِ ، وتشدو الطيور على أغصانها ، وتغفو الجواري على أسرَّتِها  
النَّاعمة ، هي قصَّةٌ وفَّق فيها الشَّاعرُ ، ولكن يؤخذُ عليه بعضُ  
الهنات .. حيث أَسْتعمل في بعضِ مقاطعها ، ما يشبهُ خيال الفقهاء أو  
الوعاظ .. كقوله ( وتأمَّل سرَّها مسترشدا ) فالعجزُ لا يتَّفَقُ مع  
الصدر .. ويهبط عنه ويسفُّ عنه .

... وكقوله : -

أم ترى الضجَّة في أرجائه  
هي للأنات والشكوى صدى

وهذا البيت : لَمْ يَحْتَوِ عَلَى صُورَةٍ شَعْرِيَّةٍ ، تَتَسَجَّمُ مَعَ مَقَاطِعِ  
الْقَصِيدَةِ .

... وَبَيْتٌ آخَرٌ : -

ظَالِمٌ يَقْبِضُ كَفِّهِ إِذَا  
طَالِبُ الْحَقِّ أَتَى مُسْتَرْفِداً

وهذا البيتُ : خَانَ الشَّاعِرُ التَّعْبِيرَ ، فَالظَّالِمُ لَا يَقْبِضُ كَفِّهِ .. إِنَّمَا  
يَضْرِبُ بِكَفٍّ مِنْ حَدِيدٍ .

... وهذه النِّقَدَاتُ حَوْلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَمَلُ أَنْ يَتَسَعَ صَدْرُ الشَّاعِرِ  
لَهَا ، وَيُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْهَا .





خاتمة



بعد انطلاقة الحرف .. الذي أدركته على بعض صور من أفكار القرن العشرين ، تتمثل في قصائد عشرين شاعر ، وليس هذا العرض كالتراجم القديمة التي تشير إلى التدوينات (( أن المترجم ولد في عام من الأعوام ، ومات بتاريخ كذا )) فلا تُعطي لمحة - ولو مقتضبة - عن ذلك الشاعر أو الكاتب ، وعن عناصر تأثير الشاعر أو الكاتب ، في عصره الذي لبسه وعاشه ، فهي تدوينات لا تصل بك إلى الجوهر ، إنما تضعك على السطح دون العمق ، أمّا هذا التدوين فقد عني بالشاعر وأثره ، في دراسة تحليلية لذلك الأثر .. لأنه يبحث عن دور الشعر ، وتأثيره في الحياة ، ولعلنا متى عرفنا محتويات إنتاج الشاعر ، قرأنا روحه تتساب بين الأحرف الخضراء ، وتتألق في المعاني الضوئية ، وتفسر أهدافها الإشارات التي أشار لها فكر الشاعر ، من وراء غلاف هذه الكلمات .. تموج على أفق يتولد من شاطئ الخيال ، أو من ظل حياة واقعية ، أو من آلام مجتمع منكوب ، فالأهداف التي يُصورها الشاعر فكرة مجسدة ، تكاد تتوثب حياة في هذا الأثر الشعري ، فعندما تقرأها .. تتفاعل معها ، وتحس بحقيقة تمر وتخطر في قلبك وبين عينيك ، فيصح أن تصدق هذه المقولة : { بأن الشعر مرآة تصوّر بعض ظلال تلك الصفات } فالشعر هو المعبر عن الحياة ، ولا يزال ولم يزل ، حتى يرث الله الأرض ، فهو الأداة التعبيرية التي يستريح في أفقها المحزون ، ويبسم الكئيب ، وهي البلم للجرّيح ، ويتنفس في أجوائه المظلوم .. فالشعر مرآة تصوّر كلّ عصر على طبيعته ، وما فيه من ضروب العيش .. وألوان الحياة .. وتدلّينا على ذلك : عندما تقرأ الجزء الأول من هذا الكتاب .. الذي ضمّ بين دفتيه أربعة عصور ، وانتكاسة الفكر ، عندما تقرأه

وما يليه من أجزاء .. أسأل الله أن يوفّقني إلى ذلك ، ستتضح لك الرؤية ، وتشرق في دربك مقولتنا عن الشّعْر (( هل له دورٌ وتأثيرٌ في الحياة )) ، فالشّعْر ولد مع فطرة الإنسان ، وسار مع تطوره على هذا الكوكب .

وبرغم ما أحمله من متاعب ، تمرُّ بظروفي الجليدية القاسية ، تتكدّسُ صخرةً كأداءً .. تحولُ بيني وبين الانطلاقة الفكرية ، والطُمُوحات الروحية ، وبرغم الروابط العائلية والأسرية والاجتماعية ، التي تفرضُ عليّ إعطائها وقتًا زمنيًا يُقطعُ من حياتي ، وبرغم العامل الذي أُصِبتُ به في عيني .. حيثُ لا تُمكنني من المتابعة بنفسِي ، فلا بدُّ من واسطةٍ أُملي عليها ، أو تُقرَأ لي ، ورغم العوامل الاقتصادية .. التي هي الينبوع لحياتي المعيشية ، وحاجتي لقسطٍ من الراحة ، وفتح صالوني الأدبي على مصراعيه للننوات الأدبية في بيتي مساء كل يوم ، فبرغم هذا وذاك لم تكن هذه العوامل تلاً ركاميًا حاجزًا عن دراساتِي الفكرية والعلمية ، فقد أكملتُ أعمالِي الأدبية ، حيثُ طُبعت منها خمسة دواوين ، وهم { النغم الجريح - شيءٌ اسمه الحب - شمسٌ بلا أفق - مدينة الداراي - كانوا على الدرب - خيوطٌ من الشمس في مجلدين سيرة ذاتية } ، أمّا الأعمالُ المخطوطةُ فهما مجموعتان شعريتان تنتظران نشرهما ، وكتابٌ نُثريّ ( أضواء من النقد في الأدب العربي ) ويلي الجزء الأول هذا الجزء الثاني ، الذي تمّ بفضلِ الله وعونه .. إذ لا حول لنا ولا قوة إلا بالله .. عليه توكلت وبه استعين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١٤٢٠/٠٤/٢١هـ

١٩٩٩/٠٨/٠٣م

## " جدول بأسماء المراجع "

- ١- مختارات شعرية - شاعر وقصيدة العماد مصطفى طلاس - المجلد الثاني ص ٢٧٦ - ٢١٦ - ٩٣٤ - ١١١٠ - ٦٨٦ - ٧٦٠ - ١١٤٨ .
- ٢- معجم البابطين - ( المجلد الثالث ص ٧٨٦ - ١٤٠ ) - ( المجلد الرابع ص ٥٧٤ - ٥٤٠ - ١٨٠ ) - ( المجلد الخامس ص ٢٢٠ - ١٣٢ ) .
- ٣- ديوان أغاني الحياة طباعة دار الفكر العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى .
- ٤- ديوان بدوي الجبل ص ٣٠٨ - طباعة دار العودة - بيروت - لبنان .
- ٥- ديوان بنات الشعر ص ٥٢ طباعة المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بالبحرين .
- ٦- ديوان علي محمود طه - شركة فن الطباعة - بالقاهرة .
- ٧- ديوان أبو ماضي - دار العودة - بيروت - لبنان .
- ٨- بلاغة العرب في القرن العشرين - المطبعة الرحمانية - بالقاهرة .
- ٩- شعراء الغري - الجزء الأول بقلم علي الخاقاني - مطبعة بهمن .
- ١٠- إيقاع الفكر - الديوان الأول للدكتور الشيخ / أحمد الوائلي - دار الصفوة - بيروت - لبنان .
- ١١- تاريخ الآداب العربية - المجلد الثاني - مطبعة عز الدين للطباعة والنشر .
- ١٢- معالم الأدب العربي في العصر الحديث - الجزء الثاني - تأليف / عمر فروخ - طباعة دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .
- ١٣- من لا يحضره الخطيب - تأليف / داخل السيد حسن - طباعة مؤسسة البلاغ بيروت - لبنان .
- ١٤- ديوان عمر أبو ريشة - طباعة مجلة الأديب - بيروت - لبنان .



## " آثار المؤلف "

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة - بيروت	١٣٨١هـ - ١٩٦١م	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الإنجلو المصرية	١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية - بيروت	١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا - الدمام	١٤١٤هـ - ١٩٩٣م	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤١٦هـ - ١٩٩٥م	شعر
خيوط من الشمس " قصة وتاريخ "	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م	مجلدين - نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مخطوط	***	نثر
أجراس حزينة	مخطوط	***	شعر
تهاويل عبقر	مخطوط	***	شعر
الشعر ودوره في الحياة	الجزء الثاني هو ذا ويليه جزآن في مجلد واحد	***	نثر









٣	..... القرن العشرين
٩	..... الشّاعر / علي محمود طه
١٥	..... الشّاعر / إيليا أبو ماضي
٢٣	..... الشّاعر / أحمد الوائلي
٣٣	..... الشّاعر / بدوي الجبل
٤٣	..... الشّاعر / عمر أبو ريشة
٤٩	..... الشّاعر / التجاني يوسف بشير
٥٥	..... الشّاعر / أبو القاسم الشابي
٦١	..... الشّاعر / عبد الله البردوني
٧١	..... الشّاعر / سميح القاسم
٧٧	..... الشّاعر / محمد خليفة العيد
٨٥	..... الشّاعر / سعيد عقل
٩٣	..... الشّاعر / محمد مسعود جبران
٩٩	..... الشّاعرة / فدوى طوقان
١٠٧	..... الشّاعر / عبد الرحمن عبد الوافي
١١٣	..... الشّاعر / محمد فال عبد اللطيف

١١٩	..... الشاعرة الدكتورة / سعاد الصبلح
١٢٥	..... الشاعر / محمد الأنصاري
١٣٣	..... الشاعر / ناصر البدري
١٤٣	..... الشاعر / هاشم الموسوي
١٥١	..... الشاعر / تقي البحارنه
١٥٩	..... خاتمة
١٦٣	..... جدول بأسماء المراجع
١٦٥	..... آثار المؤلف
١٦٦	..... الفهرس





مؤسسة بيت البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء، ١ - ط ٣ - المستودع : صغير - جانب فرن الأمراء.

ص.ب : ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٣١١٩ - ٠٣/٥١٤٩٠٥ - لبنان

بريد الكتروني : [est@maktoob.com](mailto:est@maktoob.com) - AL - Balagh